دعوة الحق

الحرية والنهوض في الفكر

شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر

تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
(مديرية الشؤون الإسلامية)
المملكة المغربية

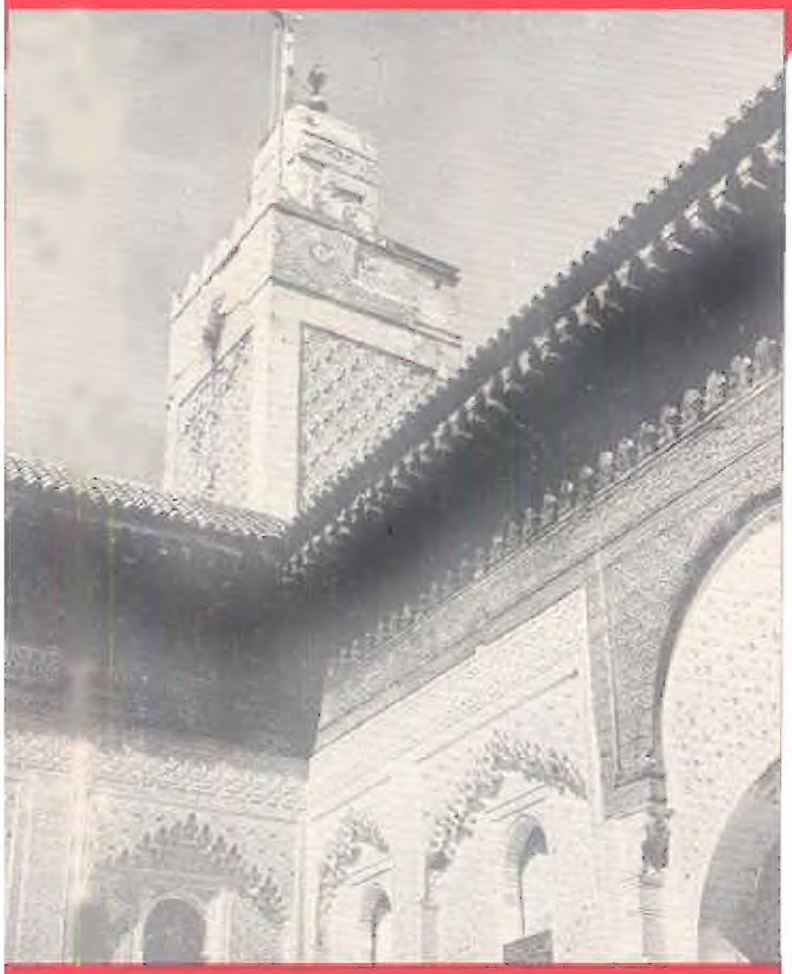

أبعاد الحضارة المغربية
في افريقيا والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي

ملامح من تطور الفرد العربي
في بدايات العصور الحديثة

الإسلام والمذاهب الاشتراكية

أزمة فكر أم فكر أزمة

العددان 7 و 8 ● السنة 18 ● شعبان - رمضان 1397 ● غشت - شتنبر 1977 ● ثمن العدد :

العددان 7 و 8
السنة الثامنة عشرة
شعبان - رمضان 1397
غشت - شتنبر 1977
ثمن العدد : 3 دراهم

دعوة الحق

شهرية تعنى بالدراسات الاسلامية
وبشؤون الثقافة والفكر .

تصدرها وزارة الأوقاف
والشؤون الاسلامية
(مديرية الشؤون الاسلامية)
بالمملكة المغربية
الرباط

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالي :

مجلة « دعوة الحق » — مديرية الشؤون الاسلامية
ص ب : 375 — الرباط — المغرب
الهاتف : 235،85 — 338،30

الاشتراك العادي عن سنة 30 درهما ، والشرفي 100 درهم فأكثر .

السنة عشرة أعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حساب :

مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 . 485 الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485-55 à Rabat

أو تبعث رأسا في حوالة بالعنوان اعلاه :

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

فهرس
العددين السابع والثامن

صفحة		
3	الافتتاحية : الحرية والفوضى في الفكر	دعوة الحق
6	الخطاب الفلكي بمناسبة 20 غشت	
	دراسات اسلامية :	
12	المعرفة	للاستاذ محمد العربي الخطابي
15	الاسلام والمذاهب الاشتراكية	د. محمد تقي الدين الهلالي
22	من مزايا القائد المنتصر	للواء الركن محمود شيت خطاب
26	تأملات في الفقه الاسلامي	للاستاذ حسن المالح
29	بحث في معنى الاله	للدكتور عبد الله بن الصديق
34	فوائد الصوم العسكرية	للواء الركن محمود شيت خطاب
38	في الاسلام وقضايا العصر	للاستاذ حلمي محمد القاعود
44	حديث خرافة في ميزان النقد الحديثي	للاستاذ فاروق حمادة
47	أهمية الايمان للحياة وللجهاد من اجلها	للاستاذ محمد حمادي العزيز
55	من وثائق التاريخ الذي لا يهمل مواقف الرجال	اعداد : الاستاذ مفدي زكرياء
61	امجاد لتكلم والتاريخ يسجل	للاستاذ مفدي زكرياء
70	ابعاد الحضارة المغربية في افريقيا والبحر الابيض والمحيط الاطلسي	للاستاذ عبد العزيز بن عبد الله
75	ملامح من تطور الغرب العربي في بداية العصور الحديثة	للاستاذ محمد المنوني
83	بعض بيوتات وآثار الحرمين الشريفين من خلال الوثائق الدبلوماسية وحجج الوقف المغربية	للدكتور عبد الهادي التازي
87	هل هو سلطان للشعراء	للاستاذ احمد زياد
90	ابن بطوطة	للاستاذ محمد المنوني
96	الشاعر الوزير محمد ابن موسى : دراسة في شعره	للاستاذ محمد المنتصر الريسوني
103	كتب الزواجر والعظات للوزير لسان الدين بن الخطيب السلماني (713 — 776 هـ)	تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة
106	حروب البرتغاليين بالمغرب	للاستاذ احمد مدينة
	دراسات وابحاث :	
113	حلف الشيطان في وثائق التاريخ	للدكتورة بنت الشاطىء
116	همسات ولمزات	للاستاذ محمد بن تاويت
119	الشكوى في شعر ابن زيدون	للاستاذ عبد الرحمن الزياني
127	مقابلة مع الكاتب ثروت اباظة	أجرى المقابلة حلمي محمد القاعود
129	مستقبل الشعر في الشطرين	للاستاذ علي لفزيوي
133	مع الشاعر الغزال	للاستاذ محمد بن احمد اشماعي
140	أزمة فكر أم فكر أزمة !	للاستاذ احمد شوكري
145	منهجية تدريس اللغة العربية	للاستاذ محمد حمزة
150	نماذج من الدعاة : ابو حامد الغرناطي	للاستاذ اسماعيل الخطيب
153	الوجدانيات	للاستاذ عبد القادر زعامة
157	بمناسبة ذكرى عشرين غشت : الزبرقان	للاستاذ احمد زياد
162	في الفكر الاوروبي	
	مكتبة دعوة الحق :	
164	نحو الادب الاسلامي	عرض للاستاذ زين العابدين الكتاني
167	المدخل الى العقيدة الاستراتيجية والعسكرية الاسلامية	عرض الاستاذ حسين احمد العليمي
	ديوان المجلة :	
172	شجرة النبوة	للشاعر الاستاذ المدني الحمراوي
177	السيرة والهدف	للشاعر الاستاذ محمد بن محمد العلمي
180	المولى ادريس والفتح الاكبر	للشاعر الاستاذ عبد الواحد اخريف
183	من نشاط وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية	دعوة الحق
187	شهريات الفكر والثقافة	دعوة الحق
193	شهريات العالم الاسلامي	دعوة الحق

تهنئة

بمناسبة عيد الفطر السعيد تتشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية وأسرة تحرير مجلة "دعوة الحق" بأن ترفع أبرك التهاني وأجمل الأماني إلى مقام حضرة صاحب الجلالة والمهابة أمير المؤمنين وحامي حمى الوطن والدين الملك الحسن الثاني مبدع مسيرتنا الخضراء ورائد نهضتنا المباركة ورمز عزتنا وضامن وحدتنا، والى ولي عهده المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد والى كافة أفراد الأسرة المالكة الشريفة. سائلة الله جلت قدرته أن يديم لجلالته النصر والتأييد وليهما التوفيق وليسدد خطاه ويعينه على تحقيق آمال شعبه الوفي المؤمن في التقدم والازدهار والرخاء. كما تتقدم الى سائر أفراد الشعب المغربي، والى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها سائلة الله العلي القدير أن يعيد هذا العيد السعيد على الأمة الإسلامية وهي ترفل في ظل العز والنصر. إنه سميع مجيب.

الافتتاحية :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحرّية والفوضى في الفكر

● تقوم المذاهب الفكرية والسياسية المعاصرة على دعوى عريضة تتمثل فى الكفاح من اجل اقرار الحرية وضمان ظروفها الملائمة وتمكين الانسان من التمتع بحقه الطبيعي فى الحياة الحرة الكريمة . ومن خلال استقراء الاوضاع فى البلاد التي تمكنت فيها بعض هذه المذاهب من السيطرة على الحكم بشكل او بآخر لا نلقى أثرا للحرية بمفاهيمها الفكرية والسياسية والاقتصادية والانسانية ، ويعيش الانسان فى ظل هذه الاجواء الخانقة اشقى حالات الارهاب والقمع والاضطهاد والحصار المضروب من كل جهة .

ويلاحظ من خلال الجدل الايديولوجي الصاخب فى المشرق والمغرب ان دعاة الالحاد والحقد والتمرد على الفطرة والطبيعة والمشبوهين فى انتماءاتهم لوطنهم وقومهم والضالعين مع اعداء الاستعمار والصهيونية وما يتبعهما من فرق ونحل ، اكثر الناس اثارة لقضية الحرية واعلاهم صوتا فى الدفاع عنها واشدهم حماسا لها ، وفى ذلك ما فيه من تناقض صارخ بين النظرية والتطبيق ، وبين المبدأ والمذهب والممارسة والتنفيذ . ذلك ان ايديولوجيات العصر لا تابه لقيمة الحرية وكرامة الانسان فى مجال الحكم والممارسة السياسية على الواقع الحي ، وبذلك لا نعدو الحقيقة والصدق ان قلنا ان الحرية فى اطار الصراع الفكري المحموم فى وقتنا الراهن ليست الا « ديكورا » وزخرفا وشعارا للاستهلاك المحلي او العالمي على السواء .

● ان حرية الانسان في المجتمعات الآخذة بالفكر الالحادي تضع العقيدة والمذهب بجوانبه النظرية والمادية موضع اتهام خطيـــر . وان اشقى الناس في العالم المعاصر واكثرهم معاناة وحرمانا ومكابدة لصنوف العـــذاب النفسي والجسدي اولئك الذين كتب لهم ان يعيشوا في هذه المجتمعـــات .

لقد اقترنت المذاهب الاقتصادية والسياسية المتطرفة بصور بشعة من الارهاب الفكري الذي يتعامل مع الانسان على اساس القهر والاحتقار والامتهان . ولا احسب انه يسوغ في منطق العقلاء التضحية بالكرامة من اجل الخبز ... بل ان هذه المذاهب باعتبارها حصيلة تخيلات وشطحات ميتافيزيقية بعيدة عن الواقع والمعايشة لا تضمن الخبـز الا بمقدار مـــا يسد الرمق في احسن الاحوال ، بما يؤكد ـ نظريا وعمليا ـ ان ارتبـــاط الخبز بالكرامة والحرية ضرورة حيوية وطبيعية بقدر ما هي غاية انسانية نبيلـــة .

لقد اضحت الحرية شعارا جميلا يتغنى به الحالمون وينخدع بـــه السذج من ابنائنا المثبهرين ببريق الفكر الوافد . ولو اننا تخلصنا مـــن رواسب عهود الانحطاط ونظرنا الى الواقع بالعقل المبـــرأ من الهـــوى والغرض لالفينا ان الحرية في غير الاسلام والقيم الاصيلة لشعبنا سراب وضرب من ضروب الخيال المجنح .

● ان الجولة الاولى التي كسبها الاستعمار الفكـري في البـــلاد العربية والاسلامية انه اشاع في اوساطنا مفاهيم مهزوزة لا تمثل الواقع في شيء . وهو مكر صهيوني ارادوا به اضعاف ثقة المسلمين في قيمهم اولا ثم التمرد ـ في المرحلة الثانية ـ على هذه القيم والكفر بها والغائها من حياتنا اليومية الغاء تاما لا رجعة بعده .

وباعتبار الحرية قيمة جوهرية من قيم الاسلام الخالدة ، فقد طالتها يد التشويه فافقدتها كثيرا من معانيها السامية ومدلولاتها الرفيعـــة ، فانقلبت ـ من جراء ذلك ـ في اذهان فئة ليست قليلـــة من المثقفيـــن والمتعلمين بصفة عامة الى مرادف للفوضى وبديـــل للاستهتار واداة من ادوات تضليل الشعوب وتخديرها واجتذابها الى مواطن الهـــلاك بدعوى تحريرها من عبودية الفكر الخرافي الرجعي ..

● فهل يستقيم للحرية وضع في ظل التمرد والبغي والسفـــه والاعراض عن الديـــن ؟

● وهل من الحرية الخروج عن الشعوب المؤمنـــة وتحـــدي مشاعرها واذلالها بشتى اساليب الاذلال ؟ ..

● ما هي العلاقة بين الدين ـ الاسلام ـ وبين الحرية ، وهـــل ـ حقيقة ـ ان ديننا يحجر على العقل ويكبله بقيود الوهم كما يزعمون ؟ .

الحق انه ليس ثمة من دعوة عالمية أوجدت المناخ الطبيعي والصحي للحرية والكرامة الانسانية غير الاسلام ... ذلك ان مدار الامر كلـــه في الاسلام يدور حول الانسان أولا واخيرا ..

وتلك هي نقطة الاختلاف الجوهري والاساسي بيننا كأمة عربية مسلمة وبين جميع دعاة التخريب والتبعية والعمالة والتمرد على دين الله وكلمته ومنهجـــه جـــل جلالـــه .

والمشكلة ـ ومن الانصاف والحزم ان نعترف ان ثمة مشكلة قائمة ـ كيف نقنع شبابنا بما نؤمن به .. وكيف ـ بالتالي ـ نمد قنوات التبليغ الى عقول فتية تعيش حيرة وقلقا وتجتاز طور المخاض الفكري في معانـــاة حقيقيـــة ...

ان الممارسة العملية لمضامين الاسلام ومعطياته الايجابية الفعالـــة المؤثرة تعتبر في الواقع اقوم سبيل الى تحقيق مجتمع الكفاية والعـــدل والحرية من حيث قصرت او عجزت تماما مذاهب العصر وايديولوجياته في تجسيم الحلم الجميل الذي طالما خدرت به العقـــول وخدعت بـــه القلـــــوب ..

ونعتقد ان طريق الوضوح والمكاشفة والصدق الذي يسلكه المغرب اليوم بقيادة رشيدة وواعية من جلالة الملك الحسن الثانـــي نصره الله حقيق بأن يفضي بنا الى فضاءات الرخاء والاستقرار المستمر باذن الله .

(دعوة الحق)

جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله يقول في الذكرى 24 لثورة الملك والشعب :

• علينا أن نختار ما يمكن لمجتمعنا المغربي أن يقبله وما يمكن أن يرفضه رفضاً باتاً

• ثورة الملك والشعب تجسد الوعي الذي جعل منا رجلاً واحداً

● طمأن جلالة الملك نصره الله شعبه الوفي في خطابه السامي بمناسبة ذكرى ثورة الملك والشعب على سلامة الوضع في صحرائنا المسترجعة . وقال حفظه الله بالحرف الواحد : « يمكنني - شعبي العزيز - ان اطمئنك تمام الاطمئنان وانك لتعلم انني لم اكذب عليك ولن اكذب عليك فان خرافة البوليزاريو كانت خرافة حقا ولم تكن شيئا آخر ، وان ما شهده ورآه ولمسه جنودنا وضباطنا رغم الحرارة ورغم الظروف القاسية ليشجع تمام التشجيع ويطمئن تمام الاطمئنان ، فان بلدك من صحرائها الى بوغازها مطمئنة ناعمة في حفظ من الله سبحانه وتعالى وامانه » وبذلك تم تفنيد جميع الادعاءات الفارغة ودحض الافتراءات المغرضة التي تقف وراءها دائما القوى المعادية للاسلام والعروبة في كل زمان ومكان .

ومن الخطأ الاعتقاد ان المؤامرة المبيتة ضد المغرب وموريطانيا من طرف عملاء الاستعمار والصهيونية والشيوعية تستهدف الارض دون الانسان والفكر . ذلك أن الخطر الذي يتهدد المنطقة يتخطى هذا النطاق الى العقيدة الاسلامية واللغة العربية واستقلال شعوب المغرب العربي المسلم .

وفيما يلي خطاب جلالة الملك :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه .

شعبي العزيز ..

هانحن نلتقي مرة اخرى لنخاطبك حول احياء ذكرى عشرين غشت ذكرى ثورة الملك والشعب .

وان الانسان الذي يريد ان يتكلم عن هذه الذكرى نظرا لعمقها وابعادها ووحيها الرباني وما كتب عنها في الداخل والخارج ان الانسان ليجد نفسه في حيرة تتجاذبه الذكريات والفكر وتقذف به التحليلات والعبر . وان هذه الحالة هي حالتي الان وانا اخاطبك . فكم من وقائع وذكريات وما حف بتلك

جلالـــة الملـــك فى خطـــاب 20 غشت

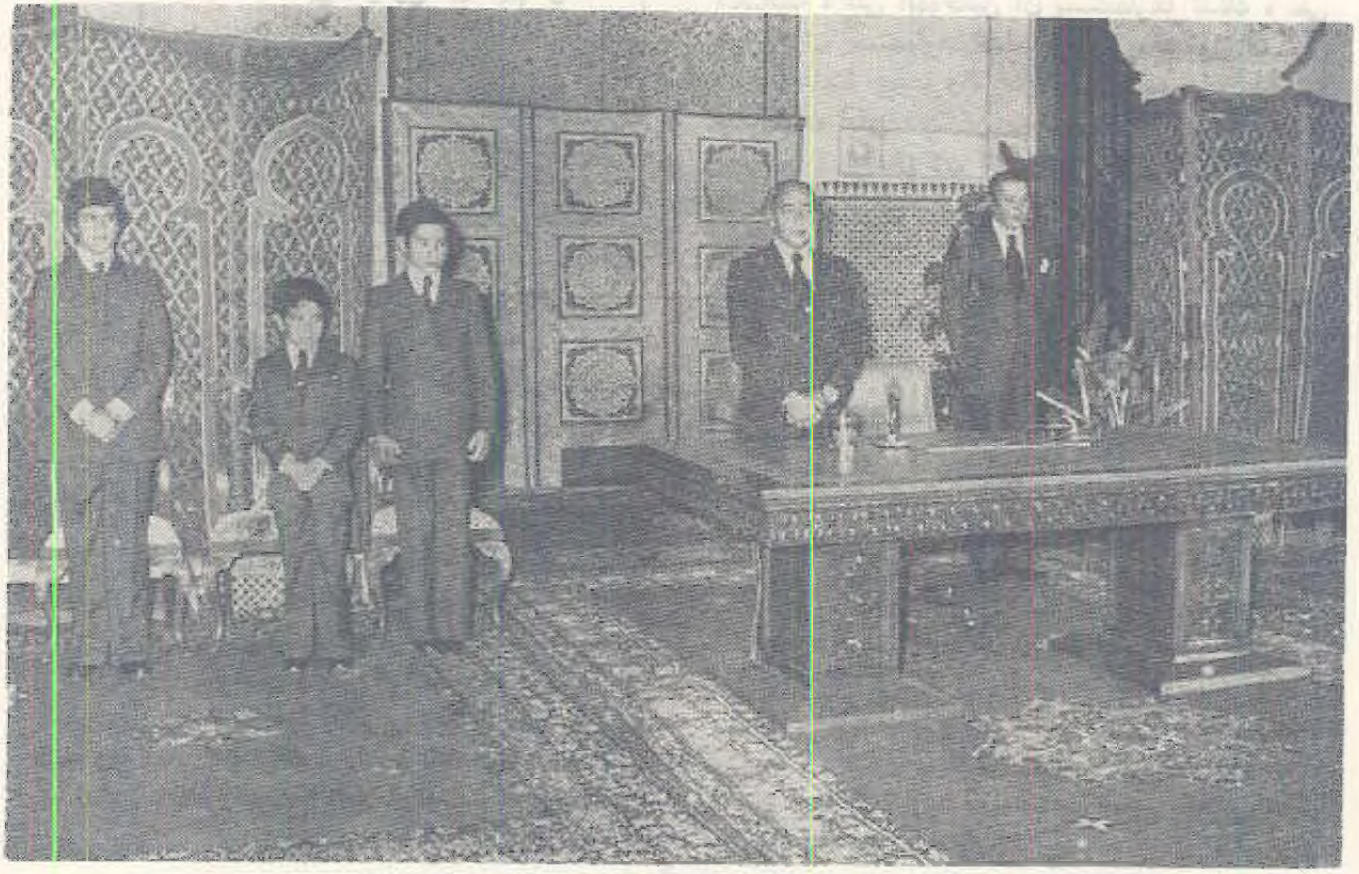

الاصالـــة والاستمـــرار فى ذكـــرى ثـــورة الملـــك والشعـــب

الوقائع وما حف بتلك الذكريات . وقد بحثت عن موضوع حول هذه الذكرى أبادلك فيه الحديث فعثرت على موضوع الجهل وما يتولد عنه من أهمال والوعي الذي تنبثق من نوره التضحية والاستبسال .

وان الجهل الذي أريد أن أحدثك عنه شعبي العزيز ليس الجهل المناقض للعلم . فالنبي صلى الله عليه وسلم كان أميا ولم يكن جاهلا . الجهل الذي يولد الاهمال هو جهل المجتمع والافراد والجماعات والهيئات هو جهلهم بماضيهم أولا وبواجبهم نحوهم ونحو ابنائهم ثانيا . ونرى في تاريخ المغرب كلما نزل الجهل بكلكله على مجتمعنا .

فالجهل هو أهمال المسؤولية كيفما كانت الطبقة الحاكمة وكيفما كان المسيرون وكيفما كان مستوى ذوي الفكر والعلماء في بلادنا . كان القدر المحتوم دائما أن تغيب شمس المغرب مدة ويتقلص ظله لجهل المجتمع والحاكمين والمسيرين والمسؤولين لجهلهم لما يجب عليهم من واجبات وكلما انتشر الوعي، الوعي بمعناه السهل للمشاكل الحقيقية التوجه لحل تلك المشاكل بالجد والجدية والدأب قدما الى المطامح يوما بعد امسه كلما مر المغرب بفترة من هذه الا واشرقت عليه شمس الصفاء واصبح يترعرع في نعيم من التقدم والازدهار .

فذكرى ثورة الملك والشعب تجسد ذلك الوعي الذي جعل منا كرجل واحد ولو كنا على بعد الاف الكلومترات دون اتصال مباشر او غير مباشر نحس احساسات واحدة ونخطط نحو اهداف موحدة . ذلك انه قبل ان ينفي ملك البلاد وأبوها محمد الخامس طيب الله ثراه كان الوعي منتشرا في جميع انحاء المغرب وحتى الذين ضللهم الاستعمار ونصبهم في أعين الخارج كمخاوف حينما شعروا أنهم انما أوتوا كما يؤتى بالاجساد دون الارواح أصبحوا هم الذين يحاربون الاستعمار في الجبال في جبال الريف وجبال الاطلس .

وهكذا شعبي العزيز بمجرد ما علم الشعب ان المسالة مسالة موت أو حياة تجسم فيه ذلك الوعي الذي ذكرته لكن الوعي الذي تنبثق منه شمس التضحية والاستبسال وحتى في التوعية علينا ان نختار ما يمكن لمجتمعنا المغربي وبيئتنا المغربية أن تقبله وما يمكن ان ترفضه رفضا باتا . وأحسن مثال هو نداء شيخنا وأستاذنا العلامة السيد علال الفاسي رحمة الله عليه ذلك النداء الذي القاه من القاهرة في 20 غشت والسيد علال رحمه الله كان اولا عارفا واعيا ولكن كان أيضا عالما بمجتمعه ففي ندائه قال للشعب حارب حتى تستقل البلاد ويرجع سلطانها الشرعي من منفاه وان لم يكن هو فامير الاطلس ولي عهده مولاي الحسن. فهذا الرجل نفسه حينما نادى بالاستقلال والتضحية لم يقل حاربوا او قال حاربوا حتى يستقل المغرب وننظر اذاك في النظام لا . لانه كان اعلم الناس بما يمكن للمغاربة ان يقبلوه . وكان أشد الناس تعلقا باصالة المغرب . فبتوعيته كذلك اختار اساليب التوعية تلك الاساليب التي اضرمت النار وجعلت الاستعمار يعرف الهزيمة تلو الاخرى الى ان رجع محمد الخامس من منفاه حاملا معه الاستقلال والى ان حقق ابنه وخديمكم هذا وعده بالاستقلال في ظل الملكية الدستورية .

شعبي العزيز هذا هو الدرس الذي اريد ان نستخلصه هذه السنة من ذكرى 20 غشت علينا أن نكون واعين وان ننشر الوعي في جميع من يحف بنا لاننا قبل كل شيء راعون وكل راع مسئول عن رعيته كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اذن فعلى المسؤولين السياسيين ان يستعملوا التوعية ولكن التوعية الصالحة ، على الموظفين ان يستعملوها كذلك ، على الوزراء ان يستعملوها كذلك على كل مسئول مسئول عليهم وعلينا جميعا وانا على راس الجميع ، علينا جميعا ان نبقى مجندين مدنيين كنا ام عسكريين مجندين لا للخيال لان التجنيد للخيال لا يتبعه الا الاضمحلال ، علينا ان نبقى مجندين ضد المشاكل الحقيقية لاهداف معينة تابعين خططا معروفة متقنة محكمة فاذا نحن سرنا في هذه الطريق تمكنا دائما كيفما كان المنعطف وكيفما كانت ارتجالات الوقت عرفنا كيف نخرج من الارتجال وعرفنا كيف نستعمل المنعطف لصالحنا لا ضدنا .

ونحن في قريب غير بعيد سنوضع امام امتحانات مثل هذه وستكون عند كل مغربي فاز بثقة ناخبيه منحة رسمية بل اقول منحة مشروعة شرعية نبيث وعيه وليفسر ويشرح فكره وفكرته .

فعلينا اذن ان نبقى دائما مجندين حتى لا نتزلق نحو ما هو ثانوي وننسى ما هو أولي ، والاولي قبل كل شيء شعبي العزيز هو المغرب ومستقبله ودوامه وما الدوام الا لله ودوامه الى انقراض العالم وقيام الساعة . وبهذه المناسبة شعبي العزيز يطيب

لي ان اقول لك انه في الايام الماضية قررنا اجـــراء عمليات ومناورات عسكرية في صحرائنا المسترجعة اولا للنظر بعمق وتدقيق في الحالة وثانيا لاعطاء كميه من الجنود والضباط غير مستهان بها الفرصـــة ان تستعمل الياتها وتقوم في آن واحد بمناورات .

وقد قام بهذه المناورات سلاح الارض وسلاح الجو وسلاح المدفعية وسلاح المصفحات وجميـــع الاسلحة ، وقد كان جنودنـــا يتـــراوح عددهـــم بين 12 الف و 13 الف .

يمكنني شعبي العزيز ان اطمئنك تمام الاطمئنان وانك لتعلم انني لم اكذب عليك ولن اكذب عليك فان خرافة البولبزاريو كانت خرافة حقا ولم تكن شيئـــا آخر وان ما شهده ورآه ولمسه جنودنا وضباطنا رغم الحرارة ورغم الظروف القاسيـــة ليشجـــع تمـــام التشجيع ويطمئن تمام الاطمئنان . فان بلدا مـــن صحرائها الى بوغازها مطمئنة ناعمة في حفظ من الله سبحانه وتعالى وامانه .

فما علينا اذن نحن الا ان نزيد عملا تلو عمـــل وخطى تلو خطى حتى يمكن لجميع من يجاهـــدوا في سبيل هذه الدولة وفي سبيل هذا الشعب اما على نخوم حدوده واما في مكاتبه واما في معامله واما في حقوله حتى يمكن لنا جميعا نحن جنود هذه الامة ان نقوم بواجبنا بالواجب الذي يفرضـــه علينا الديـــن والمواطنة ويفرضه علينا ماضينا الذي نعيشه اليوم.

ففي مثل هذا اليوم ألقى رجل من رجالاتك نفسه واسرته ومستقبله وراء ظهره ليضحي اولا في سبيل شعبه وثانيا ليعطي درسا للعالم على ان العاقـــل لا يظلم فكيف اذا كان امة . والله سبحانه وتعالى لـــم يخيب ظنه ولم يخيب ظن شعبه فيه ولم يخيب ظنه في شعبه وتلاقيا والتقيا ولا زالا يلتقيان روحا وتربية وتلمذة كما نلتقي نحن اليوم يلتقي ابناؤنا ان شاء الله على نفس هذا الطريق المستقيم على نفس سبيل الله الذي لا يعرف الاعوجاج حتى يمكننا ان نؤدي مهمتنا لانه من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلـــوا تبديلا فاللهم اجعلنا منهم واجعلنا في زمرتهم وآخر دعواي آية القرآن : « ربنا لا تزغ قلوبنـــا بعـــد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب » صدق الله العظيم . والسلام عليكم ورحمة الله

البـدء والاسـتمرار

تصويب

وقع بعض تصحيف في مقال « البدء والاستمرار » للاستاذ الكبير محمد العربي الخطابي ، المنشور في العدد السادس (رجب 1397 – يوليوز 1977) من مجلة « دعوة الحق » ، فالمرجو من القارىء الكريم ان يصحح نسخته كما هو مبين فيما يلي :

— في الصفحة 11 ، السطر 13 من العمود الثاني اقرأ : « وعلم آدم الاسماء كلها » (البقرة / 31) .

— في الصفحة 12 ، السطر 21 من العمود الثاني اقرأ : « آل عمران 59 » بدل (آل / 59) .

— في الصفحة 13 ، السطر الثالث من العمود الاول ، ننبه الى ان رقم الآية المستشهد بها هو (البقرة / 21) وفي السطر 22 بنفس الصفحة والعمود ننبه الى ان رقم الآية المستشهد بها هو (طه / 123)

— الصفحة 14 ، السطر العاشر بالعمود الاول ، تصحح الآية الكريمة (لقمان 27) فتكتب « نفدت » بالدال المهملة ، وتقرأ الفاء بالكسر . وفي نفس الصفحة والعمود (السطر رقم 12) ننبه الى ان رقم الآية المستشهد بها هو (آل عمران / 44) .

الصفحة 14 ، السطر 13 بالعمود الثاني ، تصحح السطر الاخير في الآية الكريمة « ثم ان علينا بيانه » (القيامة / 18) .

— في الصفحة 15 ، السطر الرابع من العمود الثاني تصحح الآية الكريمة : « انما انا بشر مثلكم يوحي الي انما الهكم اله واحد » . ونستغفر الله من كل زلة .

دراسات إسلامية

- المعرفة
- الاسلام والمذاهب الاشتراكية
- التدين من مزايا القائد المنتصر
- تأملات في الفقه الاسلامي
- بحث في معنى الاله
- فوائد الصوم العسكرية
- أهمية الايمان للحياة وللجهاد
- في الاسلام وقضايا العصر
- حديث خرافة في ميزان النقد الحديث

في دروب الايمان :

المعرفة

للأستاذ محمد الصرفي الخطابي

المعرفة أقرب الى الصمت منها الى الكلام

أبو سليمان الدارانى

« الله نور السموات والارض »

نوره علمه بذاته وبلوحه وقلمه وباكوانه التي ابدعها .

« مثل نوره كمشكاة فيها مصباح »

نوره قلب العارف ، ومهجة المحب ، ونهج الحيران ، وسراج الواصل .

« المصباح في زجاجه »

بنوره تتلألأ الاكوان ، وتفيض ينابيع المحبة ، وتنجلي اسرار اليقين .

« الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجره مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية »

من خلالها تشع شموس الحكمة ، وتنتشر ظلال الرحمة ، وتهب نسائم السكينة .

« يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار »

لا نار مع نوره ، به تسبح النجوم في الافلاك ، وتسطع قوائم العرش فتتفتح البصائر وتنكشف الحجب .

« نور على نور »

هو القدم يضرب في اللابداية ، والبقاء يمتد في اللانهاية .

« يهدي الله لنوره من يشاء »

والمعرفة نور العقل ، وسطعة البرهان ، وهي « عين الحق »

والمعرفة محبة السالك ، وهي صمت العالم ، وتطق العاشق ، ولا كراهة مع المحبة .

= * =

« فالق الاصباح »

« فالق الحب والنوى »

« يزيد في الخلق ما يشاء »

بعلمه تنفلق نواة العناصر وتتصل ذرات الاشياء، فتتغير العوالم ، وتتبدل الاطوار ، وتنسجم الاضداد، وتتآلف النقائض .

« وما تسقط من ورقة الا يعلمها »

« ويعلم ما في الارحام »

« وما من غائبة فى الارض ولا فى السماء الا فى كتاب مبيـــن » .

بعلمه كان ما كان ، وسطرت الاقلام فى لـــوح الغيب ما سيكون . والكتاب مرآة حقيقته الكونية .

= x =

« وترى الجبال تحسبها جامدة ، وهي تمر مر السحـــاب »

« ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره »

« وله ما سكن فى الليـــل والنهـــار »

بالمعرفة ترى ما ترى من ثبوت او تحـــول ، وتحس ما تحس من سكون أو حركة .

بالمعرفة تكون او لا تكون .

= * =

« لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار »

كل شيء يعلم بعلمه ، ويقدر بقدرته ، ويبصر بنوره . هو الادراك كله ، والبصر كله ، والسمع كله ، والعلم منه واليه ، والقدرة به وله ، ورحمته وسعت كـــل شـــيء .

« هو الاول والآخر والظاهر والباطـــن »

هو وحده فى كل شيء ، فى الزمـــان كـــه ، والمكان كله ، هو فى الجهات المعروفة والمجهولة ، يتجلى فى كل ما خلق وما سيخلق . ولكل شيء سواه حيز من مكان وحدود من زمان ، وأجل من وجود .

« الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجـــدان »

فجمال الزهور منه ، وحياة الدواب به ، وتوقد النجوم منه ، وجريان الماء بأمره ، وانشباط الافلاك بعلمه ، وانتظام العوالم بتقديره .

« ان هذا لهو حق اليقين ، فسبح باسم ربك العظيـــم »

= ◆ =

يا شيـــخ الجبـــل

فى منتصف شعبان من كل سنة يحل موســـم تخليد ذكرى القطب الصالح مولاي عبد السلام ابن مشيش فيهب آلاف الناس الى جبل العلم حيث يوجد ضريحه . وهذه كلمة تحية مستوحاة من ذكرياتـــي البعيدة أيام كنت أشد الرحال مع القاصدين الى جبل العلم فى موسم الزيارة .

يا ساكن الفهـــم ،

كفاك الجبل والعين الباردة والصنوبر العتيق ،

كفاك الفجر الندي واخضرار الريحان الموشى بـــه ثـــراك ،

كفاك تسبيحة اللقلاق فى الاعالي ، وتكبيـــرة الظلال فى الظهيرة ،

كفاك الليل وخلوة الدرب وتهجد النجـــوم فى الدياجيـــر ،

كفاك من الشموع واحدة ، تلك التـــي اضاءت قلبـــك الخاشـــع ،

ومن سناها النبوى « انشقت الاسرار وانغلقت الانـــوار » *

= * =

من قمة « العلم » ، قمة النفح والفيء والبركات ، اطللت على السهل والوادي ، واشرفت على الشجـــد والوهد والمنعرج ، ومن ثم اصرت مطلع الاشـــراق النبوي الذي « فيه ارتفعت الحقائق » فبهر بصرك ، واعترتك الرهبة وامتلأ قلبك حبا وصفاء .

واذ حنت بك السكينة أدركت أن « لا شيء الا وبه منوط » فقويت « الواسطة » وكرمت « الموسوط »

= * =

* كل الجمل والعبارات الموضوعة بين علامات التنصيص اقتبسناها من كلام الشيخ فى صلاتـــه المشيشيـــة المشهـــورة .

يا ساكـــن القمـــم ،

كفـــاك جـــدك العجيـــب ،

كفاك عينه الساهرة ، وأياديه البيضاء المنتشلة ، وبشاشته المفرجة للكروب .

كفاك جدك وكفاني ... أنا القاصد الضعيف ، غرقت رجلاي في الوحل فما افتا امد يدي المرتجفتين علني امسك بغصن السفسافة الظليلة .

لطالما أحببت حمرة الورود ، ونضارة الفاكهة ، وتداوة الخدود ، وشفوف الشفاه ،

كلما استطيبت في الكروم في لفح النهار ، او برودة النجوم في غلس الليل تعتريني هزة فابســـط راحتين مصبوغتين بالخطيئة المغفورة .

في طريقي الى الجبل ، في شعابـــه الوعرة ، احلم بالحوش وبالاس المنثور فوق تربته المبلولـــة بذوب الثلج وعصارة الجذور .

اطرب لغناء السبايا الرائدات وتنفتح نفـــسي لزغاريدهن ، وارقص على ايقاع المزامير والدفوف .

وحينما تملكني الخشية في وحشة الغابـــات وسكون الانهار ، ويشجيني هديل اليمام في الربوع المهجورة اسهر ، واخشـــع ، واذكر ، واتوسل ...

في قلبي رحاب فسيحة للمحبة المبسوطـــة ، تنبثق منها عيون وتنحفر فيها جداول .

يستهويني الجمال المصطبغ بالـــوان الحيـــاة الدافقة فاضعف ، وارتعش ، وازيغ ...

وقد يحملني الهوى نهارا على ظهر الغواية ، وفي الليل افسل بدني في ضياء القمر فاتطهر وفي نفسي من الصبح خوف مكين .

يا ساكـــن القمـــم ،

مدت حواليك الظلال فاثرت « الوحدة » فانت « لا ترى ولا تجد ولاتحس الا بها » .

وقد وجدت في الخلوة سلوة نفسك وطيبـــة ضميرك ، واذ حملت « محفوفا بنصرة الحق الاعلى ، وزج بك في بحار الاحدية جعل الحجاب الاعظم ـ كما رمت ـ حياة روحك وروحه سر حقيقتك ، وحقيقته جامع عوالمك » فشدت اليك الرحال على تباعد ربوع قاصديك ، واقيمت حواليك مواسم الجلال .

فعم صباحا يا بن مشيش ، يا قطب بـــلادي ، يا فرع الدوحة الخضراء ، وعم مساء وقر عينا ، ففي بلادك ، بلادي ، قلوب تندم اذ تاثم ، ونفوس تخشع اذ تسقم واكف تضرع اذ تكلم . وفي بلادك ، بلادي ، سواعد تمهد الارض ، تشق السواقي ، وترفع البناء ، وفيها عيون تفرح بالمطر ، وتستبشر بالزرع ، وتقيم للعشب والزهر والثمر اعيادا وتخضع ، في عـــزة ، للخالق ، وتحمده في كل حال .

يا بن مشيـــش :

عطفة لله ! نحلته المتين نعتصم ، وبجـــدك الشفيع نتوسل ، والى الباريء الكريم نرفع الاكف : في عرفات ، في القدس ، في زرهون ، وفي العيون ..

محمد العربي الخطابي

الإسلام والمذاهب الاشتراكية

للدكتور محمد تقي الدين الهلالي

الاسلام هو الدين الرباني الذي ختم الله به دعوات الرسل وهدايتهم للبشر وهو دين خالد باق الى قيام الساعة له كتاب ضمن الله حفظه من التبديل والتغيير والزيادة والنقص وله سنة محمدية تفسر هذا الكتاب وتوضح معانيه وتبسط أحكامه وتبين قواعده وتشرح فروعه ولم يحصل مثل ذلك لاي كتاب من الكتب السماوية السابقة لانها كانت موقوتة بوقت محدود ينبغي العمل بها بانتهائه . اما القرآن والهداية المحمدية فهما باقيان الى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين لا ينسخهما ناسخ ولا يحدهما حد ولا يقف في طريقهما شيء وان بلغ اعداؤهما في الكيد والمكر كل مبلغ « يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » سورة الصف وقال تعالى في سورة آل عمران « ان الدين عند الله الاسلام » وقال تعالى أيضا : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين فعلى كل من بلغه الاسلام بوجه تقوم به الحجة عليه ان يدخل فيه ويتبعه ويتمسك به وهو دين صالح لكل الشعوب في كل زمان ومكان ومعناه التسليم والانقياد لامر الله باللسان والقلب والجوارح والاسلام في عقيدته واحكامه وآدابه وهي الاخلاق وسط بين طرفين لا افراط فيه ولا تفريط فهو شبيت في عقيدته توحيد الله تعالى في ربوبيته وعبادته واسمائه وصفاته لا يعطي منها غير الله سبحانه مثقال ذرة ولو كان ملكا مقربا أو نبيا مرسلا أو صديقا صالحا .

فاما توحيد الله في ربوبيته فمتبين في نحو قوله تعالى في سورة المؤمنون :

« قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فانى تسحرون بل أتيناهم بالحق وانهم لكاذبون » .

هذه محاجة لمر الله رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ان يحاج المشركين بها فقال له :

« قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعترفون بأن الله رب كل شيء وخالق كل شيء وهو المدبر لشؤون الخلق كلهم ومع ذلك يعبدون معه غيره قل لهم لمن الارض ومن فيها من حيوان عاقل وغير عاقل ونبات بسائر أنواعه وجماد . من خلق ذلكم ومن يملكه ومن يسيره فيعترفون بأن الله وحده هو الذي يملك الارض ومن فيها فقل لهم أفلا تذكرون فلماذا تعبدون معه غيره بالخوف والرجاء والذبح والنذر والدعاء والطلب والالتجاء عند الشدائد والملمات مع ان اولئك الذين تعبدونهم فقراء عاجزين لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا فكيف بغيرهم ثم قال تعالى:«قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم » قل لهم يا محمد قل للمشركين من رب السماوات وما فيها من الكواكب السيارة والنجوم وغير ذلك من الآيات من خلقها ؟ ومن

يدبر شؤونها ؟ ومن رب العرش العظيم ؟ الذي هو سقف المخلوقات ولا يعرف قدره الا الله فانهم سيعترفون ويقولون هو رب ذلك كله قل افلا تتقون الله وتتركون ما انتم عليه من عبادة غيره ، ثم قال تعالى : « قل من بيده ملكوت كل شيء » اي من يملك كل شيء وغيره لا يملك شيئا بل هو نفسه مملوك ومن السيد العظيم الذي يجير اي يحمي من شاء فلا يستطيع احد ان ينابه بأذى ولا يجار عليه ولا يستطيع احد أن يحمي ويؤمن من اراد الله عذابه أو اهلاكه فسيعترفون ويقولون الله وحده هو الذي يستطيع ذلك قل لهم كيف تذهب عقولكم فتشركون مع الله غيره في عبادته ، قال تعالى في سورة الاعراف : « ان ربكم الله الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمة الله قريب من المحسنين » .

قال في اللسان الرب في اللغة يطلق على المالك والسيد المدبر والمربي والقيم والمنعم ولا يطلق غير مضاف الا على الله عز وجل .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات يخبر تعالى انه خالق العالم سماواته وارضه وما بين ذلك في ستة ايام كما اخبر بذلك في غير ما آية من القرآن . واختلفوا في هذه الايام هل كل يوم منها كهذه الايام كما هو المتبادر الى الذهن او كل يوم كألف سنة كما نص على ذلك مجاهد والامام احمد بن حنبل ويروي ذلك من رواية الضحاك عن ابن عباس هـ .

وقوله تعالى : « ثم استوى على العرش » قال فيه الامام مالك رحمه الله الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة وهذا احسن ما قيل في تفسيره فان الاستواء في لغة العرب معلوم معناه وكيفية ذلك لا يعلمها الا الله واعتقاد السلف الصالح امرار آيات الصفات كما جاءت من غير تشبيه ولا تعطيل ثم قال ابن كثير وقوله تعالى : « يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا » اي يذهب ظلام هذا بضياء هذا وضياء هذا بظلام هذا وكل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا اي سريعا لا يتأخر عنه بل اذا ذهب هذا جاء هذا وعكسه « والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره » منهم من نصب ومنهم من رفع وكلاهما قريب المعنى اي الجميع تحت قهره وتسخيره ومشيئته ولهذا قال منبها « الا له الخلق والامر » اي له الملك والتصرف « تبارك الله رب العالمين » كقوله تعالى « تبارك الذي جعل في السماء بروجا » الآية .

قال صاحب المنار : « وبارك الله تقدس وتنزه وتعالى وتعاظم لا تكون هذه الصفة لغيره » هـ والعالمون اجناس الخلق فهو ربهم ومالكهم والمتصرف فيهم وحده لا شريك له وقوله « ادعوا ربكم تضرعا وخفية » قال ابن كثير ارشد تبارك وتعالى عباده الى دعائه الذي هو صلاحهم في دنياهم وآخراهم قيل معناه تذللا واستكانة وخفية كقوله « واذكر ربك في نفسك » الآية وفي الصحيحين عن ابي موسى الاشعري قال : رفع الناس اصواتهم بالدعاء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ايها الناس اربعوا على انفسكم فانكم لا تدعون اصم ولا غائبا ان الذي تدعون سميع قريب » الحديث وعن عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني اسألك القصر الابيض عن يمين الجنة اذا دخلتها ، فقال : يا بني سل الله الجنة وعذ به من النار فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يكون قوم يعتدون في الدعاء والطهور » فرفع الصوت في الدعاء والابتداع فيه من الاعتداء الذي نهى الله عنه وقوله « ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها » ينهى تعالى عن الافساد في الارض وما بعد الاصلاح فانه اذا كانت الامور ماشية على السداد ثم وقع الفساد بعد ذلك كان آخر ما يكون على العباد فنهى تعالى عن ذلك وأمر بعبادته ودعائه والتضرع اليه والتذلل لربه فقال : « وادعوه خوفا وطمعا » اي خوفا مما عنده من وبيل العقاب وطمعا فيما عنده من جزيل الثواب ثم قال تعالى : « ان رحمة الله قريب من المحسنين » اي ان رحمته مرصودة للمحسنين الذين يتبعون اوامره ويتركون زواجره كما قال تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون » قاله ابن كثير في تفسيره هـ .

ولما توحد العبادة فمعناه توحد التوجه والطلب فاذا تقرر ان الله رب العالمين هو خالقهم ومالكهم ورازقهم ومدبر شؤونهم كلها وبكل شيء عليم وهو على كل شيء قدير وجب أن لا يتوجهوا في طلب جلب النفع ودفع الضر الا اليه ولا يتخذوا من دونه وليا ولا نصيرا وانتهى في الاستدلال على ذلك بآيتين في سورة فاطر وآيتين في سورة الاحقاف ففي سورة فاطر قال تعالى بعد ذكر دلائل ربوبيته « ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا

يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير» فاخبر سبحانه ان كل من يدعى من دونه كيف ما كانت مرتبته لا يملك للداعي شيئا من نفع او ضر وان غيره لا يسمع دعاء الداعين وهو يسمع لم يقدر على اجابتهم ولا اسعافهم بشيء مما طلبوا وان المدعوين من دونه سواء اكان ملائكة ام رسلا ام صالحين ام غيرهم سيكفرون يوم القيامة بدعاء من دعاهم في الدنيا وسمى دعاءهم شركا ومعنى سيكفرون يتبرأون .

وفي سورة الاحقاف « ومن اضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » .

فاخبر سبحانه انه لا اضل ولا ابعد عن الحق ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب لهم الى يوم القيامة وهو اي المدعو غافل عن دعاء الداعي ان كان من الانبياء والصالحين فهو مشغول بما اعده الله له من الكرامة والنعيم وان كان من الطالحين فهو مشغول بما اعده الله من العذاب الاليم واذا حشر الناس يوم القيامة وعلم المدعون بدعاء الداعين لهم كانوا لهم اعداء وكفروا بدعائهم وسماه الله عبادة وكذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة في الحديث الصحيح « الدعاء هو العبادة » وفي حديث آخر « الدعاء مخ العبادة » .

رواهما الترمذي واما الاحكام فقد احل الاسلام جميع الطيبات ولم يحرم منها شيئا قال تعالى في سورة الاعراف « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة » .

وحرم الخبائث كلها ولم يبح منها شيئا ومنها الخنزير والميتة والدم والخمر وكل مفسد للعقل الذي هو اعظم نعمة انعم الله بها على البشر واكل الربا والغصب والسرقة والغش والنجش وهو الاختيال في البيع والقذف وهو اتهام المحصنات والمحصنين بالزنا والزنا والسرقة وقطع الطريق واكل اموال الناس بالباطل كالقمار وبيع الغرر وسائر انواع الاحتيال .

واما الادب فقد جاء الاسلام باكمل الادب واكرم الاخلاق فمنها بر الوالدين وصلة الرحم بالاحسان الى الاقارب واكرام الجار كيف ما كان جنسه او لونه او دينه واطعام الطعام وافشاء السلام واكرام اليتامى والرفق بالضعفاء واقامة العدل بين الناس قال تعالى في سورة النحل : « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم » الآية . وامر بايفاء الكيل والوزن ، واوعد على نقصها بالويل قال تعالى : « ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون » وامر بكظم الغيظ والعفو عن الناس ومدح الذين يؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وذم التبذير والاسراف وحث على الصدقة وذم الكبر والعجب والحسد والبخل والرياء والغيبة والنميمة والتجسس وقبول اخبار الفساق بدون تثبت وامر بالصبر والتواضع والتواصي بالحق والتعاون على البر والتقوى ووضع النبي صلى الله عليه وسلم ميزانا دقيقا يميز المسلم الصادق من المنافق المدعي الكذب فقال فيما رواه البخاري ومسلم « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان » وفي رواية اخر بها مسلم : « وان صلى وصام وزعم انه مسلم » قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده رواه البخاري .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : «من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة » يعني من قتل شخصا من غير المسلمين بينه وبين المسلمين عهد لا يشم رائحة الجنة ، وسوى الاسلام بين جميع البشر على اختلاف الوانهم واجناسهم لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى والعمل الصالح غير ذلك من مكارم الاخلاق التي لا تجدها في غيره ابدا ولو ذهبت تعدده لطال بنا القول .

شريعة الاسلام في الاموال

اعلم ايها القاريء الكريم ان للاسلام نظاما اقتصاديا مستقلا مخالفا لنظام راس المال والاشتراكيات بانواعها والشيوعية كل ما يدعى في هذه المذاهب من خير فقد سبق اليه الاسلام قبل التفكير فيها بقرون كثيرة ، وكل ما فيها من شر فقد ابتعد عنه وحذر اهله منه ، فهو يخالف نظام راس المال بفرض الزكاة في الذهب والفضة والابل والبقر والغنم وما يخرج من الارض من حبوب وثمرات والحق في المعدن والركاز وهو ما وجد مدفونا في الارض من الازمنة السابقة وكذلك فرض كفارات ككفارة الايمان وكفارة الظهار وكفارة قتل النفس خطأ وكفارة الافطار في رمضان بلا عذر وحرم الربا وبيع الضرر والبيوع الفاسدة وبذلك ضمن

التوازن النسبي في الممتلكات الثابتة والمنقولة وحفظ الفقراء من استبداد الاغنياء واحتكارهم للثروة ، ولم يحجر على اصحاب الكفاءات بل تركهم احرارا في استخدام مواهبهم واكتساب الاموال بطرق مشروعة اذا ادوا حقهما ، ومن اراد ان يجعل الناس سواء فليس لجهله دواء قال تعالى في سورة النحل « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق » وسبب التفاضل في الرزق التفاضل في المواهب التي بها يكتسب الرزق ولن يستطيع احد من الافراد والجماعات لا بسبب ولا بطريقة ولا بحراث ولا بأي نوع من انواع الارهاب ان يجعل الناس في المواهب سواء ، واذا اختلفوا في المواهب فلابد ان يختلفوا في الرزق ، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ، نزل المطر في ارض يثمر الكمأة بالعامية المغربية « الترفاس » فانطلق جماعة من الناس يبحثون عن الكمأة ثم رجعوا بعضهم حمل عشرين رطلا وبعضهم حمل رطلين وبين هذين درجات كثيرة متفاوتة ، فهل يجب على صاحب العشرين ان يقتسم مع صاحب الرطلين ؟ هذا جور وظلم ، وتلك الامثال تضرب بها للناس وما يعقلها الا العالمون . خرج ثلاثة صيادين الى البحر فوضعوا شباكهم او القوا سناراتهم فخرج كل واحد بما قسم له ، فهل يجب ان يخلطوا ويقتسموا ؟ لا . لا هذا ظلم وجور ، خرج ثلاثة صيادين لصيد الحجل في الهضاب والغابات وآخرون لصيد الغزلان في الصحراء فهل يجب ان يجمعوا ما حصلوا عليه ويقتسموا بالسوية ؟ لا . لا هذا ظلم وجود التفاوت في المواهب يستلزم التفاوت في الارزاق لا محالة ودواؤه فرض الزكاة والقرض بلا منفعة وفرض الكفارات والحث على الصدقات .

الاشتراكية ثلاثة انواع :

النوع الاول :

الاشتراكية القومية وهي التي دعا اليها موسوليني وهتلر وحاصلها ان يعتبر الشعب كله عمالا والحكومة هي التي تتصرف في جميع الاموال فتعين لكل عامل عمله واجره ولا يجوز لاحد ان يرفض ما عينته له الحكومة وليس الا حزب واحد وعلى الشعب ان ينتخب حكومته في ذلك الحزب فهو الوصي على الشعب الذي ينظر في مصالحه في سلمه وحربه . وغاية الحزب والحكومة ان يكون شعبه فوق جميع الشعوب غنى وقوة وسعادة ولكل فرد من افراد الشعب في الحصول على عمل واجر يكفل معيشته ولا عالحق ان يدخر ويملك ما تدر عليه من الممتلكات المنقولة وغيرها بشرط ان يؤدي الضرائب المفروضة والملاك يقولون ان تلك الضرائب ثقيلة وكثيرة حتى انه لا يبقى لهم بعد اخذها الا قليل يعيشون به ويدعون ان حال العامل افضل من حالهم وان الحكومة تحصي عليهم كل شيء هذا مبلغ علمي فيما رأيته وسمعته ولكن لم اسمع قط بوجود رضوة

اما المناصب العالية فهي خاصة بالمنتسبين الى الحزب وهذا النظام لم يعمر طويلا حتى يعلم صلاحه او فساده ولما جر على اهله حربا طاحنة احرقت الاخضر واليابس فان جمهور الشعب الالماني مقت هذا النظام ورفضه ولا يريد العودة اليه ومن المؤسف ان بعض البلدان العربية اختارته وتمسكت به وعضت عليه بالنواجذ ودانت به مع ان اهله تبرأوا منه ، هذا مع ما لهم من العلم والخبرة والتعاون والنجدة وعلى الله قصد السبيل ، ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين .

الاشتراكية الديمقراطية

النوع الثاني :

الاشتراكية الديمقراطية كالتي عليها حزب العمال البريطاني الحاكم واحزاب اخرى في فرنسة والمانية وغيرهما . وهذا النوع من الاشتراكية ليس فيه استبداد ولا خنق لحريات الشعوب وانما يبنى على الدعاية ولا يمنع الملك الفردي لكنه يوجب ان تكون المصالح العامة كالمعادن والمناجم وسكك الحديد وما اشبه ذلك ملكا للحكومة التي تمثل الشعب فهذه الموارد يجب ان تكون ملكا لعموم الشعب لا يستبد باستغلالها فرد ولا جماعة لان ذلك يفضي الى احتكار بعض الافراد والجماعات مقدارا كبيرا من الاموال والممتلكات على حساب ابناء جنسهم وبذلك تنقسم الامة الى اغنياء طاغين قد تفاحش غناهم وتجاوز الحدود وفقراء مدقعين قد تفاحش فقرهم فهم في غاية الذلة والاستكانة لا راي لهم ولا كرامة موطئين بالاقدام عبيدا ارقاء ليس لهم الا السمع والطاعة وذلك ظلم وحيف في نظر الاشتراكية الديمقراطية ولا تمنع هذه الاشتراكية وجود احزاب مخالفة لها لانها كما قلنا لا تنشر مبادئها بالقهر والجبر بل بالدعاية والاقناع وتقدس حرية الراي والكلام والعقيدة والعمل والتنقل .

ولما كان هذا النوع من الاشتراكية يبيح الملك الا ما تقدم استثناؤه خاف من تفاحش الغنى وتعاظم الثروة فنرض ضرائب تصاعدية على قدر الدخل

والمحاصل حتى لا تتسع المسافة بين الاغنياء والفقراء وهذه الاشتراكية لا تتعرض للدين ولا تتدخل فى عقائد الناس ، واقطابها متدينون معظمون لرجال الكنائس متفقون معهم وهم يحاربون نظام رأس المال ويتهمون المتبعين له بانهم كاذبون فى ما يزعمون من الدعوة والديمقراطية لانه متى لم تقيد الثروة بالقيود التى تقدم ذكرها طغى الاغنياء على الفقراء (كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى) ، فالرجل الذي يملك معامل او مزارع او متاجر تحتاج الى آلاف العمال لابد أن يفرض ارادته على اولئك العمال فلا يستطيعوا ان ينتخبوا غيره اذا رشح نفسه ليكون نائبا فى مجلس النواب أو يكون عينا فى مجلس الاعيان . وهذا يتنافى مع تحقيق الحرية واقامة العدل والمساواة التى يزعم اصحاب رؤوس الاموال انهم انصارها . انه انصار عقيدة رأس المال فلهم حجج يدفعون عن انفسهم منها أن الحكومة تستنكر الاحتكار على افراد الشعب وجماعاتهم وتحرمه عليهم وتحله لنفسها ، ومنها ان الاستيلاء على المصالح العامة يعطل حركة التنافس بين الافراد والجماعات فيضعف النشاط ويقل الحماس ؛ ونتيجة ذلك قلة المحاصيل وفرق كبير بين من يشتغل لنفسه ويشتغل فى ما يعود عليه بالنفع والخير العميم وبين عامل يعمل فى مصلحة حكومية لا يهمه ربحها أو خسارتها وانما يهمه الراتب الذي يحصله فى نهاية الاسبوع او فى نهاية الشهر هذا مع اتفاق الفريقين على حرية الرأي والعقيدة وسائر الحريات ولذلك تراهم متعايشين فى شعب واحد متعاونين على ما يرون فيه الخير لامتهم وان اختلفت وسائلهم ، وقد مضى على هذا النوع من الاشتراكية زمان طويل فى بلدان مختلفة وظهر انه صالح للبقاء عندهم

النوع الثالث :

من الاشتراكية ، الاشتراكية التى يزعم أهلها انها مقدمة للشيوعية وتسمى (البولشفية) وهذا النوع : يبنى على سلب جميع الممتلكات وجميع الحريات والمعتقدات ويجعل الانسان آلة صماء يحركها الرؤساء فتتحرك ويتنونها فتئن ، ويأمرونها أن تنطق فتنطق بما يشتهون ، وان تسكت فلا تسكت وان تصلح فلانا فى اول النهار ثم يأمرونها ان تلعنه فى آخر النهار فتأتمر ولا تفكر فى الاشتراكية ، المخلص عندهم هو الذي يكون كالعقل الالكترونى وليس مقصودي بهذا الكلام ان اشتمهم ، ولكنى اريد بيان الحقيقة كما هى فى نظري قد دخلت برلين الشرقية وبقيت فيها اياما وانا اذكر ما شاهدته وخبرته وتحققته .

فاما سلب الاموال والممتلكات فانه لا يجوز لاحد ان يملك ارضا ولا دارا ولا سيارة ولا متجرا ولا يملك الا ثيابه التى على ظهره والا اجرة عمله بشرط ان لا يذخرها لو كان فيها متسع للادخار

ودونك مثلا يعينك على تصور هذه الحقيقة . رأيت فى برلين الغربية سنة 1954 بتاريخ النصارى قبل بناء سور برلين عجوزا تسكن فى غرفة حقيرة من الفندق الذي كنت فيه نازلا فاخبرتنى صاحبة الفندق ان تلك العجوز قبل الحرب كانت لها ثروة طائلة فلما انتهت الحرب بخسران المانيا اراضيها الشرقية استولى الشيوعيون على املاكها كلها ، ولم يبقوا لها منها شيئا لا قليلا ولا كثيرا ، وبقى لها جزء قليل من بيت فى برلين الغربية وقد اعطاها الشيوعيون غرفة فى بيت من برلين الشرقية وجعلوا لها اجرة لسد الرمق وفرضوا عليها ان تشتغل فى كنس الشوارع فهى تشتغل مدة طويلة الى أن يجتمع لها من كراء ذلك الجزء الضئيل الذي تملكه من ذلك البيت فى برلين الغربية مقدار من المال فتنتقل الى برلين الغربية وتستاجر غرفة رخيصة الثمن وتنفق مما اجتمع لها حتى ينقضى ثم ترجع الى الجحيم .

لما بعد بناء السور الذي هو عكس ما قال الله تعالى : (ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب) فلا أدري ما فعل الله بتلك المسكينة وامثالها من الاغنياء الذين قلب لهم الزمان ظهر المجن فاصبحوا بؤساء بين عشية وضحاها بسبب الاحتلال الروسى وفرض الحكم الشيوعى على ذلك الشعب المنكوب . ودونك مثلا آخر شهود عيان أن أهل بيت من الاغنياء (ولا اقول اسرة ولا عائلة) من المانيا الشرقية لما دهمهم الاحتلال الروسى امروا باحضار طعام الضيافة لضباط المقراة سميرا خدمهم بذبح المواشى وطبخ الطعام وتوجهوا الى الغابة وعلقوا فيها حبالا وقتلوا انفسهم خنقا لانهم يعلمون أن الضيوف الثقلاء بعد اكلهم وشربهم الخمور يسلبونهم كل شيء حتى الخواتم التى فى اصابعهم ويطردونهم من ديارهم ومزارعهم ويفرضون على كل من سلبوا ارضه وداره أن يكون بعيدا من الارض المسلوبة او الدار المغصوبة والمعمل مسافة لا تقل عن ثلاثين كيلو مترا ، ومتى وجد فى مكان مقرب من ممتلكاته السابقة اقل من ثلاثين كيلو مترا يعاقب عقابا شديدا .

ودونك مثالا ثالثا من المعلوم أن الشعب الجرمانى الذي يسمونه بالالمان من ارقى شعوب اوروبة مدنية

وحضارة لا يمتري في ذلك أثنان ولا يتنطح فيه عنزان ، وقد انقسمت هذه البلاد الجرمانية ، وهذا هو الاسم الذي سمتها به العرب في علم تخطيط البلدان بعد الحرب العالمية الاخيرة قسمان غربي وشرقي ، فالقسم الغربي مع ما اصابه من النكبات في زمن الحرب الطاحون رجع احسن مما كان يشهد بذلك كل مسافر وسائح راى تلك البلاد . فالمباني التي تهدم ثمانون منها في المائه بفعل قنابل الاعداء اعيدت احسن مما كانت وكذلك المعامل والمزارع والطرق ، هذا في القسم الغربي .

اما في القسم الشرقي فانه خراب كأنه انتقل من يد دولة متمدنة الى دولة همجية ، سافرنا بالسيارة من المغرب فعبرنا المضيق بن سبتة الى الجزيرة وعبرنا اسبانيا فرنسة فالقسم الغربي من المانيا وكان الطريق من كلونيا الى هنوفر التي هي على حدود المانيا الشرقية من احسن طرق اوروبا مشؤما قسمين بينهما حاجز ، وكل منهما تسير فيه اربع سيارات ولا تحتاج السيارة الى توقف ، لان السيارات التي تعبر الطريق عرضا لها ممرات اما تحت الارض واما فوق الجسور ، وقد تعجب من ذلك الحاج احمد هارون ، فقال لي : اريد ان اجرب هل اضطر الى نقص سرعة السيارة ام لا اضطر فبقي ساعتين بمقياس واحد ولم يضطر الى ان ينقص شيئا منه واسماء الامكن وعلامات الطرق والاضواء التي تقوم مقام شرطة المرور ، كل ذلك في غاية الاتقان بحيث كلما يحتاج المسافر الى ان يسأل عن شيء او يضل طريقه هذا في القسم الغربي .

اما في القسم الشرقي ، فالامر بعكس ذلك الطريق مهمل لم يصلح منذ سنين كأنه في صحراء وليس فيه علامات ولا اضواء فتجد السائحين ضائعين يسأل بعضهم بعضا ولا هادي ولا مرشد

والشعب الذي يسكن القسمين شعب واحد لا يختلف الا في نظام الحكم وهناك مثل آخر وهو برلين الغربية وبرلين الشرقية ، من المعلوم ان مدينة برلين مدينة واحدة كانت عاصمة جرمانية كلها قبل الحرب . وبعد هزيمة الجرمانيين في الحرب العالمية الاخيرة اصبحت برلين جزيرة في بحر المانيا الشرقية تحيط بها اراضي المانيا الشرقية من كل جانب ، فاقتسمها الغاليون ، فأخذ الامريكيون والبريطانيون والفرنسيون القسم الغربي منها وحكموه مدة ثم سلموه الى حكومة المانيا الاتحادية . اما القسم الشرقي فبقي تابعا لحكومة المانيا الشرقية تحت نفوذ الروسيين ، وكل من زار قسمي برلين الشرقي والغربي لا يكاد ينتضي عجبه ، يرى القسم الغربي وسكانه ثلاثة ملايين يعيشون في ارغد عيش في غاية الرفاهية والازدهار فترى المخازن والمتاجر ملأى بانواع التحف والبضائع والمطاعم والمشارب والحدائق والملاعب والشوارع غاصة بأجمل السيارات والمباني التي تهدمت كلها في زمان الحرب قد اعيد بناؤها حتى صارت أجمل مما كانت وترى السكان يرفلون في افخر الثياب والزي ، اما اذا اردت ان تدخل الى برلين الشرقية فانك تجيء الى مدخل السور وتسلم جواز سفرك وتعطى بطاقة صغيره وتقف مع صفوف لمراقبين حتى يجيء دورك فتنزل الى سرداب تحت الارض وتنتظر حتى تمتحن في اربعة مكاتب بأسئلة واجوبة ، والمكتب الرابع بعدما يعرف مقدار ما عندك من النقود ويسجلها يرد لك الجواز ، فتدخل في القسم الشرقي وتجده بابا خرابا كان هُبلا اغارت عليه ونهبته ، وابدلت سعده نحسا وعمارته كآبة وسعادته شقاء ، فلا مباني تعجبك ولا اسواق ولا مطاعم ولا سيارات جميلة ولا بضائع في المخازن ، والناس في ثياب حقيرة والنساء لابسات ثيابا خسيسة ، فكأنك خرجت من عالم الى عالم ، فان قلت وما الموجب لبناء هذا السور ؟ فالجواب ان الشيوعيين اي الاشتراكيين كما يحبون ان يدعوا يزعمون انهم وحدهم يعيشون في النعيم في الحرية والديمقراطية والعالم كله يعيش في شقاء العبودية تحت نظام راس المال الطاغي او الاستبداد الظالم ولكن رعاياهم لا تصدق هذا الزعم ، ولذلك لم يزالوا يفرون من ذلك الفردوس المزعوم الى برلين الغربية ، فتنقلهم الطائرات الى المانيا الغربية حيث يستنشقون نسيم الحرية ويشعرون بأنهم احرار يسيرون في ارض الله الواسعة حيث يشاؤون ، فلما عجزت حكومة المانيا الشرقية تحت المراقبة الروسية ان تقنعهم بما تزعم من الدعاوي ارادت ان تضرب سورا على ذلك الفردوس وتنصب عليه الاسلاك الشائكة والرشاشات والحرس المسلح لئلا وتهارا حتى لا يفر واحد من فردوس الشيوعية ونعيمها الى عذاب نظام راس المال وجحيمه ، ومع ذلك كله لم تنقطع الهجرة والفرار وقد هرب من المانيا الشرقية الى المانيا الغربية بواسطة برلين الغربية منذ نهاية الحرب اكثر من اربعة ملايين وحتى بعد بناء السور لا يزال الناس يهربون ويتركون بيوتهم وامتعتهم ويفرون بانفسهم مؤثرين الحرية على كل شيء سواها من متاع الدنيا وحوادث هذا الفرار لا تزال تتلى صباح مساء في الاذاعات على مسامع القراء وما احسن المثل العامي الذي يقول :

« حتى كلب ما هرب من دار العرس » معناه بالفصحى « لا كلب يفر من الدار التى تصنع فيها وليمة العرس بل بالعكس كل كلب يجب أن يأتيها لينال من فضلات الطعام » ومن اغرب ما سمعته من اذاعة لندن فى هذا الصدد ان خمسة وعشرين شخصا اتفقوا على ان يحفروا نفقا ينتدونه من دار احدهم وكانت دارهبقرب السور فقضوا مدة من الحفر كل ليلة يحفرون ساعات ويتركون بعمالهم المفروضة فى النهار حتى اذا صاروا النصف الى مبنى فى القسم الغربى ولما انتهى النصف خرجوا كلهم ذات ليلة وتركوا الدار تفتش عن بنائها وهناك حوادث كثيرة طريفة وعجيبة يعرفها من تتبع مثل هذه الاخبار ، واما سلب الحريات فيجب على كل عضو فى الحزب ان يكفر بجميع الاديان وان يومن بعمله شارل ماركس فى كل ما شرعه واعتقده وليمة ، وكان من ستالين ثالثة ثلاثة الى ان خلفه نائبه وشريكه وكل ما ارتكبه بعد وفاته فبطلت قدسيته عن بعض الشيوعيين وبقت نائمة عن بعضهم . اما من لم يكن من المشتركين فى الحزب فيجوز له ان يقول انه مسلم او نصرانى بشرط الا يرد شيئا ولن يتفق من نظام شارل ولا من الانظمة التى يصنعها الحزب الشيوعى ومع ذلك يكون موضع سخرية واستهزاء . اما فى السياسة فلا يجوز له ان يعتقد الا سياسة الحزب وان تناقضت يتناقض معها مثل الزعماء الذين رفضهم الحزب يجب على جميع الناس ان يقبلوا لهم ظهر المجن ويذموهم بعدما مدحوهم اعظم المدح كتروتسكى وماليونى ومالينوف وخروتشوف !

واما استالين فقد تقدم خبر رفعهم له الى درجة التقديس ثم خفضهم له الى درجة الاجرام . اما حرية العمل فهى معدومة فيجب على كل انسان ذكرا كان او انثى ان يقبل العمل الذي تفرضه عليه الحكومة فى المكان الذي تعينه له بالاجر الذى تعينه له والساعات التى تعينها له ولا يجوز له ان ينتقد شيئا من ذلك والا صار متهما بالخيانة واستحق العقاب الشديد على قدر انتقاده وكذلك حرية التنقل والسفر الى الخارج لا يجوز لاحد ان يفكر فيه وقد شاهدت فى برلين الشرقية الصبيان فى سن 14 سنة يوبخون والديهم ويتهمونهم بالرجعية وعدم الاخلاص للحزب والجمود على الافكار البالية والآباء والامهات يخشونهم والواجب على كل ملك ورئيس من رؤساء المسلمين ان يحفظ شعبه من هذه المذاهب التى تجلب الشقاء والشر ويجب ان تسعى بحق سل الشعوب اذا كان غلاة الشيوعيين وكلهم غلاة يسمون انفسهم انقياء الشعوب فنحن نسعى غلائهم سل الشعوب ولسنا من المتجرين المحتكرين حتى نتهم بأننا نعارضهم محافظة على اموالنا ولكن النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم اوجبت علينا ان ننصح لجميع الشعوب وخصوصا المسلمين ان يبتعدوا من جميع انواع الاشتراكية اسما وعقيدة وعملا . فنى ما جاء به كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم غنية لهم وكفاية ومن لم يسعه ما وسع السلف الصالح فلا وسع الله عليه ومن لم يسعه ما آتى عن محمد : فلا وسع الرحمن ما أتاه على العمد

***

اما التسمية فقد قال الله تعالى : « هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكون شهداء على الناس آخر سورة الحج .

اما العقيدة والعمل فقد تقدم ان الاسلام سبق الى كل خير ونجنب كل شر وكل ما يدعونه من المساواة وابتغاء العدالة بين افراد الشعب ظهر انه غير صحيح فقد اخبرنى السيد احمد موسلى المسلم الالمانى فى بيته ببرلين الغربية قال كنا نعيب على حكومه هتلر انها تدعى الاشتراكيه لتحقيق المساواة بين افراد الشعب ومع ذلك كان طعام الضباط يختلف على طعام الجنود فكان للضباط مطبخ فيه الوان من الطعام ولعامة الجنود مطبخ آخر فيه الوان دونه فى الجودة فلما انهزم الجيش الالمانى وقعت فى اسرى الروسيين فاخذونى الى موسكو وبقيت هناك سنتين فرايت للجيش الروسى خمسة مطابخ بعضها على بعض يعنى ان الطعام عندهم خمس درجات الدرجة العليا لكبار الضباط والثانية للمتوسطين والثالثة لصغار والرابعة للعرفاء والخامسة لعامة الجيش قال فعلمت ان كلام المرتنسيين كاذب فى دعواه الاشتراكيون القوميون والاشتراكيون الشيوعيون كلهم مخادعون وصدق الله العظيم اذ يقول فى سورة البقرة : ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الاخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون . وقال تعالى فى سورة آل عمران يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون » .

مكناس : تقي الدين الهلالي

الاسلام والنصر:

التدين

من مزايا القائد المنتصر

للواء الركن محمد شيت خطاب

— 1 —

عزمت على اخراج كتاب للناس عن : (قيادة النبي) صلى الله عليه وسلم ، اتحدث فيه عن صفات القائد المثالي ، ثم اطبق تلك الصفات على مزايا النبي صلى الله عليه وسلم القيادية ، فهو القدوة الحسنة للمسلمين في كل زمان ومكان ، وهو المثال الرائع للمشرعين والاداريين والسياسيين وللقادة ايضا .

وكان منهاجي في البحث بعد كتابة المقدمة ، دراسة صفات القائد في التراث العربي الاسلامي اولا، ودراسة صفاته في الكتب العسكرية الاجنبية الحديثة ثنيا ، ومقارنة ما جاء في تراثنا بما جاء في المصادر العسكرية الجديدة التي كتبها اشهر قادة الحرب من عهد نابليون حتى اليوم .

وبغير مباهاة بتراثنا العربي الاسلامي واعتزاز: واقرارا للحق وحده ، وبدون انفعال ولا عاطفة ، فقد وجدت أن ما جاء في تراثنا اغزر مادة واكثر تفصيلا واشمل دراسة واعمق فكرا مما جاء في المصادر العسكرية الحديثة ، ابتداء بما قاله نابليون وانتهاء بما سطره مونتكومري في كتابه : (السبيل الى القيادة) الذي صدر باللغة الانجليزية قبل اعوام .

والواقع أن في تراثنا العربي الاسلامي كنوزا من العلم والمعرفة يندر وجودها في تراث آخر لاية امة من الامم ، ولكن المناهج التعليمية التي حرص المستعمر على وضعها ، وحرص ايتامه على اقرارها من بعده ، عملت عملها الهدام في التقليل من شأن تراثنا العريق ، وصورته بصورة المتخلف عن ركب الدراسات العلمية والادبية والفنية ، وجعلت التلاميذ والطلاب يشيحون بوجوههم عنه ، مبهورين بكل ما جاء به الاجنبي .

ومن المؤسف حقا ان تراثنا الشامخ ، اصبح مجهولا حتى من اساتذة الجامعات ، فهم يرددون ما قاله الاجنبي فلان والمستشرق فلان .

لقد قرات مؤخرا بحثا مستفيضا عن مؤرخ عربي قديم ، كتبه استاذ جامعي كبير ، فكانت كل مصادره أجنبية ، ولم (يتواضع) حتى في الاعتماد على مصدر عربي واحد ... ! كان أولئك الاجانب ابتكروا المعلومات التي اوردوها عن ذلك المؤرخ العربي ، بينما الحقيقة هي أن الاجانب نقلوا معلوماتهم عن تراثنا مستهدفين اظهار العيوب واخفاء المزايا .

واذا كان للمستشرقين والاجانب من غير العرب عذرهم الواضح في التقليل من شأن تراثنا العربي الاسلامي ، فما عذر المستغربين العرب في اقتفاء آثار الاجانب والمستشرقين ؟

لقد توخى المستعمر قلع صلة تلاميذ العرب وطلابهم من جذورها بتراثهم الحضاري العظيم والامة التي ليس لها ماض تعتز به لا يكون لها حاضر ولا مستقبل ، لان معرفة الماضي هي وحدها تطوع لنا تصوير المستقبل ، فالماضي والحاضر والمستقبل وحدة لا سبيل الى انفصالها ، ومعرفة الماضي هي الوسيلة لتشخيص الحاضر وتنظيم المستقبل .

— 2 —

في هذه الدراسة سأركز على ما جاء عن (العقيدة) كمزية من مزايا القائد المنتصر في تراثنا العربي الاسلامي أولا وفي المصادر الاجنبية ثانيا (1).
والتراث العربي الاسلامي في الناحية العسكرية

ضخم جدا ، يملأ مكاتب اوروبا ومتاحفها ، وتزخر به مكاتب المخطوطات العربية في شتى اصقاع الدنيا ، ويكفي أن نذكر كتاب فهرست ابن النديم الذي عدد فيه : (الكتب المؤلفة في الفروسية وحمل السلاح، وآلات الحرب والتدبير والعمل بذلك لجميع الامم (2) لنرى اي تراث عسكري اصيل كان للعرب والمسلمين منذ أقدم العصور .

واذا كان الزمن قد ابقى عددا كبيرا من المخطوطات العسكرية العربية ، فكم هو عدد المخطوطات العسكرية التي عفى عليها الزمن ؟

ومن مقارنة ما جاء في كتاب الفهرست لابن النديم عن الكتب العسكرية العربية التي علم بها . بالكتب العسكرية العربية التي وصلت الينا في الوقت الحاضر ، يتبين لنا ان كثيرا من تراث العرب العسكري لا يزال مفقودا .

ولكن ما بقي من المخطوطات العسكرية العربية، يدل على ان العرب والمسلمين بلغوا شأوا بعيدا في العلوم العسكرية النظرية .

وسأنتصر على ايراد ما جاء في ثلاثة كتب من تراثنا العربي الاسلامي عن (العقيدة) وعلاقتها بصفات القائد المنتصر : كتابان منها مطبوعان والثالث لا يزال مخطوطا .

جاء في كتاب (مختصر سياسة الحروب) (3) للهرثمي الذي عاش الى ما بعد سنة (243) الهجرية في باب : (في أن نظام الامر تقوى الله والعمل بطاعته) ما نصه :

« فينبغي لصاحب الحرب ان يجعل رأس سلاحه في حربه تقوى الله وحده وكثرة ذكره والاستعانة به والتوكل عليه ، ومسألته التأييد والنصر والسلامة والظفر ، وان يعلم ان ذلك انما هو من الله جل ثناؤه لمن شاء من خلقه كيف شاء ، لا بالارب منه والحيلة والاقتدار والكثرة ، وان يبرأ اليه جل وعز من الحول والقوة في كل أمر ونهي ووقت وحال ، والا يدع الاستخارة لله في كل ما يعمل به ، وان يترك البغي والحقد وينوي العفو ويترك الانتقام عند الظفر الا بما كان فيه لله رضى ، وان يستعمل العدل وحسن السيرة والتفقد لصغير والكبير بما فيه مصلحة رعيته ، وان يعتمد في كل ما يعمل به في حربه طلب ما عند ربه عز وجل ليجتمع به خير الدنيا والآخرة » (4) .

وجاء في كتاب : (الاحكام السلطانية) (5) لابي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي المتوفى سنة (450) الهجرية عن (العقيدة) في صفات القائد المنتصر : (ان ياخذ جيشه بما أوجبه الله من حقوقه وأمر به من حدوده ، حتى لا يكون بينهم تجور في دين الله ولا تحيف في حق ، فان من جاهد عن الدين كان أحق الناس بالتزام احكامه ، والفصل بين حلاله وحرامه) (6) .

وجاء في كتاب : (الادلة الرسمية في التعابي الحربية) (7) لمحمد بن مكلي نقيب الجيش في سلطنة الاشرف شعبان (764 هـ ـ 778 هـ) وقد الف هذا الكتاب سنة (770) الهجرية : (ان تقوى الله هي العمدة العظمى ، والفوز الاكبر الاعلى ثم قال:

(1) انظر التفاصيل في كتابنا : بين العقيدة والقيادة .
(2) انظر التفاصيل في الفهرست ، ابن النديم ص 314 ـ 315 ، بيروت ، 1964 م .
(3) تحقيق المرحوم عبد الرؤوف عون ، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة ، القاهرة .
(4) مختصر سياسة الحروب ص 15 .
(5) الاحكام السلطانية ، الماوردي ، القاهرة ، الطبعة الثانية 1376 هـ .
(6) الاحكام السلطانية 44 ـ 49 وفيها تفصيل ذلك .
(7) كتاب مخطوط منه نسخة في مكتبة آيا صوفيا (في تركيا) برقم (3839) واخرى برقم (2875)، واعمل الان في تحقيقه واخراجه للناس نظرا لفائدته العظيمة .

ويلزم امير الجيش أن يؤلف بين قلوب رفقائه ، وان يراعي في جيشه ما اوجبه الله من حقوقه ..) .

— 3 —

تلك لمحات مما جاء في التراث العربي الاسلامي عن صفة (العقيدة) في القائد المنتصر .

واكاد المح قسما من القراء يطالبون بايراد ما جاء في المصادر الاجنبية الحديثة عن ميزة (العقيدة) في القائد المنتصر .

واستطيع ايراد امثلة لا تعد ولا تحصى من المصادر الاجنبية ، ولكنني سأقتصر على ايراد ما جاء في آخر كتاب صدر عن القيادة هو كتاب : (السبيل الى القيادة) الذي الفه العشير اللورد مونتكومري ابرز قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية ، وهو قائد معروف اشهر من ان يعرف .

يتساءل مونتكومري : (هل من علاقة للدين بالقيادة) ؟ وهو يجيب على هذا السؤال جوابا جازما فيقول : « ان القائد لا بد من ان يكون متمسكا بمثل عليا وبالفضائل الدينية » .

ومجمل الفضائل الدينية التي يراها مونتكومري هي :

ا) الهدي :

« وهي عادة ارجاع جميع الامور الى الارشاد الالهي ، والى هذه الفضيلة تستند الحكمة والانصاف وحسن التصرف » .

ب) العدالة :

وهي اعطاء كل فرد حقه : حق الله وحق الانسان نفسه ، والى هذه الفضيلة تستند الواجبات الدينية والطاعة والشكران ، وكذلك النزاهة والاستقامة وحسن النية نحو الآخرين » .

ج) الانضباط :

« وهو السيطرة على النفس لغرض تطوير الطبيعة البشرية الى ارفع المستويات للاغراض الاجتماعية والشخصية ايضا ، والى هاتين يستند الصبر والتواضع والصمت » .

د) الجلادة :

« وهي الروح التي تقاوم وتتحمل وتتغلب على محن الحياة واغراءاتها ، والى هذه الفضيلة تستند الشجاعة الادبية والمثابرة وضبط النفس » .

— 4 —

ثم يتساءل مونتكومري : « من هم اعظم القادة في كل الازمان » ؟ ثم يجيب : « انهم ولا شك مؤسسو الديانات العظمى : المسيح ومحمد وبوذا » .

ثم يقول : « هل كانت الحياة الخاصة لهؤلاء الثلاثة احد الاسباب لنفوذهم ونجاحهم ؟ وهل يجب أن تكون حياة القائد الخاصة فوق الشبهات » ؟

ويجيب مونتكومري على ذلك فيقول : « في رايي الخاص في هذه القضية بالذات بل وجميع القضايا الاخرى أن العامل الاكبر هو اخلاص المرء ونفوذه وكونه (قدوة) وخاصة فيما يتعلق بالفضائل الدينية ...

« انني لا ادري كيف يستطيع امرؤ أن يكون قائدا ، ان لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات ، فان لم تكن حياته الخاصة فوق الشبهات ، فلا يحترمه الذين يقودهم ، وسيسحبون ثقتهم منه ، واذا ما حدث ذلك ، فستفقد قيادته تأثيرها ... انني اعتقد أن (الاستقامة) في القضايا المعنوية وفي الفضائل الدينية امر ضروري لنجاح القائد » .

ومونتكومري يعتقد : « أن اصعب الاوامر للقائد هي ان يكون مخلصا اخلاصا عميقا وعظيما وحقيقيا ، ينبعث من القائد من غير أن يشعر به فهو فيه بالطبيعة ، وهو لا يملك الا أن يكون مخلصا . ويضاف الى الاخلاص تكران الذات ، واعني بذلك الولاء التام للقضية التي يخدمها ، من غير أن يفكر في جزاء او تعظيم » .

ويقول : « يجب أن يكون القائد (مستقيما) كل الاستقامة » ثم يقول : « واني اعتقد انه يجب أن يكون

لدى القائد (يقين) باطني مبني على العقل ، ولكنه يعلو مع ذلك فوق العقل » .

وشاء مونتكومري أن يختم كتابه القيم : (الطريق الى القيادة) بخاتمة هي في الحق تهويمة صوفية بكل ما في هذا التعبير من معان ، فهي عبارة عن رؤيا لاقى فيها اباه المتوفى فحدثه حديثا قال له فيه ابوه : « يا بني لا اود ان ابقى طويلا ، واود ان اقول لك : يتحدث الناس في الدنيا كلها عن (الحرية)، ولكن هناك حرية ايجابية واحدة هي حرية الاختيار بين الخير والشر ، وان افضل تعريف لهذه الكلمة التي قلما فهمها الناس هي : أن الحرية التامة هي في خدمة الرب » .

ويضيف مونتكومري الاب مخاطبا ابنه المشير مونتكومري في ختام : « عندما اعاين عالمكم اليوم ، ينتابني القلق احيانا على الجيل الجديد . عندهم مقربات لم تحصل عليها انا وانت ، ويبدو انهم ينضجون مبكرا ، ولكن ذلك يجري في عالم غير مأمون ، وهم يميلون الى ان يجعلوا للامور (المادية) قيمة كبيرة وان يهملوا القيم (الروحية) ... على الشباب أن يتسلح جيدا بالشعور الروحي ، اذا اراد الا ينحرف او اراد الا يجرفه التيار » .

ومن الواضح أن مونتكومري في كتابه هذا : (السبيل الى القيادة) ردد مرات كثيرة ، اهمية تحلي القائد بالدين ، وقد عزا نجاحه قائدا منتصرا اكثر من مرة في كتابه هذا الى تمسكه بأهداب الدين .

— 5 —

وربما يتبادر الى الاذهان السؤال التالي: (كيف انتصر الاتحاد السوفياتي وهم لا يؤمنون بالدين) ؟

والواقع ان الاتحاد السوفياتي قد تساهل مع افراد جيشه في القضايا الدينية ايام الحرب العالمية الثانية ، فأقبل الناس على الكنائس وظهرت الايقونات والصلبان وحملها العسكريون على صدورهم .

ان المرء حين يكون في خطر محدق يرجع عادة الى الله ، ويدعوه أن ينجيه من الخطر .

ولكن السوفييت اذا تخلوا رسميا عن دين الله، فهم قد تمسكوا رسميا ايضا بدين البشر .

وتعصبهم بعقيدتهم البشرية الجاهلية معروف ، وهذه العقيدة مهما يكن أمرها أدت الى اشاعة الانسجام الفكري الذي ادى بدوره الى التعاون في الحرب .

ان العقيدة ضرورية للغاية للقائد وللجنود أيضا، والتمسك بعقيدة فاسدة خير من التخلي عن كل عقيدة ، وقديما قالوا : « لو اعتقد المرء بحجر لنفعه»

وقد كان من جملة اسباب اندحار العرب في حرب حزيران (يونيو) 1967 هو تخليهم عن عقيدتهم السماوية العظيمة .

لذلك انتصرت العقيدة الفاسدة التي يتمسك بها يهود على من لا عقيدة لهم .

ان العرب اذا عادوا الى الله ، فانهم يستطيعون حشد عشرة ملايين مقاتل لمحاربة اسرائيل ، لان نفوس العرب مائة مليون نسمة .

وان المسلمين اذا عادوا الى الله فانهم يستطيعون حشد سبعين مليون محارب لمقاتلة اسرائيل ، لان نفوس المسلمين اليوم سبعمائة مليون نسمة .

فاين تكون اسرائيل لو صدق العرب والمسلمون ما عاهدوا الله عليه ؟

مرة ثانية :

لو كتب عسكري عربي ما كتبه مونتكومري عن علاقة (الدين) بالقيادة ، فماذا كان يقول عنه الناس هنا وهناك ؟؟؟ !!

ان القائد بدون (عقيدة) كالجسد بدون روح ، وان يفلح قائد تخلى عن عقيدته أو كان بدون عقيدة .

وتاريخ الحروب في كل العصور لكل الامم ، خير دليل على ما اقول .

اللواء الركن محمود شيت خطاب

تأملات في الفقه الإسلامي

للأستاذ حسن السائح

تقديـــــــم :

تعتمد كل أمة على أصالتها لتؤكد ذاتها بدلا من ان تكون على هامش شخصيتها باعتمادها على القوانين الاجنبية عنها ، ولهذا يجب ان نظل باحثين ومنقبين في انتاج علمائنا واحكامهم وفتاويهم ، لنستمد منهم ما يساعدنا على التطور والنماء في إطار بناء حضاري محكم ، وليس معنى هذا اننا نقفل النوافذ ونتزمت ، ولكننا سنظل نعتمد على صلابة ارضيـــة حضارتنـــا وثقافتنا ، ونعطي ، ونحافظ ونبني ، ونميز الغث من السمين ، ونفسح المجال لكل التنظيمات الجديـــدة التي لا تصطدم مع أصول شريعتنا وحضارتنـــا ، لا تعصبا لهذه الشريعة وهذه الحضارة ، ولكن صيانة للشريعة الاسلامية من ان تمس ، وحفظا لحضارتنا من ان تقوض وتؤكد التجربة التاريخيـــة ان الشريعـــة الاسلامية لم تكن قط حاجزا دون التطور ، وانـــه لا يضرها أن تأخذ وتغترف ، وتنفي عنهـــا مـــارث من الآراء والنظريات كما أن حضارتنا بطبيعتها مرنة سمحة ، غير متعصبة ولا جامدة بل متفتحة دائمـــا ذات قابلية لكل ما لا يصادم أصولها ، واننا في حاجة الى انتاج بحث موضوعي لنستوعـــب انتاجهـــم ، ونقرا تراثهم قراءة جديـــدة تعتمـــد المصطلحـــات الحديثة ، وفي أسلوب متجدد مقبول لا يتخلى عن الاسس ولا يترك الحاجة الى التطور معطلة ...

واول ما يجب ان تبدا به ، هو عرض الموضوعات وفهمها وشرحها بوضوح ثم فرزها واخيرا صياغتها في اسلوب واضح مع مقارنتها بموضوعات القانون المدني في مختلف المدنيات المعاصرة ، لنعيش عصرنا بكل ابعاده ، ونجدد مؤسساتنا الاجتماعيـــة والثقافيـــة تجديدا واقعيا متكاملا ... وقد اخذنا نشعر بعد ان حققنا الاستقلال السياسي والعمل على الاستقـــلال الاقتصادي بضرورة التركيز على اصالتنا التشريعية بدل ان نتلقف قوانين الامم الاجنبية عنا لان اختلاف التشريعات بين الامم هو نتيجة اختـــلاف الحيـــاة الاجتماعية والاقتصادية بينها ، وايضـــا لاختـــلاف المثل والقيم التي تستلهمها كل أمة وتسير وراءهـــا لتحقق سعادتها وامنها ورخاءها وازدهارها وذلك هو هدف كل تشريع ... والمغرب بلاد اسلامية عريقة اشعري العقيدة ، مالكي المذهب سلوكا واخلاقا ... ولم يصل الى تحقيق هذا النمط الاسلامي الا بعـــد قرون من التجربة والاختيارات المتوالية ، فقد تارجح عبر ماضيه الثقافي بين تشريعات عديـــدة من الدول التي تعرفت به وتعرف بها ، سواء في ايام حروبـــه وتحدياته ، او في ايام سلامه وتآخيه ، حتى حقـــق لذاته شخصية كاملة طبعت قوانينه وانظمته واخلاقه ولذلك فكل اعماله تصدر عن وعي ذاتي اخلاقـــي ، ووعي اجتماعي انساني مميز لشخصيته . واهم هذه الميزة ان الاسلام زواج بين الاخلاق والقانون ولذلك لم يعن المسلمون قط بالقانون المجرد من الاخلاق ، وتبعا لذلك لم يهضموا حقا للدولة او للغير دون حاجة

الى رقابة القضاء ، وذلك لان الشريعة الاسلامية بطبيعتها قادرة على خلق وعي قوي ولان الشريعة الاسلامية تجمع بين التربية الخلقية ، والحقوق الاجتماعية وتصوغ ذلك في عمل الفرد الذي يصبح في سلوكه نزيها مستقيما يؤجر على عمله ، فهذه النزاهة والاستقامة تتجاوز الاعتدال وجاء الثواب على اخلاصه للمجتمع كله ووفائه للانسانية جمعاء ؛ لان العمل عبادة والاسلام قول وعمل .. ولا تتحقق القيم الاخلاقية في البلاد الاسلامية الا بدعم ديني يبنى على اساس الايمان بالله وبرسالة الرسول عليه الصلاه والسلام ، وعلى عدالة الشريعة الاسلامية الصالحة لكل زمان ولكل بيئة ، تلك الشريعة المرنة التي تقر الاجتهاد والاستحسان ، والمصالح المرسلة ، وسد الذريعة والعرف والعادة وكل ما يخدم الانسان ويطوره ، ويحقق سعادته ، بل ان الاسلام لا يمكن ان يعوق اى تطور للمصالح الانسانية .. وتلك احدى خصائصه .. وقد جاء الاسلام ليحرر العقل الانساني ويقضي على رواسب الكهانة والخرافه والاستغلال ، ويصلح الفرد والمجتمع ، ولذلك فان ركائزه التي بني عليها نظامه هي العقيدة الصافية والخلق القويم ، والتنظيم المحكم والعدل الاجتماعي في المعاملات الاقتصادية ، وهذه المعاملات تضمن الحقوق المدنية وحسن المعاشرة والتآزر الاجتماعي، والحقوق والالتزامات ، فالحقوق المدنية يضطلع القانون والفقه بمسؤولية تطبيقها على أساس الشريعة الاسلامية ، والمعاشرة الطيبة المتآزره يسود عليها المجتمع كله . وهذا ما يجعل المجتمع الاسلامي يعيش حياة موفورة العدالة والكرامة والسعادة لخدمة الصالح العام ، وتطبيقا لذلك فالشريعة الاسلامية اعطت للائمة والعلماء كل الصلاحيات للعمل على اصلاح المجتمع ، فالامام له صلاحيات تشريعية وتنفيذية غير محدودة ، وله اصدار الاوامر الزمنية التي تعتبر الآن في الدول المعاصرة (السلطة التشريعية) واعماله كلها تقوم على رعاية الاصلاح . واذا كان من الواضح أن القانون انما هو لخدمة المواطنين فان من الاستيلاب ان يظن بعض فقهاء القانون المعاصرين ان الشريعة الاسلامية لا تستطيع مواجهة امشاكل المعاصرة ، وليس يخاف ان جانب المعاملات في الشريعة الاسلامية اذا كان يرتكز على الثوابت كحسن النية والرضائية والمسؤولية فانه في نفس الوقت يعتمد على (المتحرك) في ميدان القانون مستوحيا ذلك من المصلحة العامة والتيسير والضرورات ، زيادة على مرونة الفقه الاسلامي وما نجد فيه من قابلية للاخذ من تجربة المؤسسات المعاصرة والاصطلاحات الجديدة . ويهمنا ان نلاحظ ان الاحكام الفقهية تنقسم الى عدة اقسام من جملتها الاحكام المتعلقة بافعال الناس ومعاملاتهم في الاموال والحقوق ، وكذلك الاحكام المتعلقة بسلطة الحاكم والحقوق الواجبة في الرعيه ، والاحكام المتعلقه بالآداب الاجتماعية وما يدخل في ميدان الاخلاقيات من استقامة في السلوك . وكما اكدنا من قبل . فان الاسلام يعتمد العبادة والحضور الالاهي ومراقبة الخالق جل علاه في السر والعلن ، لانه دين روحي ومدني معا ، يؤلف بين الاخلاق والمعاملات ، ويحرص على عمل الحلال وترك الحرام ، في تشريعات واضحة، والقيم الانسانية شيء موجود ، موجود غير وهمي والمثل الاعلى بين واضح في الكتاب والسنة ، فلا مجال للعبث والتلاعب والغش والخداع ، ولذلك فالمسلم قادر على حفظ مجتمعه لانه طوع اوامر خالقه الهادفة لخيره وهو وحده المسؤول عنها ، ومهما تصدر السلطة من المراسيم والقوانين لمكافحة التلاعب والانحراف فان الانسان قادر على الملاءمة بالتصوص والتحايل عليها لان العقل البشري له قدرة على الابتكار والحيل لا يكبح جماحها الا رقابة الخالق في السر والعلن وبذلك اذا اضفنا هذه الرقابة الدينية لمرونة الفقه الاسلامي وقدرته على التكيف والتطور لتحقيق المصالح ودرء المفاسد ، وسد الذرائع ومراعاة تغيير الازمنة والبيئات ظهر واضحا ان اى حد يضمن الاسلام للمجتمع الانساني السعادة والاطمئنان .

ان رجال القانون سوف لا يجدون في التنظيمات الاسلامية الشرعية ما يخيف ، بل على العكس سوف يجدون في الشريعة الاسلامية هدفهم الانساني لتحقيق العدل والمساواة ، فالفقه الاسلامي متطور لانه اعتمد على التوابث وهي الكتاب والسنة والاجماع ثم فتح باب الاجتهاد الذي لم يسد أبدا رغم زعم كثير من الفقهاء انه سد بعد عصر الائمة المجتهدين المعروفين ... والاجتهاد في الفقه الاسلامي هو اكبر دليل على حيوية الفكر الفقهي وتطوره ... وسوف يجد رجال القانون فيما كتبه الفقهاء المسلمون في ميدان التنظيمات المدنية والاصلاحات الاجتماعة والسهر على حقوق المواطنين بمختلف الاساليب مجالا خصبا لحركة الفكر القانوني وحيويته لخدمة المجتمع المغربي الحديث الذي كما تحرر من الرواسب السياسية والاقتصادية ، سيتحرر حتما

من الرواسب القانونية . نبعث هذه الدراسات الاصلية التي سيستفيد منها المجتمع بدلا من الاغراق في الدراسات والنظريات الاجتماعية ، سواء من الجانب الستاتيكي او من الجانب الحركي بفصلهما او بعدم فصلهما ... او في النظرية الاجتماعية الغربية لتنظيم العلاقات المتجاورة للجانب الاقتصادي ... كل ذلك نقل حرفي لنظريات غربية لا يستفيد مجتمعنا منها ، ان لم يكن يزداد ارتباكا ، وتارجحا وابتعادا عن عدسة المكبرة . اما العودة الى الاصول السليمة لتنظيم العلاقات الاجتماعية في اطارها الفطري التلقائي ، وتطورها على اساس قاعدتها الاصيلة المتينة ، فذلك ما يضمن لنا التطور والعدالة الاجتماعية الحقة .

ان المجتمع المغربي يتسم بشخصية قوية ملتزمة متماسكة ولهذا فقد توفرت عوامل الوحدة الوجدانية والفكرية في الحفاظ على قوة شخصيته .. وتظهر هذه العوامل واضحة عندما يرد عنه غارات المعتدين على شخصيته لذلك استطاع بسهولة ان يحطم امبراطورية روما التي لم تعجز عن استيلاء على اوروبا .. وان يثور في وجه الخلافات المذهبية المسيحية ويجد في الاسلام عامل الوحدة لانه وجد فيه شخصيته ومسايرة لهذه النزعة كان سنيا مالكيا متضامنا في مذهب فقهي واحد واشعري العقيدة دون الخوض في الخلافات العقائدية ثم صوفيا على طريقه التصوف الجنيدي السني ، ورغم ظهور بعض النزعات المذهبية فانها ظلت ضعيفة محدودة لم تنل من وحدته ، وكانت هي نفسها في صميم الوحدة وعاملا في خلق حوار ايديولوجي .. ولم يعرف الا بعض الفرق الضالة كالمكاكزة التي تكلم عنها اليوسي وقاوم ضلالاتها ... كما لم يعرف الانعزالات طائفية او شخصية كانت .

وكم حاول المستعمرون تفويت الاصالة الاسلامية والحضارة المغربية ، ولكن لم ينجحوا في تقليم اظفار المغاربة ، سعوا الجهد لتقوية الحضارة الغربية عن طريق تفويت اللغة العربية سواء على يد المستعمرين والمستشرقين وتفويت العقيدة الاسلامية على يد المنصرين .

وللمغرب شخصيته الحضارية التي تعتمد على تقدير الانسان والايمان به فهي تقدر كرامته وتوصي باحترامه وتعتبره عضو بناء وتشييد ، يراه القانون بريئا الى ان يظهر اتهامه ، صادقا الى ان يظهر كذبه ، وتزيها الى ان تظهر سرقته عكس الثقافة الغربية التي يرى الانسان فيها اقرب الى عدم الاستقامة يؤخذ بعين الحذر والشك سواء في اقواله او في تصرفاته ... ومن هنا كان الفقه الاسلامي انسب لعقلية المغربي ونظامه الاجتماعي والشخصي .

(يتبع)

مصادر معتمدة وللتوسع :

— الموافقات . . . . . الشاطبي

— المدخل الفقهي العام . . . . مصطفى الزرقاء

— اصول الفقه . . . . . للخضري

— الملل والنحل . . . . . الشهرستاني

بحث في معنى الإله

للدكتور عبد الله بن الصديق

لفت نظري — حين تدريسي للطلبة شرح البناني على السلم بزاويتنا الصديقية — انه مثل بلفظ الاله ، لنوع من الكلي فلم يعجبني هذا التمثيل ، وكتبت عليه ثمان ملاحظات ، احببت ان انقلها الى القراء الكرام

قال صاحب السلم :

فمنعه اشتراك الكلي
كالند وعكسه الجزئي

قال العلامة البناني في شرحه :

يعني أن الكلي ، هو الذي يفهم الشركة في معناه : اي لا يمنع نفس تصور معناه ، من صدقه على متعدد ، كانسان واسد . فدخل في تعريف الكلي انواع ، فذكر النوع الاول ، ثم قال :

وثانيها : ما وجد منه فرد واحد ، اما مع استحالة وجود غيره ، بدليل خارج عن تصوره ، كالاله اي المعبود بحق ، فان مجرد تصور معناه ، لا يمنع من صدقه على متعدد ، لكن قام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالالوهية ، واستحالة ثبوتها للغير .

وتفسير الاله بالمستغنى عن كل ما سواه ، المفتقر اليه كل ما عداه ، لا يمنع كونه كليا . اذ لا يوجب تشخصه ، لانه بهذا المعنى يحتمل ان يصدق على كثير ، على سبيل البدلية اهـ .

وقال محشيه العلامة علي قصارة :

كان ينبغي اسقاط هذا القسم من اقسام الكلي ، لانه موهم في مقام الالوهية ما لا يصح في حقه تعالى من العدد والجسمية والتركيب . فلا ينبغي اطلاقه ، كما صرح به القرافي في شرح التنقيح ، ونصه : اطلاق لفظ الكلي على واجب الوجود ، فيه ايهام ، تمنع من اطلاقه الشريعة ، فلذلك تركته ادبا اهـ .

قال سيدي عيسى السكتاني : وكذا الجزئي ، يوهم النسبة الى جزء الشيء الموضوع للمجموع ، فذلك

مستحيل في حقه تعالى اهـ . علم من هذا أن اطلاق لفظ الكلي على الاله ، لا يجوز شرعا ، للايهام المذكور ، (1) وهذا اول خطأ من ابيناني رحمه الله .

الثاني : ـ ويشاركه فيه القرافي واهل المنطق ـ ان الاله ليس بكلي ، بل هو خاص بالله تعالى كالرحمن. وفي الناس كثيرون ، اسمهم عبد الاله .

قال الفيومي في المصباح المنير : الاله المعبود ، وهو الله سبحانه وتعالى . ثم استعاره المشركون لما عبدوه من دون الله تعالى اهـ .

وقال الراغب في مفردات القرآن : واله حقه ألا يجمع ، اذ لا معبود سواه ، لكن العرب لاعتقادهم أن ههنا معبودات جمعوه ، فقالوا : الآلهة اهـ .

وفي القرآن الكريم (ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان). وهذه الآية ، من ادلة القائلين بأن اللغة توقيفية .

تبين من هذا أن الاله علم خاص ، كما قلنا .

وانه لتضمنه معنى العبادة ، اطلقه العرب على معبوداتهم على سبيل الاستعارة .

وتوهم اهل المنطق أن هذا اطلاق حقيقي ، فزعموه كليا ، مع انه علم خاص .

ونظير هذا : اطلاقهم لفظ حاتم على الكريم ، اشتقاقا من معنى الكرم الذي اشتهر به حاتم الطائي المعروف ، ولم يخرجه ذلك الاطلاق ، من علميته الشخصية .

كذلك لفظ الاله ، لا يخرجه اطلاقه على المعبودات ، اشتقاقا من معنى العبادة ، عن علميته الخاصة بالله تعالى .

الثالث : أن الكلي انما يتأتى في الممكنات ، كالنبي والملك والعرش والكرسي والروح والقلم والسماء والشمس والقمر والفلك والكواكب والروح والنفس والانسان والحيوان والنبات وما الى ذلك ، مما يتركب من اجناس وفصول ، ويدخل في دائرة المقولات (2) العشر المجموعة في قول القائل :

زيد الطويل الابيض ابن مالك
ببيته بالامس كان متكئ
بيده غصن لواه فالتوى
فهذه عشر مقولات سوا

اما واجب الوجود سبحانه ، فهو منزه عن ذلك.

ليس شيء من اسمائه وصفاته كليا يتركب من جنس يشترك به مع غيره ، ولا من فصل يميزه عنه .

بل اسماؤه وصفاته خاصة به ، لخصوص العلم الشخصي بمسماه .

الرابع : أن الكلي ، لا يتصور كونه محالا ، اذ هو ما له جزئيات موجودة كالحيوان،او ممكنة الوجود، كجبل ياقوت .

والمحال ، عدم محض ، ليست له صورة في الذهن ، ولا يمكن أن تكون له صورة ، بل لا يدرك الا بطريق التشبيه ، كأن يعتل اجتماع السواد والحلاوة في العنب مثلا ، ثم يقال : مثل هذا الاجتماع لا يكون بين السواد والبياض . واحيانا لا يمكن تقريبه بطريق التشبيه ، ككون الشيء موجودا معدوما في آن واحد.

فكيف يتصور كونه كليا له جزئيات ؟ !!

والذين اعتبروا الاله وشريك الباري ، كليين مخطؤون واهمون ، لم يعرفوا معنى المحال على حقيقته

---

1) صرح العلماء ايضا بأنه لا يجوز وصف علم الله بأنه ضروري ، وان كان له معنى صحيح ، لايهامه معنى لا يليق بالله تعالى .

2) اخذت هذا العلم عن شيخنا العلامة المحقق الشيخ العباس بناني بجامعة القرويين اعاد الله لها مجدها . وهو احد اربعة علماء عرفوا بالتحقيق ، وثانيهم : العلامة مولاي عبد الله الفضيلي ، اخذت عنه رسالة الوضع ، ومقدمات جمع الجوامع . وثالثهم : العلامة الشيخ الراضي السنائي صاحب الشذرات ، اخذت عنه بعض جمع الجوامع . ورابعهم : العلامة مولاي احمد القادري ، اخذت عنه باب الجنايات من المختصر بشرح الخرشي ، واجازني اولهم بما يرويه عن سيدي احمد بن الخياط رحمهم الله جميعا ، وانابهم رضاه .

أو اشتبه عليهم الامر ، حين وجدوا كليا جزئياتـــه معدومة ، كجبل ياقوت وبحر زئبق ، فاعتبروا المحال كليا مثله . لكن بينهما بون شاسع ، لان الممكن المعدوم قابل للوجود. وقد اخبر الله ان في الجنة انهارا من لبن لم يتغير طعمه ، وانهارا من خمر لذة للشاربين، وانهارا من عسل مصفى .

وهذه أمور ممكنة غير موجودة في الدنيا ، وهي موجودة في الآخرة .

أما المحال ، فانه مغرق في العدم ، لا يقبـــل الوجود بحال ، لا في الخارج ، ولا في الذهن . ووجود جزئيات الكلي ، مترتب على وجود صورة له في الذهن. والمحال لا صورة له ، ولا يذكر الا منفيا . والخلاصة: أن الكلي لا يكون الا في الممكنات فقط ، دون الواجب والمحال .

الخامس : قول الغنائي في بيان كلية الاله : مجرد تصور معناه ، لا يمنع من تعدد مصدوقه . لكن قـــام الدليل القاطع على وجوب انفراد الله تبارك وتعالى بالالوهية ، يشتمل على تناقض .

اذ حاصله : ان الاله مصدوقه جائز التعدد عقلا.

والاله واجب الانفراد في واحد عقلا .

وهذا تناقض واضح ، لاخفاء فيه .

السادس : وهو مبني على ما قبله — : ان جواز تعدد الاله ، ثابت . وقيام الدليل القاطع على وجوب تفرد الله بالالوهية لا يمنع منه ، لان جواز التعـــدد مفهوم الاله ، فهو ذاتي ، وما بالذات لا يتخلف ، وفي هذا من الخطر ما لا يخفى ، بل هو هدم للتوحيد .

السابع : أن زيادة لفظ « يحق » في معنى الاله، لا اصل لها في اللغة ، ولا علاقة للعقل بها . فالاله هو المعبود ، وكونه معبودا بحق ، حكم شرعي . والحكم لا يدخل في الحد ، قال صاحب السلم :

وعندهم من جملة المـــردود

ان تدخل الاحكام في الحـــدود

الثامن : قوله ايضا : تفسير الاله بالمستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليه كل ما عداه ، لا يمنع كونـــه كليا ، اذ لا يوجب تشخيصه ، لانه بهذا المعنى يحتمل ان يصدق على كثير على سبيل البدلية اهـ .

اغراق في الخطأ ، وتشبث به الى حد المزمت، حتى انه لم يفرق بين ما يعين المسمى ويخصصه ، وبين ما ليس كذلك .

ومن البدهيات في علم المنطق أن التشخص في الجزئي ، يمنع الاشتراك فيه . فانسان كلي ، يقبل الاشتراك . وزيد جزئه لا يقبل الشركة ، لتشخصـــه وتعينـــه .

فلو فرضنا أن الاله بمعنى المعبود كلي كما قال، فان تفسيره بالمستغنى عن كل ما سواه المفتقر اليـــه كل ما عداه ، تخصيص له بما لا يشاركه فيه غيره من المعبودات ، فهو بمنزلة التشخص في زيد .

ذلك ان المعبودات بجميع انواعها من ملائكـــة وانس وجن وحيوان واصنام ، لا يجيز العقل في شيء منها أن يكون مستغنيا عن كل ما سواه ، مفتقرا اليه كل ما عداه .

لانها ممكنة ، والممكن لا يستغني عن المخصـــص والمخصص .

التاسع : قوله : اذ لا يوجب تشخصه ، والجواب: ان يقول : اذ لا يوجب تعينه . لان التشخص لا يجوز ان يضاف الى الله سبحانه وتعالى (3) .

---

(3) وحديث : لا شخص اغير من الله ، من تصرف بعض الرواة ، ولفظه الثابت في اغلب الطرق : لا احد اغير من الله ، وفي رواية : لا شيء اغير مـــن الله على ان النووي في شرح مسلم اول : لا شخص بلا احد ، وقال : عبر بشخص عن احد استعارة . وقيل : لا يدل الحديث على اطلاق لفظ شخص على الله . وانما يدل على وصفه بالغيرة . لان افعل من « يدل على المشاركة في الصفة فقط . يقال : لا خيل اسرع من فلان . وكان يقال في مسلمة بن الاكوع : اسرع من الخيل .
بوضحه : انك لو قلت : لا انسان اغير من الله ، لم يفد ان الله يسمى انسانا .

يرد في هذا المقام ثلاثة ايرادات ، نذكرها مع الجواب عنها .

1 — دعوى أن المحال ليس بكلي ، يخالف ما أطبق عليه اهل المنطق من اعتبار شريك الباري كليا ، وكذا الاله ، وان يذكره بعضهم تأدبا كما مر ، وتعريف المحال يقتضي كليته ايضا .

والجواب : مسائل المنطق ، يعمل فيها بما يقضي به العقل والفكر السليم ، لا بالاجماع او قول الاكثر .

والمنطق الحديث ، أبطل نظريات أطبق عليها القدماء في المنطق القديم .

ومما لا يخفى على دارس : ان الكليات مبادئ التصورات التي هي حدود ورسوم ، لماهيات الموجودات الممكنة .

فالحدود والرسوم ، تتركب من اجناس وفصول وخواص ، كما هو معلوم
والموجودات نوعان .

موجودات بالفعل ، كالانسان والشمس .

موجودات بالقوة ، كنهر لبن وبحر زئبق وجبل ياقوت . فان هذه الاشياء ، ممكنة الوجود ، وامكان الشيء كوقوعه ، فهي موجودة بالقوة .

والكليات التي تدخل في التعريف ، تقع على اشياء موجودة في الذهن او الخارج او فيهما .

والمحال لا يتصور في العقل وجوده ، ويسميه الحكماء منفيا .

وحكى شارح العقيدة الطحاوية اجماع العقلاء على أن المحال ليس بشيء .

والخلاف الذي حكاه صاحب جمع الجوامع بقوله : فعلى الاصح المعدوم ليس بشيء ولا ذات ولا ثابت ، انما هو في المعدوم الممكن ، كما قيده به شارحه الجلال المحلي ، فثبت أن المحال ، لا يكون كليا .

والعقل لا يمكنه أن يتصور شخصا قائما قاعدا ، ولا ثوبا ابيض اسود .

وبالضرورة : لا يمكن تصور أفراد لما لا يمكن تصوره في نفسه .

2 — قال الشيخ سعيد قدورة ، في بيان افراد الكلي الممتنع :

فان الجمع بين البياض والسواد ، جمع بين الضدين ، والجمع بين القيام والقعود ، جمع بين الضدين . والجمع بين الترقي والتدلي ، جمع بين الضدين . فتبين أن الجمع بين الضدين ، واقع على كثيرين ، وافراده كلها ممتنعة الوجود في الخارج أهـ .

وهذا الكلام ، يشتمل على اوهام :

1 — أن الجمع بين الضدين ، مثال لمحاولة فعل المحال الذي هو اجتماع الضدين .

2 — أن افراد الكلي ، ما يتحقق فيها مفهومه كالانسان ، يتحقق في جزئياته مفهومه الذي هو حيوان ناطق .

وهذا انما يتأتى في الماهيات الممكنة التي يتمايز افرادها بالتشخيص وغيره ، في الوجود الذهني او الخارجي .

وماهية المحال ، عدم بحت . لا تقبل الوجود في الخارج ولا في الذهن والعدم لا تمايز فيه بين المعدمات.

3 — ان الكلي ، انما يطلق على شيء موجود بالفعل او بالقوة ، والمحال ليس بشيء ، كما مر بيانه .

4 — أن تعدد الافراد في الامثلة التي ذكرها الشيخ سعيد ، انما هي امثلة لمتعلق المحال اعني الضدين، فانه لفظ عام ، يشمل الابيض والاسود، والقيام والقعود وغير ذلك من الاضداد الموجودة .فالتعدد واقع فيها ، والترقي والتدلي ، والليل والنهار ، والحياة والموت ، لا في المحال الذي هو اجتماعها ، وهو المحكوم بنفيه.

وقد اشتبه الامر على الشيخ سعيد ، رحمه الله تعالى .

يوضح ذلك أن المحال الذي لايتعلق بضدين مثلا، كشريك الباري ، لا يتصور له أفراد ابدا .

3 — من الايرادات — : دخول النفي العام ، على اله ، في قولنا : لا اله الا الله ، يؤيد القول بكليته ،

لانه لا يجوز ان يقال : لا زيد في الدار ، وانما يقال : لا انسان في الدار .

والجواب : ان النفي توجه باعتبار الاطـــلاق المجازي اي لا معبود الا الله .

وهذا كما يقال : لا حاتم الا فلان ، اي لا كريم ، او لا قيس الا فلان ، اي لا فصيح ، وهكذا .

فالله في الكلمة المشرفة ، كلي في المعنى المجازي، كما أن لفظ حاتم كلي ، لاستعماله في الكريم مجازا ، مع انه في الحقيقة علم شخصي .

وكذلك قيس ، كلي لاستعماله في الفصيح مجازا، وهو في الحقيقة علم شخصي ، لقيس بن ساعدة .

4 ــ اختار السنوسي أن معنى اله ، في كلمـــة التوحيد :

لا مستغنيا عن كل ما سواه ، ومفتقرا اليه كل ما عداه الا الله ، غير على هذا كلـــي .

والجواب : أن اختيار السنوسي لهذا المعنى ، هو الذي غر البقاني ، واوقعه في ذلك الخطأ الذي مر بيانـــه .

والسنوسي انما اختاره ، ليدعي أن كلمة التوحيد شاملة لصفات الواجبة لله تعالى .

لكن اختياره غير صحيح لامور :

احدها : انه تكلف في ادخال تلك الصفات ، بما لا دليل عليه ، ولا حاجة تدعو اليه .

ثانيها : أن الاله لم يستعمله العرب الا بمعنـــى المعبود - وكذلك جاء في القرآن الكريم (انهم كانـــوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون .. وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله .. اجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب .. اله مع الله .. وقال الله لا تتخذوا الهـــين اثنين انما هو اله واحـــد) .

فالاله في هذه الآيات وغيرها ، مفردا ومثنـــى ومجموعا ، معناه المعبود . ونفي المعبـــودات ، في الكلمة المشرفة ، يكفي في اثبات التوحيد ، ونبذ الشـــرك ولذلك جعلها الشارع دليلا على الاسلام ، وعنوانا له. لانه يلزم بالضرورة من نفي المعبودات ، نفـــي الخصائص الالوهية عنها ، وهي مختصة بضرورة العقل والمشاهدة ، كما قال الله تعالى « واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا »

فلا حاجة الى ما تكلفه السنوسي وغيره ، في شرح الكلمة المشرفة .

طنجة ــ عبد الله بن الصديق

فوائد الصوم العسكرية

للواء الركن محمود شيت خطاب

— 1 —

حل شهر رمضان المبارك على طلاب الكلية العسكرية سنة (1356 هـ — 1937 م) وغمرت انواره قلوب المؤمنين في كل مكان ، فاستقبله قسم من الطلاب العسكريين بما يستحقه من حفاوة بالغة وصمموا على الصيام مهما تكن الصعوبات والمشاكل..

لقد تعود هؤلاء على صيام هذا الشهر المبارك حين كانوا تلاميذ في المدارس المدنية ، وليس من السهل على من اعتاد الصوم أن يتخلى عنه ، فهم قد تذوقوا فرحة الصائم ، وبركات الصوم ، وحلاوة الايمان ، وليس من ذاق كمن حرم ، ومتاع الدنيا كله لا يساوي شيئا بالنسبة الى ما تذوقوه .

ومضى اليوم الاول من أيام الصيام ، واجتمع الطلاب الصائمون على مائدة الافطار والسحور ، تحف بهم الملائكة ، وترتسم على وجوههم سمات العزم والانشراح . وكما عزموا على الصوم ، عزموا على ابراز اثر الصوم في الصائم الحق : معاملة حسنة للناس واخلاقا محببة للنفوس ، ومضاعفة للعمل المثمر البناء ، وامتيازا في النجاح دون الاكتفاء بالنجاح وحده.

كان الصائمون من طلاب الكلية العسكرية اقلية، وكانت الاكثرية تشك في امكان الصوم وتجمل المشاق العسكرية في آن واحد ، وكان المسؤولون في الكلية والطلاب يتوقعون الاخفاق للصائمين في مجالي العلوم العسكرية والتدريب العسكري ، وكانوا ينتظرون أن يتناقص عدد الصائمين بالتدريج حتى يتلاشى ، وكانوا بين مشفق على الصائمين ومستقبلهم وبين مستهجن لاصرارهم على الصوم .

ومضت أيام رمضان يوما بعد يوم ، وعدد الصائمين يزداد كل يوم ، ومضى الصائمون يثبتون عمليا أن الصوم حافز من أقوى حوافز العمل والانتاج والنجاح. وكان من اشد المقاومين للصائمين ضابط برتبة نقيب ، وكان هذا الضابط قائدا لفصيلة من فصائل الكلية العسكرية ، وكان قادة الفصائل يتنافسون فيما بينهم على التفوق ، وحين تفشى الصوم بين طلابه تنادى بالويل والثبور . وقد كانت فصيلته متميزة قبل رمضان، نظن بعد خلوله انها ستصاب بنكسة قاصمة . ولم ينقض الشهر المبارك الا ولمس تقدما مذهلا في فصيلته فقد كان طلابه الصائمون يرتنعون كل يوم وينالون قصب السبق في التدريب والالعاب والدروس ، فما حل العيد الصغير الا وكانت فصيلته قد بلغت درجة من التفوق لا تضاهى ، حتى اصبحت فصيلته بفضل الصائمين ، هي الفصيلة النموذجية بين فصائل الكلية العسكرية قاطبة ، واصبحت مضرب الامثال في التدريب والتهذيب والعلوم العسكرية والالعاب الرياضية .

وصادفت هذا الضابط بعد عشر سنوات وقد اصبح برتبة عقيد قائدا لوحدة من وحدات المشاة في فلسطين سنة (1948 م) ، وزرت وحدته في شهر

رمضان من تلك السنة ، فرأيته صائما يقاوم الافطار ويأمر بالصوم ، ووجدت وحدته كلها ضباطا وضبط صف وجنودا صائمين ، ووجدته مهتما الى أبعد الحدود باحضار الافطار والسحور لرجاله ، فرحا غاية الفرح باجماع اتباعه على الصوم وحرصهم الشديد عليه

وقال معللا سر تحوله عن مقاومة الصـــوم والصائمين : « لقد تعلمت من طلاب الكلية العسكرية الصائمين ان الصوم سر من أسرار التفوق والامتياز ، وكنت قبل ذلك واثقا من أن الصوم يضعف الجسم ، ويحث على الكسل ، ويقلل من الانتاج وفرص النجاح»

ان كل فرائض الاسلام وكل تعاليمه خير وبركة: اذا طبقها المسلمون كما ينبغي . ولو طبق المسلمون تعاليم دينهم تطبيقا سليما ، لقادوا العالم ، وسيطروا على مقاليده عسكريا وسياسيا وحضريا .. ولكن اين من يطبق تعاليم الاسلام كما يجب . أين ؟

— 2 —

وطالما سمعت غير الصائمين يقولون : كيف تستطيعون الصوم عن الطعام والشراب ساعات وساعات ؟ هؤلاء وأمثالهم لم يؤمروا بالصوم حين كانوا صغارا ، ولم يشاهدوا آباءهم وأمهاتهم يصومون ، فلما كبروا استقر في اذهانهم أن الصوم صعب لا يحتمل ولا يطاق ! ولو انهم صاموا وهم صغار وشاهدوا أبويهم يصومون لتقلقل حب الصوم في أفئدتهم ومعه نور الله ، ولاصبحوا يقولون : كيف يستطيع المسلم القادر على الصوم الافطار في رمضان؟ كيف يصبح المرء عبدا لبطنه ؟ كيف يعصى المؤمن الحق أوامر الله ؟

قبل بضع عشرة سنة ظهر طبيب المني كبير درس آثار العقاقير في الجسم البشري : فوجد ان قسما منها يفيد من ناحية ويضر من ناحية أخرى ، فهي تبني وتهدم ، وقد يكون ضررها أكبر من نفعها . كما وجد أن قسما من هذه العقاقير الطبية تترك آثارا سيئة في الجسم ، اذا لم تظهر اليوم فانها تظهر غدا ، لانها تعتمد على المواد السامة في تركيبها .

وبعد بحوث مستفيضة أجراها ذلك الطبيب ، وجد أن العلاج الطبيعي الذي يعتمد على الحمية والهواء الطلق . والتعرض لاشعة الشمس ، والايمان بالقضاء والقدر هو انجع علاج لامراض البشر .

وألف هذا الطبيب كتابا عن العلاج الطبيعي ، اشاد فيه بالصوم الاسلامي ، وبالايمان بالقضـــاء والقدر ، وقال : « ان هذين العلاجين انجع العلاجات على الاطلاق » .

نقد ذكر أن المعدة وأجهزة الهضم الاخرى تضرها التخمة ، وان فضلات الطعام تترك سموما قاتلة في الجسم وأن الصوم يذيب هذه السموم بالتدريج حتى يتخلص الانسان منها ، فتعود اليه صحته وبتمامها .

كما ذكر أن المكثرين من تناول الادوية الصناعية ، تكون نسبة السموم في أجسامهم أكثر من المقلين من تناول تلك الادوية ، وقد أورد قول الكاتب البريطاني برناردشو عن مضار العقاقير : « لو القينا الادوية في البحر لمات السمك » ..

وانشأ هذا الطبيب في المانيا مصحا صغيرا لـم يفتأ أن اصبح مستشفى ضخما يقصده المرضى مـن جميع انحاء العالم للتطبيب بالعلاج الطبيعي ، ثـم انتشرت مستشفيات العلاج الطبيعي في المانيا وفي العالم المتمدن ، واصبح لهذا العلاج كراسي في كليات الطب ومختصون من الاطباء ، كما تخرج في تلك الكليات اطباء عرب يمارسون مهنتهم في البلاد العربية ويلاقون النجاح ويحظون بثقة المرضى .

وكما علل الطبيب الالماني اهمية الصـــوم في تخليص الاجسام من السموم ، علل اهمية الايمـــان بالقضاء والقدر في العلاج الطبيعي . فقد ذكر أن المريض الذي تنتابه الهواجس يكون قلقا خائفا ، والقلق يقوض الجسم والخوف يحطم البدن ، وهما عاملان من عوامل استشراء المرض وتفاقمه . اما الايمان بالقضـــاء والقدر ، فيدخل الهدوء الى روع الانسان ويحـــاول القلق والخوف ، ويشيع الاطمئنان في النفوس ، ممـا يؤدي الى شفاء المريض .

والاسلام هو الرائد في الصوم والايمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله سبحانه وتعالى ، ولم يكن الطبيب الالماني هو الرائد على الرغم من ادعاءاتـــه وادعاءات غيره من الاطباء والناس .

ولكن الاسلام — مع الاسف الشديد — مظلوم حتى بين معتنقيه جغرافيا وبالوراثة ، وما أكثرهم عددا وأقلهم جدوى ، وصدق الشاعر :

انـي لافتـح عينـي حين افتحهـا
علـى كثير ولكن لا ارى احـدا

— 3 —

ان فوائد الصوم العسكرية ظاهرة للعيان ، ولعل ابرازها في مثل هذه الايام له اهمية خاصة نظرا للظروف العصيبة التي يجتازها العرب والمسلمون وهم في حرب مصيرية على اسرائيل وعلى من وراء اسرائيل من دول الاستعمار القديم والجديد .

واحراز النصر على اعدائنا لا يكون الا بالايمـان العميق ، وهذا الايمان هو السلاح الذي نتفوق بـه على الاعداء ، فاذا تخلينا عنه تفوق علينا اعداؤنا بما يمتلكون من سلاح وعتاد ومكر وخداع .

في العسكرية نوع من التدريب يطلق عليـه : (التدريب العنيف) وهو تدريب العسكريين علـى النهوض بواجباتهم في ظروف صعبة ، كالحرمان مـن الطعام والماء والترفيه عن النفس ، وتحمل التعـب والسهر ، وقطع المسافات الشاسعة، واجتياز العقبات وعبور الموانع واقتحام العراقيل .

واهم ما في هذا التدريب العنيف ، هو الحرمان من الطعام والماء ، لان الجيش يمشي على بطنه كمـا يقول نابليون ، وهذا الحرمان هو الصوم .

ان الصوم يهيىء الاسباب للتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب ، اما بقية فروع التدريـب العنيف ، فهي ميسورة لكل شاب سليم الصحـة ، ومعظم عناصر كل جيش في العالم هم الشباب .

ان ظروف الحرب قد تقتضي انقطاع سبلـة الطعام والماء من جراء القصف الجوي او نسـف الجسور ، فاذا لم يكن الجندي قادرا على تحمل الجوع والعطش يوما او اياما عند الضرورة فانه بدون شك يستسلم للاعداء ويرضخ لارادتهم .

اما اذا كان الجندي قادرا على تحمل الجـوع والعطش حتى تتجلى الغمة ، فانه يقاوم الاعـداء ويصاولهم ويحبط محاولاتهم لاجبارهم على الرضـوخ والاستسلام .

والتدريب على الحرمان عن الطعام والشراب، هو في نفس الوقت تدريب على الصبر الجميل ، ومن المعلوم ان الجندي الصابر يتغلب دوما على الجندي الذي يعوزه الصبر ، وما اصدق المثل العربـي : « الحرب صبر ساعة » ..

ثم ان اعدى اعداء المرء نفسه ، والرجـل اذا استطاع السيطرة على هوى نفسه : فادى ما « يجب » ان يؤدي لا ما « يهوى » ان يؤدي ، اصبح جنديا مثاليا في تصرفه ورجولته واقدامه وتضحيته . وما الصوم الا سيطرة على النفس الامارة بالسوء ، يوجيها الى ما « يجب » ان تعمل لا الى ما « تحب » ان تعمل .

فاذا كان الجندي مسيطرا على نفسه ، فانـه يحول بينها وبين وساوسها في التولي يوم الزحـف وغيره ، ويحملها على التمسك بفضائل الجندية الحقة.

وصوم رمضان يحتاج الى عزم صادق ، وهـذه المزية من مزايا الجندي المتميز ، اذ لا فائدة من القرار الصائب بدون عزم على تنفيذه ، ولا نصر في الحرب بدون عقد العزم على تحقيقه .

وكيف يمكن ان ينتصر الجندي ، اذا كان مترددا لا يقر له قرار على خطة او راي ؟

ان الصوم يربي مزية العزم في النفوس ، ويقضي على رذيلة التردد .

— 4 —

والصوم الاسلامي يطهر النفس وينقيها من الدرن ويرتفع الى معالي الامور ، ويقتلع منها الخبـث ، وحينذاك تقبل على التضحية بالمال والنفس وتطلـب الشهادة او النصر ، والحرب في الاسلام هي احدى الحسنيين : الشهادة او النصر .

فما احوجنا اليوم الى جنود طاهرة نفوسهـم ، يقبلون ولا يدبرون ، ويؤثرون ولا يستاثرون

والصوم يحث على التعاون الوثيق ، لان الصائم الحق يكون قريبا من الله بعيدا من الشيطان ، فيعاون اخوته في الدين افرادا ، ويعاونهم جماعات ، والتعاون مبدأ من مبادىء الحرب ، فاذا تالف الجيش من افراد متعاونين على النطاقين الفردي والجماعي ، اصبح قوة لا تقهر ، لانه سيكون متعاونا على نطاق الاسلحة المختلفة والقيادات المختلفة ، ويكون هدف رجالـه المصلحة العليا للامة دون المصلحة الشخصية للفرد..

والصوم يغرس الخلق الكريم فى النفوس ، لان الصائم الحق متسامح دمث ، يحب لغيره ما يحبه لنفسه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وقد يبدأ الصائم فى التمسك بالخلق الرفيع فى أول أمره (تطبعا) ، اذا غاضبه أحد قال : انى صائم .. ثم يمسى التطبع بالتدرج (طبعا) فيه .

والدين المعاملة ، والنبى صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الاخلاق ، وقد وصف الله سبحانه وتعالى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : « وانك لعلى خلق عظيم » . وقد كان عليه أفضل الصلاة والسلام أعظم القادة ، لانه كان أعظمهم أخلاقا ، والقائد المتمسك بالخلق الكريم ، والجندي المتمسك بالخلق الكريم ، عناصر مفيدة ودعائم قوية لكل جيش فى العالم .

فما أحوجنا اليوم الى قادة وجنود متمسكين بخلق القرآن الكريم .

والصائم يطيع الله وينفذ تعاليمه ، فيحرم نفسه من الطعام والشراب ومتاع الدنيا حتى يفطر

وقد يكون جائعا فيخلو الى نفسه ويجد الطعام الشهى والشراب الهنى ، ولكنه يمتنع عن تناولهما مرضاة لله وتنفيذا لاوامره .

هذه الطاعة فى السر والعلن هى أرقى درجات « الضبط المتين » التى تنص على : اطاعة الاوامر وتنفيذها عن طيبة خاطر فى مختلف الظروف والاحوال دون رقيب أو حسيب ..

ومن المعلوم ان الفرق بين الجندي الجيد والجندي الرديء هو تحلى الاول بالضبط المتين وتحلى الثانى بالتسيب والتمرد والعصيان .

ومن المعلوم أيضا أن الفرق الاساسى بين الجيش القوي ، والجيش الضعيف ، ان الاول قوي الضبط والثانى ضعيفه لا يتميز عن العصابات بشىء .

أعرف اشخاصا يخشون رؤساءهم كخشيتهم لله أو أشد خشية ، ولكنهم يعصون الله خالق الكون وفالق الحب والنوى القوى العزيز .

وطاعة المرءوس للرئيس ما أطاع الرئيس الله واجبة ، ولكن طاعة الله هى من أوجب الواجبات .

فمتى يعرف الانسان قدر نفسه ، فيطيع الذي منحه الصحة والعافية والرزق والحياة ؟

— 5 —

تلك هى مجمل فوائد الصوم العسكرية ، اذا استغلها العرب اليوم واستغلها المسلمون تبدل حالهم الى أحسن حال .

انها تطبيق لمبادىء التدريب العنيف ، وسيطرة على النفس الامارة بالسوء ، والتحلى بالعزم الصادق ، وتطهير النفس من الخبث والدرن ، والتمسك بمبدأ التعاون الوثيق الذي هو مبدأ من مبادىء الحرب ، والتخلق بالخلق الكريم افرادا وجماعات ، والالتزام بالضبط المتين الذي هو من اهم مزايا الجندية ، والتشبث بالصبر الجميل الذي هو قوة كل جيش منتصر

والذي أريده من اخواني قادة العرب والمسلمين ان يأمروا بالصوم ويشجعوا الصائمين ، وأن ينهوا عن الافطار ويؤنبوا المفطرين ، حتى يحققوا لامتهم وجيوشهم تلك الفوائد الحربية ، والله مع المتقين ، وما النصر الا من عند الله .

قادة الأمة وقضايا العصر

مفاهيم وحقائق

د. أستاذ عاطف محمد القاعود

ان المتحاملين على الاسلام ينظرون اليه نظرة أنانية تنبع من خلال مصالحهم الشخصية ومستقبلهم الفردي انهم يذكرون على انه حال بأولئك النفر من قريش الذين حاربوا الاسلام فى أول عهده معتقدين انه يسب آلهتهم ويشتم اصنامهم ويسفه أحلامهم الوردية فى التسلط والزعامة والديكتاتورية والطاغوت وحين سئلوا عن سر تمسكهم بتلك المظاهر الثانية والنظم العفنة قالوا : « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » (1) وحينما يسألون عن سر التمسك بشىء لا يفيد فى حين ان ما جاء به محمد أكثر فائدة واتزانا مع الفطرة الانسانية والطبيعة البشرية كانت اجابتهم نوعا من المكابرة والحمق المقوت قال : او لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون » (2) .

وقد تعثر على نماذج أكثر سخفا وتفاهة وسطحية حين يسألون عن سر اعتمادهم على الاصنام والاوثان : وهى من حجر وخشب لا يسمع ولا يبصر او اولياء من لحم ودم لا يملكون لانفسهم خيرا ولا نفعا ، فيقولون : « ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » (3) اما النماذج المعاصرة فهى لا تقل عن هؤلاء سخفا وتفاهة وسطحية بحال من الاحوال وان تمسحوا فى العلم والايديولوجيات والنظريات الفلسفية والتربوية الناتجة وان السمة المميزة لهؤلاء المعاصرين للفكرة الاسلامية فى بلاد الاسلام انهم تشبعوا بافكار غريبة عن البيئة التى ولدوا ونشأوا فيها ، وهم متعصبون لدرجة الحمق ، وسرعان ما نجدهم يقعون فى انفصام غريب بين ذواتهم وبين مجتمعاتهم ؟ ولا تعليل لهذه الشيزوفرانيا سوى سيادة الروح الانانية وانغماس اصحابها فى لرجسية لا تهتم بسواها ، ولا تعبأ بما يقال خارج اطارها الفكري ، وان تصادمت خارج هذا الاطار مع أنكار اخرى كانت محتقنة فى المكابرة والاصرار الاعمى على ما وعته ذاكرتها من فكر متخلف وسلوك قاصر .

ان الاسلام لم يفرض ذاته على أحد ، « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » (4) . وانطلاقا من هذه المقولة اتاح الاسلام للعقل البشري داخل الانسان ان يؤدي واجبه على الوجه الاكمل فى حمل الامانة ومواصلة الطريق نحو الرقى والتطور الحضاري الذي يسعد ويدعم الجماعة البشرية ، ويعطيها الامل فى سلم دائم لا تعكره الشهوات التدميرية ولا الرغبات الشيطانية الجامحة

---

1) الزخرف الآية 23
2) الزخرف الآية 24 .
3) الزمر الآية 3 .
4) البقرة 256 .

وكانت النظرة الاسلامية للعقل في قمة التحضر والتمدين حين طلبت منه اكثر من ان ينظر في ملكوت السموات والارض ، ويفكر ، ويتامل ، ويأخذ العظة والعبرة ، ويحاول لو استطاع ان يخترق اجواء الفضاء وينفذ من أقطار السموات والارض . « يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السماوات والارض فانفذوا ، لا تنفذون الا بسلطان » (5) ، وقبل ذلك طلب منه ان يحترم ذاته ، ويمارس دوره في فهم ما يجري حوله « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » (6) .

من ثم نرى الاسلام لم يضع اي عقبة من العقبات في سبيل التطور الحضاري والرقي المادي . انه دعا الى ذلك بكل مرارة وقوة على اساس من اليقين الذي يصل الى الايمان الكامل لا تشوبه شائبة ولا شك من الشكوك . ولكن الناظر الى واقعنا التعس وتخلفنا المادي ركب التكنولوجيا المعاصرة يجب أن يرجع الى تخلف روحي مقيت ، أهمل العقيدة ، واندماج مع التيارات الفوضوية والكسولة بفعل عوامل مختلفة نشأ عنها تخلف في كل الميادين ، وان كان الواقع يقول اننا الامة الاستعمارية الوحيدة التي ينعقد عليها الامل في انقاذ العالم من الوثنية الغربية والماركسية الشرقية والشوفينية اليهودية وغيرها .

ان الدين الاسلامي لم يكن بحال من الاحوال عقبة في سبيل تطورنا الحضاري حين شرع الطلاق واباح تعدد الزوجات وقسم المواريث بالقسطاس بين المستحقين . ان مشروعيته للطلاق كانت جانبا مضيئا من جوانب هذا الدين رغم انه اعلن سلفا ان الطلاق ابغض الحلال الى الله . ولن نستطرد طويلا في بيان ذلك ، اذ أن الاحداث المعاصرة بوقعها الهائل قد اثبتت أن الاسلام كان على صواب حين شرع الطلاق ولم يحرمه كما فعلت بعض الاديان الاخرى التي تفرض أن يعيش رجل مع انثى أيد الدهر حتى ولو لم يتوافقا مزاجا وروحا وطبيعة ! ان هذه المحنة « تحريم الطلاق » قد ادت الى كثير من العنت والتمزق في الاسر الاوربية التي تدين بالكاثوليكية . تصور مثلا : اثنان يعيشان في غرفة واحدة لا تتلاقى نظراتهما ولا أجسادهما ولا قلبهما ؟ لابد اذن ان يفكر كل منهما في رفيق آخر « غير مشروع » يتنسى معه بعض عمره الباقي مهما كان ذلك عبئا على ضميره وايمانه ، لانه مقيد ومربوط بحكم قاس لا مبرر لـه .

ولننظر الى ما حدث في ايطاليا يوم صوت الشعب الايطالي على قانون اباحة الطلاق ضد رغبة المتزمتين والمختلفين عن الفطرة الانسانية ، وهو القانون الذي هز كل مخيمات الغرب ، كتبت مجلة « نيوزويك الامريكية » تصف ابتهاج شباب ايطاليا بانتصار الطلاق « لقد اذهلت نتيجة الاستفتاء السياسيين كما اطلقت موجة من الابتهاج فعلى درجات السلم الاسباني في روما كان الشبان المبتهجون يوقفون السائحين ويقولون بفرح :

— اننا نستطيع أن نطلق ملككم

ولقد بلغ التأثر بالاديب الايطالي «البرتو مورافيا» حدا دفعه أن يعبر عن نتيجة الاستفتاء قائلا :

— « انه نصر لكل شيء حر وسعيد وصحي وعقلي ضد كل شيء جبان ومريض ومجنون وغامض » (7) .

ان بعض الذين عاشوا على فتات الثقافة الغربية يصيحون في مصر والعالم الاسلامي بان الطلاق شرعة رجعية ومتخلفة ولا تتوافق مع ايقاع العصر ، ولا تنسجم مع عجلة التطور ، فضلا عن وقوفها عقبة في سبيل تحضرنا ! واذا كانت ايطاليا قلعة الكاثوليكية في القرن العشرين قد هزت الطلاق واباحته ؟ اما اولى بنا — ونحن أصحاب الدين الذي توافق مع الفطرة منذ نشوئه — ان نتامل قليلا شريعة الاسلام ولا نصدر احكامنا الجزافية المشرعة عليها ؟ ان الاسلام لا يرضى بالطغيان ولا بالطاغوت . ولذا ، فان معيشة ذكر وانثى معا رغم انفهما فيه من الطغيان والطاغوت ما لا يقره أحد فضلا عن الاسلام ، وقد سن لنا الاسلام الحكيم مبدأ متقدما منذ اربعة عشر قرنا حين قدم لنا هذه الصورة المشرقة العادلة . حين طلب التحكيم بين

---

5) الرحمن الآيـة 33
6) آل عمـران الآيتـان 190 — 191
7) نقلا عن الاعتصام — القاهرة — عدد رمضان 1394 هـ .

الزوجين المتنازعين « وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ، ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا » (8). ثم لم تر سماحة هذا السلوك الاسلامي الرفيع « واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه » (9) ، وعلى اتساع الآيات القرآنية نستطيع ان نلمس هذا النمط الراقي من التفكير الاسلامي في رفع الغبن عن كل الاطراف ، وتحقيق العدالة للجميع مستشهدا بالفطرة الانسانية واشباعها اشباعا سليما ومتزنا ومستقيما .

بعدئذ نتساءل هل الطلاق في الشريعة الاسلامية عقبة في سبيل تطورنا الحضاري ؟ لعلى قد استطعت الاجابة ؟

— 5 —

لنقف قليلا امام ما يثار حول تعدد الزوجات من كونه علامة على التأخر والتخلف والتدهور . واورد ان اوضح سلفا ان طبيعة العصر وسيادة النزعة الانتهازية في مجتمعاتنا تجعل من الصعب على المرء — ولو كان غنيا — ان يعدد زوجاته بسهولة . فنحن امام ظاهرة المغالاة الفاحشة في المهور ، وأزمة المساكن ، وتأصل العادات والتقاليد السيئة في اذهان الكثيرين مصرون على الاهتمام بالمظاهر والسطحيات ، وهذه الظاهرة اصبحت تتسبب في تأخر الزواج بين الشبان الى سن تكاد تصل ببعضهم الى الزواج في مرحلة الكبولة ومن يدري فربما تؤخرهم حتى الشيخوخة .

هذا من ناحية ، اما الاخرى فان انتشار الوعي والتعليم واجهزة الاعلام جعلت من ظاهرة تعدد الزوجات مسألة لا تكاد تذكر باي اهتمام في المجتمع ، لانها منتشرة بين عدد ضئيل جدا اذا قارناه بنسبة السكان .

اذا فان اعتبار هذه الظاهرة مظهر للتأخر الحضاري او عقبة في سبيل التطور يصبح عبثا وجهلا بالوقائع الاجتماعية وظواهر المجتمع .

اما ظاهرة التعدد في ذاتها ، فانها تعبر عن اسلوب الشريعة في معالجة مطالب الانسان معالجة تتفق مع فطرته ، كما اسلفنا في اكثر من موضع ، اذ ان الاسلام يجعل لبعض الناس الذين تحتم عليهم الضرورة الانسانية البناء بزوجة اخرى او اكثر ، الحق في هذا مع اشتراط العدل بين الزوجات ، واذا تعذر العدل فلا . قال تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة او ما ملكت ايمانكم ، ذلك أدنى الا تعولوا » (10) .

ولنفترض ان رجلا ما تفرض عليه طبيعته الانسانية ان يسكن الى زوجة اخرى ثم حرمنا عليه هذا مع استطاعته العدل ، ماذا ستكون النتيجة ؟ ان النتيجة بالضرورة ستكون بناء بزوجات اخريات ، ولكنهن للاسف زوجات غير شرعيات ، وحينئذ تكون قد كسرنا رتابة النظام الاجتماعي السليم ، واضطررنا للفوضى رغم انفنا ، ويصبح من المحتم علينا ان نقوم بثورة لتصحيح هذه الاوضاع المطلوبة التي تتعارض مع الفطرة الانسانية كما فعل الايطاليون مع مشروع اباحة الطلاق .

وثمة حالات يمر بها المجتمع تفرض عليه ان يتكفل ويتضامن ويضمد جراحه بنفسه ، ولو نظرنا مثلا الى حالة الحرب وما يتخلف عنها من استشهاد العديد من الرجالات يتركون وراءهم زوجات في نضارة

---

8) النساء الآية 35

9) البقرة الآية 231

10) نساء الآية 3 — وسوف نقل هنا ما ورد في كتاب الاستاذ وحيد الدين خان — الاسلام يتحدى يقول عن كثرة احصائية للامم المتحدة عام 1959 اثبتت ان العالم يواجه الان مشكلة الحرام اكثر من الحلال ، شأن المواليد ، وجاء في هذه الاحصائية ان نسبة الاطفال غير الشرعيين قد ارتفعت الى ستين في المائة . واما في بعض البلاد ، وعلى سبيل المثال « بنما » فقد جاءت هذه النسبة الخمسة والسبعين في المائة ، اي ان ثلاثة عن طريق الحرام من كل اربعة مواليد ! وارتفع نسبة لهؤلاء الاطفال غير الشرعيين في امريكا اللاتينية ، وتثبت هذه النشرة ايضا ان نسبة الاطفال غير الشرعيين تصل الى العدم في البلدان الاسلامية ، ان نسبة هؤلاء الاطفال أقل من واحد بالمائة في جمهورية مصر العربية مع انها اكثر البلاد الاسلامية تأثرا بالحضارة الغربية ويقول محرر النشرة ان البلاد الاسلامية محفوظة من هذا الوباء لانها تتبع نظام تعدد الزوجات راجع ص 148 — 149 .

العمر ! ان الاسلام الحنيف يهيب بنا أن نتقدم لنضم هؤلاء الزوجات الحزينات على فقد عوائلهن ، ونعوضهن لوعة الخسارة التي لحقت بهن . وهذا بالطبع افضل كثيرا من تركهن يهددن حياتهن بطرق غير مشروعة تتنافى مع الانضباط الاجتماعي والاتزان الخلقي خاصة وانهن في ذلك الحين يتمتعون بالكثير من الشباب والحيوية والرغبة الصاخبة .

اليس من الافضل اتباع ما جاء في شريعتنا ودراسته بعمق وحكمة واتزان ؟

— 6 —

ما نقال عن المواريث يجب ان يفهم على اساس ان الشريعة الاسلامية انطلت بالمسلمين اتمام العدل في ارض الله ، وان تسود فيما بينهم شريعة العدل . والميراث كما اوضحته الشريعة الاسلامية كفل هذا العدل بين الوارث والموروث ، وبين الورثة انفسهم فاعطى كل وارث ما يستحق بقدر صلته بالموروث وقرابته له ، وبقدر تكليفه وواجباته ازاء الاخرين . فاذا جاء من يقول لنا ان المرأة تتساوى بالرجل في كل شيء حتى الميراث ، فاننا نقول له ، وهل حقا تتساوى المرأة بالرجل تماما ؟ ان التساوي لا يكون الا في الاشياء المتماثلة برجل = رجل ، امرأة = امرأة لان خصائص الرجل وطبيعته تختلف عن خصائص المرأة وطبيعتها . والذي نفهمه ان هناك علاقة تكامل بينهما ، اذ لا يمكن اعمار الكون بأحد الطرفين دون الآخر ، لو افترضنا ضرورة المساواة بينهما فكل منهما له واجبه الذي يؤديه ويشارك به مع الآخر في بناء المجتمع . لان ايا منهما لا يستطيع أن يستغني عن رفيقه والانفراد وحده . حينئذ اي عند الاستغناء والانفراد — ستتغير الطبيعة وتذبل الرغبة الحيوية ، وتضحى الحياة غير الحياة ، والاحياء غير الاحياء .

وقد اقتضت علاقة التكامل هذه ان ترمي على كاهل الرجل بالعمل المنتج المربح والانفاق على المرأة ومن ثم فان حصول المرأة على نصف ما يأخذه الرجل او اقل منه او اكثر انما هو لطبيعة العلاقة الانسانية بينهما

« تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم ، ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها ، وله عذاب مهين » (14) .

وارد هنا ان اقتبس بعض ما قاله الدكتور علي عبد الواحد وافي في هذا الشأن :

« ولا يفرق الاسلام بين الرجل والمرأة الا حيث تدعو الى هذه التفرقة كل من الجنسين وما يصلح له او حيث تدعو الى هذه التفرقة مراعاة الصالح العام وصالح الاسرة وصالح المرأة نفسها ، واليكم مثلا تفرقة الاسلام بين الرجل والمرأة في الميراث اذ يقرر ان المرأة لها في معظم الاحوال نصف نصيب الرجل المساوي لها في القرابة ، فقد بنيت هذه التفرقة على اساس اقتصادي سليم ، بنيت على اساس التفرقة بين اعباء الرجل واعباء المرأة وذلك ان مسؤولية الرجل في الحياة اوسع كثيرا من مسؤولية المرأة واعباؤه فيها اشق واثقل كثيرا من اعباء المرأة ، فالرجل هو رب الاسرة ، وهو القوام عليها والمكلف بالانفاق على جميع افرادها ، على حين ان المرأة لا يكلفها الاسلام حق الانفاق على جميع افرادها ، على حين أن المرأة لا يكلفها الاسلام حق الانفاق على نفسها ، فنفقتها واجبة على ابيها او ولي امرها ما دامت غير متزوجة ونفقتها ونفقة بيتها واولادها واجبة على زوجها بعد زواجها ، لا فرق في ذلك بين ان تكون موسرة او معسرة فاقتضت العدالة اذن ان يكون نصيب الرجل من الميراث اكبر من نصيب المرأة حتى يكون في ذلك ما يعينه على القيام بهذه الاعباء الثقيلة التي وضعها الاسلام على كاهله واعفى المرأة رحمة بها وحدبا عليها وحفاظا على سعادة الاسرة بل ان الاسلام قد بالغ في رعايته للمرأة اذ قرر لها نصف نصيب نظيرها من الرجال في الميراث مع اعفائه اياها من جميع الاعباء ووضعها على كاهل الرجل (12) .

الا ان الاسلام بالقياس الى غيره من الديانات او الشرائع او الفلسفات قد اعطى للمرأة حقوقها كاملة غير منقوصة ، ونستطيع ان ندرك الفارق لو سمعناهم في الزمن القديم يتكلمون عن المرأة كأنها نجس او شيطان او مخلوق لا يستحق التعليم او الاطلاع على المعرفة او المشاركة في الرأي والعمل خارج البيت .

---

11) النساء الآيتان 13 ، 14 .

12) محاضرات الملتقى الرابع للتعرف على الفكر الاسلامي في الجزائر ، جمادى الثانية 1390 هـ ص 35 .

ولن نستغرب الان ما تدعو اليه بعضهن فى الولايات المتحدة من دعوة للحياة كالمرأة الشرقية (يقصدن المرأة الاسلامية) .

اذن فهل يوصم الاسلام بانه عقبة فى سبيل التطور لانه اعطى المرأة نصف الرجل فى الميراث ؟ انى ارجو الباحثين المتأثرين بثقافة اوربا أن يتمهلوا حين يدرسون الاسلام ويفهمون أحكامه ، وسوف يتضح لهم سلامة المنهج ووضوحه .

— 7 —

لا يمكن للمرء أن يجيب فى هذا المجال الضيق عن كل التساؤلات التى يطرحها البعض أمامنا قسرى كراهية الاسلام واسمه ومكابرة فى القراءة والتفهم لاصوله وأحكامه فضلا عن منهجه ولكننا نريد أن نشاركهم الرأي فى أننا بحاجة الى ثورة من اجل الدين وليست ثورة كما يعتقدون ، اذ أن البون بينها شاسع ، للغاية ، فالثورة من اجل الدين تعنى ان هذا الدين قد انتهكت حرماته ، واعتدى على حدوده العالية ، واحتلت بعض المناطق او معظم المنطق داخله قوى خارجة عليه ، ومتربصة به ، اما الثورة الدينية فتعنى أن الدين ذاته يجب ان يتغير ويستبدل بما يصلح بديلا عنه ليرضى الطبيعة الانسانية ، والظروف الاجتماعية التى تفرض على الثائرين القيام بثورتهم والتضحية فى سبيلها ، واعتقد اننا لسنا بحاجة الى هذه الثورة ، لان طبيعة الاسلام كما أسلفنا قد وافقت الى درجة مدهشة مع طبيعة الانسان وفطرته الحية ، لم تتعارض معها قط ولم تفر بها ، اذ انها اقامت من ذاتها سياجا يحمى الفطرة والطبيعة معا ، وكل ما يخالف ذلك فليس من الاسلام الاصلى بشىء ، ونقول الاسلام الاصلى الذي يعتمد على الكتاب والسنة المطهرة فقد دخلت الى الاسلام كثير من مظاهر التزييف والتزوير والترخيص فى بهمة والغباء فى فهمه ايضا والتفسير لصالح الحكام واغراضهم الشخصية . الخ . كل هذا يتنافى مع الفكرة الاسلامية فى جوهرها الاصيل .

ان الثورة الدينية التى قام بها مارتن لوثر « زعيم البروتستانتية الحديثة » كانت نتيجة لتصور شديد فى المذهب الكاثوليكى ، وقد استطاع أن يقود ثورة للتحرر من مبادىء هذا المذهب وتعقيداته وتفسيراته وراح يقود الجماهير التى تلظت بالمعاناة الروحية من اجل الانطلاق والانعتاق من اسر الجمود والخرافات التى لا تستقيم مع الفطرة والطبيعة البشرية . . وقد تمضى عن ثورته هذه ما عرف بالمذهب « البروتستانتى » . . ولكن أيا كانت نتائج هذه الثورة ، فان احدا لا يستطيع أن يقول قد حققت طموحات الانسان الاوربى فى الاستقرار النفسى والاطمئنان الروحى ، فما زال الانجليز غارقين فى نوع جديد من الوثنية : يستعبدهم رأس المال والقيم المادية ، ويفتقدون العلاقات والحمية والالوان الاجتماعى والسياسى .

فهل يفكر بعضنا فى القيام بثوره تشبه هذه الثورة ؟

ان أي عاقل لا يفكر فى هذا الموضوع اطلاقا ، ولكنه يتجه بتفكيره الى واقع هذا الدين الاسلامى ، بالعمق وبالعرض الى ما كان وما سيكون فضلا عما هو كائن .

لقد كان مسلمو العصر الاول . او الطليعة الاسلامية — يملكون ذواتهم فقط ، وبهذه الذوات المؤمنة المتمكنة استطاعوا ان يدهلوا القوتين العظميين حينئذ — فارس وروما — وينتشرون الى الافاق مجيوشا فاتحين وهادين ومرشدين ، ومخلصين الشعوب من نير العبودية واغلال القهر والمهانة والذلة ولكنهم — يا للهول — تراجعوا وانكسروا ، ودالت دولتهم وأصبحوا مجموعة من الدول لا حول ولا طول ، يطأ أرضها الغريب ، ويحتل أوطانها الاجنبى . .

فهى على فرقتها ما زالت ، وعلى تباين اتجاهاتها وسياساتها لم تزل — وعلى تخاذل معظمها وتقاعسها عن نصرة الحق والجهاد لا تريم .

ان أي مسلم يشعر بالفخار والعزة يوم يتحرك المسلمون بامكانياتهم وقدراتهم ومواهبهم المحتملة ، فى ركب التطور العالمى والانسانى ، بل وقيادة هذا التطور والسيرية قدما الى الامام باستمرار .

ان بعض الدول الاسلامية التى تتحرك بمبادرات فردية فى ميدان الفكرة الاسلامية دعما وتوجيها وكفاحا لتستحق كل تقدير واعزاز ، ولكن هل نتركها وحدها ونحن نقارب من نصف سكان العالم ونحتل مناطقه الاستراتيجية ؟ الاجابة بالطبع لا . بل انها تفرض علينا ان نتحرك ، وبمزيد من اليقظة والوعى حتى نحقق ما نصبوا اليه ، ونعوض ما فاتنا وذهب منا .

ولن يكون ذلك الا بالبحث عن سبب هذا البلاء الذى نعيشه ، والمحنة التى نحياها ، وفى اعتقادي ان هذا يجب أن يتشكل على صورة حركة تثور من اجل

الدين واجلاء الدخلاء على أرضه ، وتطهير ساحته من المعتديـــــن .

— 8 —

ان الواقع الديني الراهن يثبت ما يلـــي :

أ — تراجع الدين الاسلامي الى مؤخـــــرة الاهتمامات الحكومية في البلاد الاسلامية باستثناء عـــدد قليل من هذه الحكومات ، يعتمد الدين في كل اهتماماته وسلوكـــــه .

ب — ان الفهم الديني على امتداد الساحـــة الجماهيرية غير واصل الى اللباب ، وان اغلب مـــا تفيهه الجماهير المسلمة واكثرها الاعم هو التشور فقط مختلطا بعض الخرافات والاسرائيليـــــات والتفسيرات الشاذة للديـــن

ج — ان معظم القائمين على امر الدعـــوة الاسلامية والارشاد الاسلامي غير مؤهلين فكريـــا وعلميا وسلوكيا لشرف هذا الامر وخطورته .

د — ان التعليم في كثير من المجتمعات الاسلامية اصبح لا يلقي بالا للتعليم الشرعي باعتباره — فـــي عرفهم — اصبح نمطا لا يؤهل لحياة معاشيه كريمـــه ولرزق يتساوى او يتناظر مع ما يحققه اي نوع آخـــر من التعليم ، فضلا عن تاثر سياســـة بعض الـــدول الاسلامية بضغوط اجنبية تضع في اهتمامها الاول محو اثر الدين الاسلامي ، وترحيله من ذاكرة المسلم حتى يصبح مسلما بالاسم فقط وليس بالوجدان تمهيدا لغزو فكري يطيح بكل ما تبقى من آثار ولو شكلية .

ومن ثم فاننا نري كثيرا من وزارات التعليم تهمل تعليم الدين اهمالا شديدا حتى يصل الامر الى فرض منهج ما كنوع من ذر الرماد في العيون .

والواقع الراهن للدين الاسلامي يفحص بهـــذه الحقائق وغيرها ، اذا ما العمل لكي نغيرها الى الوضع الافضل الذي ينحو بالمسلمين الى الحركة الايجابيـــة من اجل مستقبل اكثر اشراقا وبهجة ؟ الحق ان هذا الامر منوط بالحكومات الاسلامية ، خاصة بعد ان اصبحت انفاسها ، وبدات تاخذ زمام البادرة لتقف وقفة واحدة شهد بها الكل امام يهود القوى الاجرامية العالمية لقد اثبت العامل المسلم وهو يهتف باسم (الله اكبر) انه يستطيع ان يحرز كثيرا من النجاحات لو توفرت لـــه الوسائل . واثبتت الثورة الاسلامية دورها فـــي وقف الاجرام العالمي عند حدوده وفرض التفكيـــر عليه في مستقبل هذه القوة الجديدة التي بدات تثبت وجودها بعد طول سبات عميق . كما ان مؤتمـــر لاهـــور (13) الذي اجتمع فيه قادة العالم الاسلامـــي وتنبيهه الى خطر تحرفاته لحمقاء ازاء القـــــوة الاسلاميـــــه .

بيد اننا للاسف لا نستطيع ان نتيقن تماما مـــن تجارب الحكومات المعينة في مثل هذه المسالة ، اذ ان بعضها ما زال محكوما بضغوط كثيرة ومتعددة ، ومع ذلك فلا مندوحة من القول بان الجماعات الاسلامية المستنيرة يقع عليها عبء الالحاح المستمر والتنبيـــه الدائم ، والاذان في كل وقت لدعم الفكرة الاسلامية من قبل الحكومات والهيئات وتنشئة دعاة اكفاء يستطيعون اداء دورهم بانتدار ، وتعديل مناهج التعليم بما يزرع الناشئة والشبيبة مفاهيم صحيحه وتوعيه وثره للاسلام كما ان انعقاد المؤتمرات الاسلامية واللقاءات المستمرة للبحث في الشؤون الاسلامية عامل هام في اثارة القضايا الملحة التي تبلور صورة الفكر الاسلامي الصحيحة وتزيل كثيرا من الشوائب التي علقت بها وترسبـــت فوقبـــــا .

---

13) انعقد المؤتمر في مدينة لاهور بالباكستان فـــي المحرم 1394 هـ ، — فبراير 1974 م

حديث خرافة
في ميزان النقد الحديثي.

للأستاذ فاروق حمادة

قال الامام احمد في مسنده 6 ــ 357 : حدثنا ابو النضر ، ثنا ابو عقيل ــ يعني النفعي . ثنا مجالد ابن سعيد عن عامر عن مسروق عن عائشة ، قالت: حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة نساءه حديثا ، فقالت امرأة منهن : يا رسول الله ، كان الحديث حديث خرافة . (اي مستملحا) فقال اتدرون ما خرافة ؟ ان خرافة كان رجلا من عذرة ، اسرته الجن في الجاهلية ، فمكث فيهم دهرا طويلا ، ثم ردوه الى الانس ، فكان يحدث الناس بما راى فيهم من الاعاجيب ، فقال الناس : حديث خرافة .

قال عبد الله بن الامام احمد : قال ابي : ابو عقيل هذا ثقة ، اسمه عبد الله بن عقيل .

واخرجه الترمذي في الشمائل ــ باب السمر ــ قال : حدثنا الحسن بن صباح البزار ، حدثنا ابو النضر ، حدثنا ابو عقيل الثقفي ، (عبد الله بن عقيل) عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : حدث رسول الله صلى عليه وسلم نساءه . . . .الحديث

1 ــ ان النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، ولا يقول الا حقا في جميع احواله ، رضاه وغضبه ، قد اخبرنا عن كثير من احوال الامم الغابرة والقرون الخالية ، بما لم يصلنا في كتاب ولا بغيره ولم ينقل عن طريق سوى طريق النبوة الذي قال الله تبارك وتعالى عنه : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » فقد حدث الناس عن بدء الخلق ، وعن آدم وحواء ، وعن كثير من الانبياء واممهم بما هو مخرج في الصحاح والسنن والمسانيد ، ولا يتسع المجال لذكره ، وهو كثير متواتر .

فاذا صح السند الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حق وصدق بشهادة الله تبارك وتعالى « ولو تقول علينا بعض الاقاويل ، لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من احد عنه حاجزين »

وكما قال عليه الصلاة والسلام : لا اقول الا حقا ، فقال له بعض اصحابه : فانك تداعبنا يارسول الله ؟

قال : انى لا اقول الا حقا ، اخرجه احمد في مسنده والترمذي في جامعه من حديث ابي هريرة ، وهذا امر اعتقد انه محل اتفاق بين علماء المسلمين .

2 ــ فهل حديث خرافة من الباب ؟

هناك امر من الانصاف العلمي وضعه في حسابنا ، الا وهو ان كثيرا من المفاهيم التي كان لها اصل عند العرب صحيح ، ثم شوهت مع مرور الزمان وتوالي الايام، فتغير فيها وجه الحقيقة قد جاء الاسلام بمصححه الاساسيين (القرآن والسنة) ليكشف للحقيقة مجلوة عن اصل ذلك ، ويرد الامر الى نصابه وهذا من ايجابية الاسلام في تحرير الانسان من الاوهام والاساطير .

وقد حدث النبي صلى الله عليه وسلم عن اول من حرف العرب عن الحنيفية السمحاء وطريقة ابراهيم الغراء ، اذ قال عنه فيما اخرجه احمد والشيخان : رايت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه (امعاءه) في النار ، وكان اول من سيب السوائب ، وبحر البحيرة وفي رواية اخرى لمسلم ، رايت عمرو بن لحي ابن قمعة بن خندف لخا بني كعب ، وهو يجر قصبه في النار ، وامثال هذا كثير ، ومنه حديث خرافة الذي بين ايدينا فهل اسناده صحيح لنبني اطمئنانا عن صحة هذا الخبر ؟ !

3 ــ اما اسناد احمد فقال : حدثنا ابو النضر ، وهو هاشم بن القاسم الليثي ، ابو النضر الخراساني ، قصير الحافظ اخرج له الستة ، اي جاوز القنطرة باخراج الشيخين له ، وقد وثقه العجلي ، فقال : ثقة صاحب سنة ، وكان اهل بغداذ يفتخرون به ، وروى عنه

احمد واسحق ، ويحيى ، وابن المديني وهم ممن اجله المحدثين .

حدثنا ابو عقيل ـ يعني الثقفي ـ وهو عبد الله بن عقيل الكوفي نزيل بغداد ، وثقه احمد كما رأيت بعد رواية الحديث هذا ، ووثقه النسائي وغيرهما ، واخرج حديثه اصحاب السنن الاربعة . حدثنا مجالد بن سعيد : بن عمير الهمذاني الكوفي ، احد الاعيان ، روى عن الشعبي وابي الوداك وطائفة وروى عنه الثوري وابن المبارك وخلق ، وقد اختلف متقدمو علما الجرح والتعديل في مجالد واليك بيانها مع تمحيصها .

قال ابن معين : مجالد ضعيف واهي الحديث ، وقال عبد الرحمان بن مهدي : حديث مجالد عند الاحداث ليس بشيء ـ يعني انه تغير باخرة ـ ويحيى بن سعيد القطان يقول في نفسي منه شيء ، وابو حاتم الرازي يقول : ليس بقوي الحديث ، وقال ابدا : لا يحتج بحديثه وهو احب الى من بشر بن حرب وابي هارون العبدي ، وشهر بن حوشب . وهذه اراء اكثر الذين جرحوا مجالد ان لم نقل كلها .

اما تجريح ابن معين ويحيى بن سعيد القطان وابن معين من المتشددين فقد رده عليه الحافظ الامام ابو بكر بن ابي خيثمة وجاها وانكر على ابن معين قوله هذا ونقل ابن ابي حاتم في الجرح والتعديل ذلك ج 4 ـ 1 ـ 350 فقال : ابوبكر بن ابي خيثمة ـ فيما كتب الي ـ قال : سمعت يحيى بن معين يقول : مجالد ضعيف واهي الحديث ، قال ابوبكر : قلت ليحيى بن معين كان يحيى بن سعيد القطان يقول لو اردت ان يرفع لي مجالد حديثه كله رفعه ، قال نعم ، قلت : ولم يرفع حديثه ؟ قال : لضعفه ؟ !

[illegible] ابن ابي خيثمة احتج على ابن معين وابن القطان بانه لو كان كما زعمتما لفعل . وقد نقل عن ابن معين ذاته انه قال مرة صالح ، كما ان النسائي قال عنه مرة ليس بالقوي ، ومرة قال : ثقة (1) فمن يجعلنا نسلك اقوالهم في التضعيف مسلك النسبية (اي انه ضعيف بالنسبة لفلان او اذا قرن بفلان) وهذا مسلك معروف وطريق واضحة عند اهل الجرح والتعديل وتجدها واضحة في كتبهم . (2)

وابو حاتم الرازي ـ وهو متشدد كذلك في الجرح ـ لم يجعله في الطبقة الاولى في الخجية ، ولم ينزله الى درجة الضعف بل قال : هو احب الى من بشر بن حرب ، وابي هارون العبدي ، وشهر بن حوشب .

وليس مجالد بقوي الحديث (3)

وهؤلاء الذين قرنهم به وفضله عليهم قد وثقوا واخرج لهم الائمة ، فبشر بن حرب اخرج له النسائي في سننه (وهو صاحب المسالك الدقيقة في انتقاء الرجال) وقد قيل : ان شرطه اشد من شرط الشيخين ، وروى عنه شعبة والحمادان ... ، وقال ابن عدي : لا اعرف له حديثا منكرا .

وشهر بن حوشب ، وان كان فيه مقال ، فقد وثقه ابن معين واحمد ، وابو زرعة ، ويعقوب بن سفيان ، واخرج حديثه مسلم والاربعة ، وغيرهم .

فهل قول ابي حاتم لا يحتج بحديثه ، . . ليس بقوي الحديث اتهام وانكار يوصله الى درجة الرواة الواهين ؟ !

واما قول ابن مهدي : حديثه عند الاحداث ليس بشيء فان الراوي عنه لهذا الحديث عبد الله بن عقيل الكوفي وابرز شيوخه مجالد ، وهشام بن عروة ، ومما رأيت احدا ضعفه في مجالد او اشار الى لخذه ، عنه حال الكبر والتغير ، فقضية الاختلاط متفقية عن عبد الله بن عقيل .

ولنتساءل هل اتهمه احد بالوضع ؟ اننا نقول بكل تاكيد لا ، لم يتهمه احد بذلك ، وبعد تعريفة هذه المطاعن التي وجهت اليه لننظر الذين عدلوا ، فنجد ان البخاري يقول : صدوق (4) وقال عنه النسائي ثقه ، وقال احمد بعد ان اشار الى ما تقدم : احتملة الناس ، وقد روى عنه كبار الائمة المحتجين امثال الثوري ، وابن المبارك ، وشعبة وحماد بن زيد ، وسفيان بن عيينة ، وحفص بن غياث ، وبعضهم لا يروي الا عن ثقة ! ! وتاهيك رواية يحيى بن سعيد القطان عنه، كما ان ابن مهدي قد حدث عن رجل عنه (5) فان كان يحيى القطان يعرف مغمزا فيه لغمزه وفيه يقول شعبة مخاطبا له : ومن يطيق مثل نقدك يا ابا سعيد .

وخلق غيرهم ، وقد اخرج حديثه في دواوين الاسلام وفي مقدمتها : صحيح مسلم ـ وان كان مقرونا ـ والسنن الاربعة وغيرها .

---

(1) انظر شرح علل الترمذي للحافظ ابن رجب الحنبلي ص 126

(2) والدلالة عن صحة ما نذهب اليه استعرض الاقوال خصوصا راي ابن مهدي في تهذيب التهذيب 10 ـ 40

(3) انظر الجرح والتعديل ص 4 ـ 1 ـ 361

(4) انظر الاعلام : 6 ـ 161

(5) كما وثقه يعقوب بن سفيان اذ قال : تكلم فيه الناس هو صدوق ، وانظر تهذيب التهذيب 10 ـ 40

وبعد هذا نقول ان الحافظ الذهبي ، وهو من اهل الاستقصاء التام ، وحجة في علم الرجال ، يقول في جزء الديلمي من احاديث المشايخ الكبار ان حديثه حسن ، وهو القول الفصل الذي نرتضيه ونعتمد عليه وكما لا يخفى عن اهل هذه الصنعة ان الضعف درجات ، كما ان العدالة درجات فليس هو من الدرجة الاولى في العدالة وذلك من ناحية الحفظ والضبط ، لا من ناحية الديانة والثقة ، وبعد تبيان ما تقدم :

وروى هذا الحديث عن الشعبي ، : عامر بن شراحيل ، الامام العلم علامة التابعين والذي روى عن عدد من الصحابة ، ويقول : ما كتبت سوداء في بيضاء ، وكان يستفتى والصحابة متوافرون ، رواه عن :

مسروق بن الاجدع الهمذاني الامام القدوة صلى خلف ابي بكر وروى عنه وعن عمر وغيرهما من اعيان الصحابة وكما قال ابن معين : لا يسأل عن مثله .

رواه عن عائشة ام المؤمنين الصديقة بنت الصديق ، ولا يطعن فيها الا مبتدع او ضال او زنديق

4 ــ اما اسناد الترمذي فرواه عن شيخه الحسن بن الصباح البزار عن ابي النضر ، ، كاحمد ، والحسين بن الصباح هو ابو علي الواسطي ، ثم البغدادي احد اعلام السنة ، وثقة احمد وغيره ، وروى عنه البخاري وابو داوود ، والترمذي والنسائي .

5 ــ وبعد هذا نقول : ان احدا لم يعد هذا الحديث في الموضوعات حتى ان علي القاري وله كتاب ضخم في الموضوعات بل اكثر من كتاب قد شرحه في الشمائل ولم يعلق على اسناده بادنى كلمة تضعيف الحديث .

ومنهم الفيروز آبادي صاحب القاموس : عندما ذكره في القاموس ذكره بصيغة التقرير فقال : رجل من عذرة استهوته الجن ، ، ،

وقد تناقل هذا الخبر الى جانب المحدثين الادباء القدامى ، في مصنفاتهم ، وهو معروف مشهور ويحضرني منهم الآن الثعالبي في كتابه (ثمار القلوب في معرفة المضاف والمنسوب)

والميداني المتوفى ، 518 هجرية (وهو ممن سمع الحديث ورواه) في كتابه مجمع الامثال رقم المثل (1038) فقال هو رجل من عذرة استهوته الجن ــ كما تزعم العرب ــ مدة ، ثم لما رجع اخبر بما راى منهم فكذبوه حتى قالوا : لما لا يمكن حديث خرافة ،

وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : خرافة حق ، يعني ما تحدث به عن الجن حق هـ .

ومنهم : الاصفهاني في محاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء .

ومن المتاخرين كذلك ذكره العلامة المحقق عبد الحي الكتاني ، في التراتيب الادارية ولم يعزه 2 ــ 352

6 ــ واذا نظرنا الى معناه فليس فيه ما ينكر او يخالف المعقول او المنقول او يناقض الاصول ، فلهذا لا يلتفت الى من طعن في هذا الحديث ، لا سيما وانه لم يات بحجة معتبرة .

7 ــ وقد اورده السيوطي في الجامع الصغير بلفظ « رحم الله خرافة انه كان رجلا صالحا » وعزاه للمفضل الضبي في الامثا لمن حديث عائشة ، وتمامه كما ساقه المناوي : ذكر اسماعيل بن ابان عن زياد البكالي عن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه القاسم بن عبد الرحمن قال سألت يعني عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن حديث خرافة ، فقال : بلغني عن عائشة انها قالت للنبي ، ، ، الحديث

واخرجه كذلك ابن ابي الدنيا في ذم البغي من حديث انس رضي الله عنه ، وقال ابن حجر : رجاله ثقات الا معاوية ابن سخينة فلم اعرفه .

هبذا تبين صحة ما ذهبنا اليه علما بان الحافظ ابا الفيض الغماري الذي تتبع الحافظ السيوطي في الاحاديث الموضوعة الموجودة في الجامع الصغير في كتابه المنير فلم يذكره : وهو معروف بالاستقصاء والتدقيق ، وبهذا فان مجالدا لم ينفرد به وتعددت طرقه .

8 ــ وختاما لهذا كله نقول : لو رجع اي طاعن في هذا الحديث وهو في المسند المبجل للامام احمد بن حنبل ــ لما كتب حول المسند خصوصا « القول المسدد في الذب عن المسند للامام احمد » لابن حجر واصله للعراقي وذيله للمحدث محمد صبغة الله المدارسي الذين تعقبوا ابن الجوزي وهو قمة المتشددين في ادخال الضعيف وحتى الصحيح مع الموضوع لما وجد هذا الحديث لا في موضوعات ابن الجوزي ولا في القول المسدد وذيله مما يدل على بعده عن الوضع او الضعف الشديد ، ثم انه معلوم لاهل هذه الصنعة انه « لا يجوز الاقدام على الحكم بالوضع قبل التدبر والتامل » (6) ونسال الله ان يلهمنا الصواب والسداد .

لربط : فاروق حمادة

(6) عبارة الحافظ ابن حجر رحمه الله .

أهمية الإيمان للحياة

وللجهاد من أجلها

للأستاذ محمد حماد يحيى العزيز

الحياة نعمة كبرى من نعم الله على الانسان الذى يعرف فضلها الوجود وعظمته وقيمته.

والحياة ايمان وجهاد لان مبتداها ومنتهاها وغايتها الايمان، ولان وسيلتها لتحقيق الفوز بالسعادة والهناء والامان الجهاد.

ولا ينبغى ان نستغرب من كلمة «الجهاد» او نفزع منها، فالعمل اليومى جهاد، والاجتهاد فى الدرس او فى الانتاج جهاد، النقانى فى اداء الواجب جهاد، والاخلاص للعقيدة جهاد والرغبة فى التقدم والارتقاء جهاد، واراقة التضحية جهاد، والتضحية جهاد .. وغيرها وبمعنى اخر ان الانسان يجاهد دائما ويوميا عرف ام لم يعرف، وعى ام لم يع هذه الحقيقة.

اجل، ان الحياة «ايمان لان خالقها هو الله الحى المطلق الحياة، والذى لولاه ولولا حياته الدائمة لما كان لها اى وجود، ولظل العدم سائدا لانعدام وجود الاحياء ومنهم ابدا الانسان العاقلين الواعين القادرين على التمييز بين الوجود والعدم (اى اللاوجود) وبين الحياة وانعدام (الحياة الروحيه الغيبيه) وبين الخير والشر، وبين التطلعات العليا والنزوات الدنيا.

والله الخالق الحى المطلق الحياة مؤمن مطلق الايمان بنفسه، وبقدرته، وبخالقيته وبما اوجده من موجودات، ولذلك كان لا بد ان يكون الانسان هو السبيل الواجب على الحياة نفسها سلوكه فى مسيرتها اللانهائية من الازل نحو الابد.

نعم، بوجود الله الخالق وايجاده الوجود والحياة انتفى العدم انتفاء كليا، ولم يعد بالنسبة للانسان الواعى الا جانبا لا مرئيا من الوجود يصعب عليه ادراكه حتى يشاء الله

وهكذا يظل العدم فى الواقع الحيوى مجرد وهم يعيشه كل انسان حسب مبلغه من قيمة الوجود والحياة او مجرد معنى مرادف مجازا للموت او للاوجود الازلى. او للاوجود المدرك بالحواس، اومجرد معنى يقصد به النفى اليأس والملل والفشل والعجز والضعف والسكون.

ليس فيه معنى بالنسبة لما نحن احياء الانسان المحال تصوره او استيعابه بـ رؤيتنا العقلية حيثما تقف رؤيتنا البصرية وتعجز حركتنا الجسمية عن الامتداد الذاتى او الالى لندرك نشاطات جميع الكائنات الحية والاحاطة بكافة اسرار الحياة على ضوء ما وهلت اليه معرفتنا.

وحسب هذا يعتبر كل ما لم نتوصل الى معرفته باعيننا او بعقولنا عدما او كالعدم نقيس به الحياة باعيننا او بعقولنا عدما او كالعدم وان كان موجودا.

ان معرفتنا الانسانية بوسائلها البصرية والعقلية هي «معيارنا» الذي نقيس به الحياة واسرارها، ونحاول ان نفهم على ضوئه كل شيء خارج ارضنا.

ولذلك فهي «معيار» خاص صغير محدود نهائي اذا ما قيس بالمعايير العامة الشاملة العظمى اللامحدودة اللانهائية التي تخضع، او يمكن ان تخضع لها الحياة اللانهائية اللامحدودة في الوجود اللانهائي اللامحدود.

ويعني هذا انه يتعين علينا نحن ابناء الانسان ان نقيس، او نحاول ان نقيس، الحياة بالمعايير العامة الشاملة العظمى اللانهائية اللامحدودة لا بمعيارنا الخاص الصغير النهائي المحدود.

ولن نجد معايير اشمل واعم واصدق وادق واعدل من معايير الله الخالق الحي الدائم الباقي.

وعليه، ان ما نظن ان الحياة غير موجودة فيه قد تكون فيه الحياة ولكن بشكل لم تصل بعد عقولنا الى ادراكه وفهمه، ولذلك يكون ظننا خاطئا لانه ظن قسناه على معيارنا الخاص للحياة على ضوء فهمنا الانساني الارضي على الارض، وحسب مبلغنا من العلم في آخر مراحل تقدمه.

والعلم يتقدم باستمرار، او بعبارة اكثر دقة، وان عقولنا هي التي تتقدم باكتشاف العلم والمعارف، وما لم تدركه عقولنا هي التي تتقدم باكتشاف العلم والمعارف، وما لم تدركه اليوم ستدركه غدا مثلما ادركت اليوم ما لم تستطع ادراكه بالامس.

ويعني هذا ان ظننا الخاطيء اليوم بسبب قصور عقولنا عن ادراك الحياة واسرارها بمفهومها العام الشامل يصبح غدا غير ذي موضوع.

ان فهمنا الحياة، اذن، يجب ان يندرج في فهمنا لها لا نهائية لا محدودة متاطرة في وجود لا نهائي لا محدود تحكمه قوانين علم مطلق لا نهائي لا محدود أوجده الله الخالق منذ وجوده ، واخذ يظهر معارفه وتفرعاته التقنية والتطبيقية بالتدريج تبعا لتقدم الامكانات والاستعدادات العقلية لابناء الانسان، وتبعا لاجتهاداتهم وطموحاتهم النازعة الى التجاوب مع المطلق بنشداتهم التوصل الغائي الى ادراك ما هو مطلق لا نهائي لا محدود.

هكذا يقودنا التجاوب مع المطلق الى ان نفهم ان الحياة بعامة ، والحياة الانسانية الارضية بخاصة بدأت غيبية لا مرئية لا يمكن ان تعرف عن مبدئها شيئا معرفة عينية طبيعية تجريبية تطبيقية، وانما كل ما تستطيع ان تعرف عنها هو معرفة نظرية تأملية (ميتافيزيقية) نسبية تقريبية تخمينية، وكذلك الشأن بالنسبة لاستمرارها في ديمومتها الابدية مجالات اللانهاية الى ما شاء الله .

اما الفترة الوجيزة القصيرة التي تعرفها من المولد الى الوفاة على الارض على ضوء ما توصلت اليه عقولنا من اكتشاف المعارف فانها ليست شيئا مهما بالنسبة للمعايير العامة الشاملة التي يجب ان نفكر فيها ونقدرها حق قدرها ونقيمها قيمتها الحقيقية اذا اردنا ان نقيس الحياة قياسا عادلا وصائبا

وان الاكتشافات العلمية الحديثة، وبخاصة الاختراعات التقنية، تؤكد لنا اهمية التأملات النظرية (الفكرية) التي تمتاز بنزعتها الميتافيزيقية رغم تجسيداتها الطبيعية المادية.

ولا ريب في هذا، فالعلم جملة وتفصيلا ميتافيزيقي (غيبي) نظري يدرك بالتأمل والاجتهاد العقلي، ولا يمكن ان يتوصل الى الاحاطة باسراره الا الذين يقومون بتأملات نظرية مثابرة في مجالاته الميتافيزيقية متجاوزين الزمان والمكان منسلخين، في حدود الممكن عما هو طبيعي مادي رغم تقيدهم القسري به، ولا يمكن ان يتم هذان التجاوز والانسلاخ الا عقليا فكريا بارادة عازمة حازمة في اطار اجتهادات روحية معنوية جريئة غايتها نشدان التجاوب مع المطلق.

وهذه خاصة يمتاز بها العلماء والمفكرون الكبار الذين يكرسون اوقاتا ثمينة من حياتهم للتأملات النظرية متوخين اكتشاف معارف جديدة يستفيدون منها في تأكيد وجهات انظارهم في مقاصد شتى من مقاصد الحياة.

ان ما هو ميتافيزيقي ما ينفك يجذب العقل الانساني جذبا ساحرا لاكتشاف المجاهيل الكبرى في مجالات المعارف التي لم يتوصل اليها الانسان.

واذن يجب ان نحرر عقولنا من القصور العقلي لكي نتمكن من ممارسة الحياة ممارسة واعية في اطار علمي حقيقي مندرج في السبيل الحق الذي اراده الله الخالق للانسان .

وتحريرنا عقولنا من القصور العقلي انما يعني تحريرها من الجمود، ومن التبعية، وتخليصها من تأثيرات الدعوات الضالة الى سيطرة ما هو مادي وحده في الواقع المجتمعي الذي يتيح الفرصة لاستمرار «الجاهلية» الملحدة، وتجديدها عبر الزمان ابقاء على غريزة استعباد القوي للضعيف وهيمنة من يملك الامكانيات على من لا يملكها .

وان ايماننا بالحياة يجب ان يعني ايماننا اليقيني بالعلم.

العلم وحده هو الذي يستطيع ان يحقق السعادة للانسان في حياته على الارض وفي حياته الروحية خارج اجوائه.

والعلم هو التقدم ولا يمكن ان تتحقق اية تطورات او تنميات تقدمية بدونه.

واذا اردنا ان نحقق المساواة الممكنة في ظروف الحياة الاجتماعية فينبغي ان نتشدها في تحقيق المساواة في الحصول على العلم.

ان كل تفاوت في الحصول على العلم يعني حدوث تفاوت المساواة في ظروف الحياة الاجتماعية.

ومن المسؤول على هذا ؟

لا شك أن الذي يتيح له المجتمع جميع الظروف والوسائل الممكنة للحصول على المستوى اللائق من العلم ولا يحصل عليه لاسباب كثيرة كالغياب عن حضور الدروس، او الكسل، او السقوط في الامتحانات او السلوك الشيء مع الاساتذة .. الخ هو المسؤول عن كل ما يمكن ان يحدث له من تأخر عن مواكبة الركب الاجتماعي ومسايرته، ولا يحق له ان يلقي باللوم على المجتمع، او على غيره او على الاوضاع المجتمعية وانما يجب ان يلوم نفسه اولا واخيرا ان كان يتحلى بالانصاف.

ويعني هذا ان التقدم والتقدمية لا يجب ان ينظر اليهما نظرات «مريبة غريبة» باعتبارهما خارج نطاق الايمان بالله، او باعتبارهما من اختصاصات ايديولوجيات خاصة وحدها فقط ولا غير و انهما تفرضان على كل من يريد ان يكون «متقدما» او «تقدميا» ان يترك ايمانه جانبا ويصبح ملحدا كافرا !

كـــــلا !

ولذلك فان مجتمعنا مدعو لان يستمر في ان يظل دائما متقدما وتقدميا في اطار الايمان بالله الذي يستطيع ان يحقق في مجالاته ارتقاءات حضارية واجتماعية واقتصادية متوازنة روحيا ومادياً.

واذا اعتبرنا التقدم الناتج عن العلم هدفا ساميا من الاهداف التي يسعى اليها الانسان ليفوز بالسعادة والهناء والامان والرفاه فان الاجتهاد هو الوسيلة الغائية للحصول عليه.

وليس الاجتهاد في حقيقة امره الا الجهاد الباطني والظاهري الذي يجلي بصدق الارادة والنشاطات المركزية والمنظمة والموجهة لتحقيق الغاية المرسومة.

نعم، انه جهاد من اجل تحقيق الغاية او الهدف.

وكل جهاد يتطلب توجيه الارادة توجيها غائيا خاصا وضبطها والسيطرة عليها وتنظيمها وتركيزها توخيا للاستفادة منها في الفوز والنجاح والنصر.

وان اي جهاد لا تكون الارادة العازمة الحازمة المركزة والمضبوطة والموجهة والمنظمة له الحافز الاصلي فيه سيبوء دوما بالفشل .

ومثلما يتطلب كل جهاد تركيز الارادة وتوجيهها يستوجب ايضا التحلي بالشجاعة للتمكن من مواجهة جميع انواع الصعوبات ومعالجة كل المشاكل الكبيرة والصغيرة التي تخص بها الحياة.

والحياة اليومية التي نحياها غاصة بالمشاكل من كل الانواع ولذلك يجب ان يتحلى كل انسان بالشجاعة تحليا اصليا ثابتا ودائما ليتمكن من حلها .

لقد آن للانسان ان يدرج عمله اليومي الخاص في الاطار المفهومي للجهاد الوطني الذي يستهدف تحقيق ارتقاءات حضارية واجتماعية واقتصادية متوازنة روحيا ومادياً في ارض الوطن، وعليه ان يعي هذه الحقيقة لئلا يظل يحيا معزولا غائيا وهدفيا عن الحياة الوطنية.

ان المطر يتكون من قطرة واحدة من الماء تصاحبها ملايين الملايين من القطرات الاخرى، وكذلك الشأن بالنسبة للحضارة الوطنية، انها هي الاخرى

تتكون من جهود انسان واحد تصاحبها جهود الملايين من ابناء الانسان الاخرين.

وان الكثيرين من ابناء الانسان في مجتمعنا الوطني يعملون، ويبذلون جهودا محمودة لتحقيق ارتقاءات حضارية واجتماعية واقتصادية خاصة وعامة ولكنهم لا يعرفون انهم يجتهدون او انهم يساهمون في جهاد وطني دائم، وهذا نقص كبير جدا وخطير في توجيههم ووعيهم، وهو نقص قد يؤثر على المجهود الوطني اثمام الذي يحتاج اليه الوطن في الظروف المصيرية الحرجة الصعبة.

وتقضي ارادة التقدم ان يتعلم الانسان منذ نعومة اظفاره الامل والنجاح والفوز والنصر.

ويعني هذا انه يجب ان يتعلم وجوب طلب العلم، ووجوب الاجتهاد، اي العمل وبذل الجهد، ووجوب التحلي بالشجاعة والصبر والمثابرة اثناء اجتهاده وعمله.

وما دام الانسان المسلم يمارس مسؤوليات الجهاد الاكبر ممارسة يومية فيجب ان يعرفها ويعيها ويفهمها فهما حقيقيا في اطار فهمه للحياة اللانهائية اللامحدودة.

وتبعا لهذا ينبغي الا تقتصر ارادة النجاح والفوز والنصر على الحياة الدنيا وحدها فقط وانما يجب ان تتطلع الى امل احراز النجاح والفوز والنصر في حياة ما بعد الموت، وهذا لا يتم ولن يمكن ان يتم، الا بالايمان بالله، وفي اطار تعاليم دينه الحنيف.

ان الايمان بالله وبدينه الحنيف هو العقيدة الحقيقية الكفيلة بتأمين الارتقاءات الحضارية والاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الانساني شرط ان يفهمها كل انسان الفهم الصحيح، وهي عقيدة ستظل دائما قوية ثابتة امتن من صخور الجبال تكسر محاولات الذين يريدون الاعتداء عليها او النيل منها.

وحياة بلا ايمان انما تعني حياة فارغة من جوهرها ومن اصالتها، ومن غائيتها الحقيقية اللانهائية اللامحدودة وان كانت ظاهريا وشكليا حياة بكل « معطيات الحياة ومفاهيمها » وان كان الانسان يبدو فيها سعيدا !

وما ذلك الا لان الانسان اذا فقد الايمان فقد بفقدانه الاتصال بالله الخالق وبالتالي بالوجود اللانهائي اللامحدود واصبح تائها في بيداء «الجاهلية» والجهالة رغم ما يمكن ان يحرزه من علم.

لهذا كان الجانب الروحي (الباطني) الاعتقادي (الديني) في الحضارة والارتقاءات الاجتماعية والاقتصادية دعامة اساسية لا بد منها لاقامة صرح مظاهرها وتجسيداتها التنظيمية والانجازية تاميا لادامة التوازن بين الروح وما هو روحي وبين المادة وما هو مادي في حياة الانسان والمحافظة على اتصاله الغيبي بالله الخالق وانسياجه في الحياة اللانهائية اللامحدودة في الدنيا على الارض وفي الاخرة بعد الوفاة.

ومن الانصاف ان نعزو كل تقصير في تحقيق الارتقاءات الاجتماعية والاقتصادية الى قصور اجتهادنا (عملنا العقلي بصفة خاصة) عن فهم دورنا الحاضر كهمزة وصل بين ماضينا الحافل بالاشعاعات الحضارية والثقافية المنبثقة من اشراقاتنا الروحية وبين مستقبلنا المتطلع الى اضافة مكتسبات ارتقائية عصرية حديثة اليها تجعلنا في مقدمة المجتمعات الانسانية التي تساير التقدم العلمي المتقدم في كل آن.

ان غايتنا الارتقائية الهادفة الى تحقيق ارتقاءات حضارية واجتماعية واقتصادية تفرض علينا ان نجتهد دائما ونتدرجه في جهادنا الوطني اليومي وفي جهادنا الاكبر الدائم.

ولن نكون شيئا مذكورا بدون ايماننا بالله !

دراسات مغربية

- ابعاد الحضارة المغربية
- ملامح من تطور المغرب العربي
- بعض بيوتات وآثار الحرمين الشريفين من خلال الوثائق الديبلوماسية وحجج الوقف المغربية
- هل هو سلطان للشعراء ؟
- أمجاد تتكلم والتاريخ يسجل
- ابن بطوطة
- الشاعر محمد ابن موسى – 3 –
- حروب البرتغاليين في المغرب
- كتب الزواجر والعظات

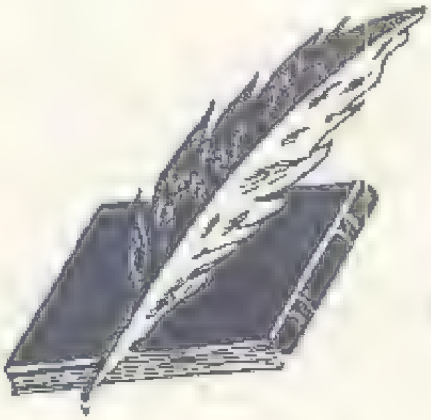

رحم الله
مفدي
زكرياء

● قبل ان يسافر الى تونس ليلقى ربه هناك بعد ايام قلائل من وصوله اليها جاءني مودعا ... ورجاني ان ابعث له بهذا العدد الى عنوانه بتونس بدل عنوان الدار البيضاء . وكانت آخر جلساتي مع شاعر المغرب العربي الكبير ... قدم لي مقالا عن موقف علماء الجزائر من نفي جلالة المغفور له محمد الخامس ـ قدس الله روحه ـ سنة 1953 مع نسخة مصورة لعدد « البصائر » التي كان يصدرها الشيخ البشير الابراهيمي وهو يتضمن النص الكامل للبيان التاريخي الذي أصدرته « جمعية العلماء المسلمين بالجزائر » ..

وكعادتنا كلما التقينا تشعب بنا الحديث الى الوضع في الجزائر . واشهد اني اغترفت من علمه الغزير الشيء الكثير عن الاتجاه اللاديني الذي يسلكه حاكم الجزائر المتنكر لاواصر العقيدة والاخوة والدم بين الشعبين الشقيقين ..

كان يتحدث ببساطة وصدق وعيناه تشعان بذلك البريق الذي عهدناه في عيون المجاهدين ... وكان مؤمنا بالمغرب ايمانه بالقيم المثلى والمبادىء الخالدة التي شرد من اجلها ... وكنت اقول له دائما : الا تشغلك هموم السياسة عن الشعر ؟ . وكان ينوي ان يستمر في تقديم الوثائق التاريخية الكاشفة للمؤامرة ضد وحدة شعوب المغرب العربي المسلم ..

وكنت احب الرجل لصدقه وطهارته وتضحياته وجهاده الشاق من اجل مغرب عربي يبني حاضره ومستقبله على أساس الاسلام ومن منطلقه .. وكنت أوثره على كثير من شعراء العصر لتعلقه بهذا المغرب نظاما وتراثا وحضارة وشعبا ... وكانت له برجاله وعلمائه وادبائه وشعرائه علاقات مودة ومحبة واخاء ..

قال لي وهو يودعني الوداع الاخير : « ارجو ان تحتفظ بالوثيقة الى ان اعود » ... فيا ابن تومرت ... يا شاعر الثورة الجزائرية في ايامها الاسلامية المجيدة قر عينا وثق اننا للعهد حافظون وعلى الدرب سائرون وليس لنا والله الا هذا الاسلام العظيم والعرش : هما معا عروتنا الوثقى التي لا تنفصم .. رحمك الله ●

عبد القادر الادريسي

الاسم مفدي زكريا

اللقب آل الشيخ

تاريخ ومكان الولادة بني يزقن في واحات وادي ميزاب ٩٤ أفريل ١٩١٣م

الجنسية جزائرية

الوظيفة الحالية مدير معهد حر بالدار البيضاء باسم (معهد الحسن الداخل)
ثانوي مختلط

عنوان المراسلة معهد الحسن الداخل ١٨ شارع ١١ يناير بالدار البيضاء
أو بصندوق البريد رقم ٢٩٨ بالدار البيضاء

عنوان القصيدة المخطوطة إقرأ كتابك

كتب في ١٦ أكتوبر ١٩٦٧ ... بتاريخ .....

الامضاء

مفدي زكريا

بطاقة تعريف مفدي زكريا بخط يده

نبذة جدّ مختصرة عن حياة مفدي زكرياء

ولد بني يزقن سنة 1913 - تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي كل من (مدرسة السلام) و (المدرسة الاهلية) و (الخلدونية) و (مدرسة الآداب والترجمة بالعطارين) وأخيرا بجامع الزيتونة المعمور كل ذلك بتونس -

تزوج عام 1928 وانجب ابنتين وولدة (صلاح الدين سليمان) (عائشة استقلال) (صالحة فداء)

حياته النضالية - انخرط في سلك الشبيبة الدستورية بتونس ايام دراسته عام 1922 ثم دخل الجزائر وانخرط في حزب نجمة افريقيا الشمالية بالجزائر عام 1937 ثم انتخب امينا عاما لها عام 1936 ثم بعد ان عمدت السلطة الاستعمارية على حل (نجمة افريقيا الشمالية) وتأسس بدلا عنها (حزب الشعب) بقي امينا عاما له ثم واصل نضاله في حزب (الانتصار للحريات الديمقراطية) بدلا عن حزب الشعب بعد حله من لدن السلطة الاستعمارية. ثم أخيرا في منظمة (جبهة التحرير) عام 1955 في بداية الثورة - دخل السجن من اجل النضال المرار العديدة قضى في مجموعها (متفرقة) بسبع سنوات. افرج عنه عام 1959 وفر الى المغرب ثم تونس حيث تعاون مع جهاز الحكومة الجزائرية الموقتة في وزارة الاخبار.

نشاطه الفكري - كان يشارك بأحاديث ادبية وابحاث فكرية في اذاعات وتلفزيونات المغرب العربي - الجزائر - المغرب - تونس - ونظم جل قصائده الثورية في اعماق السجون. وله من الدواوين المطبوعة (اللهب المقدس) و (تحت ظلال الزيتون) وله الآن تحت الطبع (اليازة الجزائر) في بيت وبيت، وديوان (في وحي الاطلس) وديوان (الانطلاقة) وديوان (الخافق الهدب) في الشعر الذاتي - وله من التآليف الغير المطبوعة (الادب العربي بالجزائر عبر التاريخ) (تاريخ الصحافة العربية الجزائرية) (الفولكلور الجزائري) - (ديوان محاولات طفولة) (قاموس المغرب العربي الكبير في اللهجات المغربية) (العادات والتقاليد في المغرب العربي الموحد) وطائفة اخرى من روايات وقصص ومحاضرات. وله ديوان ينوي طبعه هذه السنة (الزحف المقدس) باللغة الشعبية عن الثورة الجزائرية على غرار (اللهب المقدس) وهو صاحب النشيد الجزائري الرسمي (قسما) ونشيد الجهاد السياسي (فداء الجزائر) - ونشيد (تحية العلم الجزائري) و (نشيد جيش التحرير الجزائري) ونشيد (بربروس) ونشيد (الشهداء) ونشيد (حواء الجزائر الخالدة) ونشيد (الطلاب) و (نشيد العمال) ونشيد (معركة بنزرت) ونشيد (مؤتمر المصير) بتونس - ونشيد النادي الافريقي الرياضي بتونس - و (ملحمة بجاية) وهو بصدد نظم اليازة المغرب وبعدها اليازة تونس وتطبع الاليازات الثلاثة في ديوان بعنوان (اليازة المغرب العربي الكبير)

كتب في ..... بتاريخ .....

حامل (لوسام الكفاءة الفكرية من الدرجة الاولى) من عاهل المغرب - ووسام (الاستقلال الصنف الثاني) من رئيس جمهورية تونس. ووسام الاستحقاق الثقافي من رئيس جمهورية الايطاليا تونس

يشتغل حاليا بادارة مدارس حرة بالدار البيضاء

كتب في 17 اكتوبر 1976

مفدي زكرياء

حياة مفدي زكرياء بقلمه

من وثائق التاريخ التي لا ترحل

مواقف الرجال

إعداد : الأستاذ مفدي زكريا

في العشرين من مثل شهر اغسطس 1953 امتدت الايدي الاثيمة من استعمارية وعميلة لرائد الجهاد الوطني فانتزعته من عرشه وابعدته مع افراد اسرته الماجدة الى جزيرة مدغشقر واهمه كعادتها انها بهذه العملية الصبيانية الخرقاء ستعطل عجلة التاريخ ، وتوقف مسيرة الشعب الهادرة نحو انتزاع حريته وفرض استقلاله وكانت لهذه الحماقة الاستعمارية رجة هزت كيان ابناء العمومة في كل مكان وحركت ضمائر الاحرار في مشارق الارض ومغاربها ، وتدفقت موجة عارمة من الاستنكار والتشهير بل التحدي الذي لا يعرف التوقف عند حد وبعدتنا التاريخ فيما يحدث عن صدق مشاعر الانسقاء الابرار ، الذين لم يحقروا ذمام الجوار فنجد في عدد 4 شتمبر 1953 من جريدة البصائر (لسان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وعلى طول الصفحة الاولى والثانية (بلاغا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) وبامضاء الشيخ محمد خير الدين احد اقطابها الموجود حاليا مع رفاقه الاحرار في سجن (بومدين) بالجزائر لوقوفهم بشجاعة الرجال الى جانب الحق المهضيم ، والمبادي المهدورة على يد حكام نصف الليل المدسوسين كشهادة زور على الشعب الجزائري الذبيح

ونجد الى جانب هذا البلاغ (فتوى شيخ الازهر سماحة الشيخ الخضر حسين) في تاييد فتاوي علماء المغرب آنذاك وحكم الله في مدبري هذه الجريمة التاريخية النكراء ونحن ننشرهما بمجلتنا الحبيبة (دعوة الحق) في عددها السابع وفي شهر اغسطس بالذات كعبرة للذين يقطعون ما امر الله به ان يوصل ، ويسعون في الارض فسادا

مفدي زكريا

بلاغ من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

بسم الله الرحمن الرحيم

ان العلماء الجزائريين بعد دراسة عميقة لحوادث المغرب الاقصى المزعجة وبعد عرض القضية على لجنة الافتاء المختصة بدراسة القضايا من حيث وجهتها الدينية الصرفة يفتون :

1 — باستمرار امامة سيدي محمد بن يوسف ولزوم طاعته لجميع المغاربة .

2 — بطلان امامة (السلطان) المفروض محمد بن عرفة .

3 — بمروق العصابة القلاوية والكتانية من الدين وتبرىء الاسلام منهم لخيانتهم ونكثهم العهد ورفعهم السلاح في وجه امامهم الشرعي .

4 — ويستنكرون موقف الحكومة الفرنسية المخالف لتعهداتها ، ويعتبرون عملها يوم اجتماع المسلمين في مناسك الحج بمكة اعتداءا لعواطف جميع المسلمين ومحاربة للاسلام .

اقدمت العصابة القلاوية المفسدة على تنفيذ مؤامرتها الدنيئة تحت اشراف السلطة الفرنسية الاستعمارية الغاشمة بواسطة حرابها وكان من جملة افتراآتهم انهم ينفذون ارادة اغلبية الشعب ، ويدافعون عن الشرع الاسلامي ، ويخلعون سلطانا لم يبق له حق في ولاية الدين او سلطة الدنيا ، وكل هذا افتراء على الدين وبهت وتزوير للحقائق الثابتة .

ولجنة الاعناء تعلن باسم علماء الجزائر المسلمين ما يلي :

1 — ان امامة سيدي محمد بن يوسف الدينية والدنيوية ، امامة شرعية ، وطاعته تلزم كل مسلم مغربي اني يوجد ، وهذه الامامة والطاعة مستمرتان رغم ما فعله المبطلون .

2 — ان امامته كانت بمبايعة علماء المغرب واجماعهم على تنصيبه — والاجماع من مصادر التشريع الاربعة عند المسلمين — ومن المعلوم أن العلماء هم اولو الاختصاص في هذا الشان ، لقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم » واولو الامر من المسلمين هم الامراء الشرعيون والعلماء الصالحون كما قرره الامام مالك عندما سأله خالد بن نزار عن أولي الامر من هم ؟ فأشار الى العلماء وكانوا هم الحاضرين مجلسه ، فالعلماء المسلمون في النظام الاسلامي لهم من سلطة اختيار الامام للمسلمين دينا ودنيا ما للجمعية الوطنية الفرنسية المؤلفة من اعضاء مجلسي النواب والشيوخ فاذا انتخب الامام من مجموع علماء المسلمين في وطن ما ، صار الامام الشرعي للمسلمين ، وصار اميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأنه هو الذي سماه وعينه وصارت سلطته من سلطة الله ورسوله كما قال صلى الله عليه وسلم : « من اطاع اميري فقد اطاعني ، ومن اطاعني فقد اطاع الله ، ومن عصى اميري فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله » . وبهذا وجب على الامة السمع والطاعة للامام المنتخب وحرم على اي فرد من أفراد الامة نكث العهد والخروج على الطاعة .

ان امامة سيدي محمد بن يوسف يقل مثلها في الصحة والشرعية بين امراء المسلمين اليوم لمطابقتها تمام المطابقة لنصوص الشرع ورضاء جميع المذاهب الاسلامية عنها ، وكل فرد خرج على الامام — بعد عقد البيعة له من أولي الامر — فللامام ان يؤاخذه بجريمته مجتهدا في عقوبته ما لم يرفع سلاحا او يؤلف عصابة للفتنة والفساد ، فان هو فعل ذلك فهذا نص على عقوبته القرآن الكريم وليس للامام اجتهاد الا في اختيار نوع العقوبة التي خيره الله في واحدة منها لقوله تعالى : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ، ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » !

وقد قال علماء الاسلام : اذا امتنعوا على الامام العدل القيم للشرع وعثوا فسادا في الارض — اي مفسدين لما صلح من امور الناس — كان جزاؤهم ما ذكر في الآية بنص قوله تعالى : « ويسعون في الارض فسادا » ويتحقق الفساد ولو لم يصحبه حمل السلاح فالعصابة القلاوية بامتناعها عن الامام وحملها السلاح في وجه الامام العدل الشرعي قد سعت في الفتنة وافسدت ما صلح من امور المسلمين فجزاؤها هو ما ذكر في الآية .

ولو فرضنا أن أفراد هذه العصابة مسلمون صالحون لكانوا غير ذوي اختصاص في أمر التولية والعزل للامام لانهم وكلاء عنه امناء على مهمتهم فان عدروا وخانوا فهم معزولون من وكالتهم وقد عدر كل منهم وخان امامه بمجرد اشتراكه في المؤامرة ولولا مظاهرة السلطة الاستعمارية لهم وتسخيرها اياهم لنفذ فيهم العزل واقيم عليهم الحد على أن هذه العصابة القلاوية والكتائبية قد تولت الكافرين واتبعت غير سبيل المؤمنين وكما ناصرت الظهير البربري الذي اعلنته السلطة الفرنسية لتتصير المغرب سابقا وضعت نفسها الآن كآلة في يد السلطة الاستعمارية لخلع امير المؤمنين الذي ضحى بعرشه في سبيل الدفاع عن بيضة الاسلام « ومن يشاقق الرسول من بعدما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا » « ومن يتولهم منكم فانه منهم » هذه نصوص خص بها اعداء الاسلام ومن شايعهم من الخونة المسلمين ، اما غير المسلمين من أهل الاديان المسالمين لهم فقد قال الله فيهم : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين ، انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم » .

ولذا فاننا نقر علماء المغرب على فتواهم ونعتبر العصابة القلاوية والكتائبية مارقة من الاسلام يجري

عليهم من الاحكام ما يجرى على المارقين وليس لهم من صفة تخولهم الكلام باسم الامة التى تبذتهم .

ونعلن ان الولاية الوحيدة الصحيحة المستمرة انما هى ولاية سيدي محمد بن يوسف وان طاعته مستمر لزومها لكل مسلم مغربى يؤمن بالله ورسوله ، وان كل ولاية فى المغرب باطلة ما لم تكن مستمدة من ولايته كما نقرر ان كل فعل او قول يصدر عن اي انسان فى المغرب تحت الضغط والتهديد والاكراه باطل لا يلزمه ولا يلزم الامة المغربية كما قرر الاسلام « ان كل افعال المكره لا تلزمه » .

كما نقرر أن كل ما يفعل باسم الامام المفروض الجديد باطل غير شرعى لان ولايته باطلة ، وانما هو آلة مسخرة فى يد عصابة الفساد والاستعمار .

ونحن نعلم اليوم كما يعلم العالم اجمع أنه لا سلطة اليوم بالمغرب الا للادارة الفرنسية الاستعمارية فهى التى تعمل وحدها باسم المغاربة وباسم فرنسا ، وهي الخصم والحكم وكان فعلها فى خلع الامام الشرعي يوم العيد احتقارا لعواطف المسلمين ومحاربة للاسلام واننا لنحيى فى امير المؤمنين وامام المسلمين سيدي محمد بن يوسف العزة الاسلامية والشهامة العربية ، فقد لاقى الضغط والاكراه واختار ما يختاره كل بطل شهم غيور فلم يطاطىء الراس ولم يذل امته ولا دينه ، فله من الله النصر والتأييد .

عن لجنة الافتاء وباسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، نائب الرئيس :

محمد خير الدين

تحريرا يوم 14 ذى الحجة 1373

فتوى شيخ الازهر

سأل مندوب المصري فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الازهر عن موقف فضيلته وعلماء مصر من الجلاوي باشا مراكش لخروجه على السلطان وقوله أن فرنسا تحمى الاسلام فقال فضيلته :

ان الجلاوي باشا خارج على الاسلام فعلا لخروجه على السلطان الشرعى وان فرنسا لا تحمى الاسلام لانها هي عدوة الاسلام ولا سلطان لها عليه مطلقا وانما الذي يحمى الاسلام هو سلطان مراكش نفسه

يؤيد علماء مراكش

وانا وعلماء مصر نؤيد علماء مراكش فى فتواهم بانه خارج على الاسلام وتؤيدهم كذلك فى كل آرائهم وما يتخذونه من قرارات ضده وضد اتباعه والمتعاونين معه وضد فرنسا المعتدية — وقد اشرنا امس الى فتوى علماء مراكش فى هذا الموضوع — ومضى فضيلة شيخ الازهر يقول : ونطلب من العلماء المراكشيين وشعب مراكش أن يعملوا على تمكين السلطان من اعماله الوطنية الاسلامية ونحن نستنكر افعال الجلاوي باشا وفرنسا اشد الاستنكار .

يقول الله تعالى « لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين » ويقول : « ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا » .

عن صحيفة المصري عدد 5645

إقرأ كتابك...

نظمها الشاعر بقعر الزنزانة رقم ٣٧٥ (بسجن البرواقية) بمناسبة الذكرى الرابعة للثورة الجزائرية يوم فاتح نفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٨، وألقيت بالنيابة في اذاعة صوت العرب بالقاهرة

هذا (نفمبر)... قم وحيّ المدفعا ... واذكر جهادك..... والسنين الأربعا!
واقرأ كتابك، للأنام مفصلا ... تقرأ به الدنيا الحديث الأروعا!
واصدع بثورتك الزمان وأهله ... واقرع بدولتك الورى، و(المجمعا)!
واعقد لحقك، في الملاحم ندوة ... يقف الزمان بها خطيبا مصقعا!
وقل: الجزائر...!!! واصغ إن ذكر اسمها ... تجد الجبابر... ساجدين وركعا!
إن الجزائر في الوجود رسالة ... الشعب حررها... وربك وقعا!
إن الجزائر قطعة قدسية ... في الكون... لحنها الرصاص ووقعا!
وقصيدة أزلية، أبياتها ... حمراء... كان لها (نفمبر) مطلعا!
نظمت قوافيها الجماجم في الوغى ... وسقى النجيع رويها.. فتدفعا
غنى بها حر الضمير، فأيقظت ... شعبا الى التحرير شمر مسرعا
سمع الأصم دويها، فعنا لها ... ورأى بها الأعمى الطريق الانصعا
ودرى الألى جهلوا الجزائر، أنها ... قالت: «أريد»!!! فصممت أن تلمعا
ودرى الألى جحدوا الجزائر، أنها ... ثارت... وحكمت الدما... والمدفعا!
شقت طريق مصيرها بسلاحها ... وأبت بغير المنتهى أن تقنعا
شعب... دعاه إلى الخلاص بناته ... فانصب مذ سمع الندا، وتطوعا
نادى به جبريل في سوق الفدا ... فشرى، وباع بنقدها، وتبرعا!
فلكم تصارع والزمان... فلم يجد ... فيه الزمان - وقد توحد - مطمعا!
واستقبل الأحداث... منها ساخرا ... كالشامخات..... تمنعا، وترفعا...
وأراده المستعمرون، عناصرا ... فأبى - مع التاريخ - أن يتصدعا!
واستضعفوه... فقرروا إذلاله ... فأبت كرامته له أن يخضعا
واستدرجوه... فدبروا إدماجه ... فأبت عروبته له أن يبلعا!
وعن العقيدة... زوروا تحريفه ... فأبى مع الإيمان... أن يتزعزعا!
وتعمدوا قطع الطريق... فلم نرد ... أسبابه بالعرب أن تتقطعا!
نسبت بدنيا العرب... زكى غرسه ... ألم... فأورق دوحه، وتفرعا
سبب، بأوتار القلوب.. عروقه ... إن رن هذا... رن ذاك ورجعا!
إما تنهد بالجزائر موجع.. ... أسى الشآم جراحه، وتوجعا!

واهتزَّ في أرض الكنانة خافقٌ ... وأقضَّ في أرض العراق المضجعا!
وارتجَّ في الخضراء شعبٌ ماجدٌ ... لم تثنِه أرزاؤه أن يفزعا
وهوت مراكش حوله وتألمت ... لبنان، واستعدى جديس وتبّعا
تلك العروبة ... إن تثر أعصابها ... وهن الزمان حيالها، وتضعضعا!
الضاد .. في الأجيال ... خلد مجدها ... والجرح وحّد في هواها المنزعا
فتماسكت بالشرق وحدة أمة ... عربية، وجدت بمصر المرتعا

ولمصر ... دارٌ للعروبة حرّةٌ ... تأوي الكرام ... وتسند المتطلّعا ...
سحرت روائعها المدائن عندما ... ألقى عصاه بها الكليم .. فروّعا
وتحدّث الهرم الرهيب مباهيا ... بجلالها الدنيا ... فأنطق يوشعا
والله سطّر لوحها بيمينه ... وبنهرها ... سكب الجمال فأبدعا
النيل فتّح للصديق ذراعه ... والشعب فتّح للشقيق الأضلعا!!
والجيش طهّر بالقتال (قنالها) ... والله أعمل في حشاها المبضعا!
والطور ... أبكى من تعوّد أن يرى ... في (حائط المبكى) يسيل الأدمعا
(والسدّ) سدّ على اللئام منافذا ... وأزاح عن وجه الذئاب البرقعا
وتعلّم (التأمين) عن أبنائها ... و(السين) درسا في السياسة مقنعا
وتعلّم المستعمرون، حقيقة ... تبقى لمن جهل العروبة مرجعا
دنيا العروبة، لا ترجّح جانبا ... في الكتلتين ... ولا تفضّل موضعا
للشرق، في هذا الوجود، رسالة ... عليا ... صدّق وحيها ... فتجمّعا

يا مصر ... يا أخت الجزائر في الهوى ... لك في الجزائر حرمةٌ لن تقطعا
هذي خواطر شاعر ... غنّى بها ... في (الثورة الكبرى) فقال ... وأسمعا
وتشوّقات ... من حبيس، موثق ... ما انفكّ صبّا بالكنانة، مولعا
خلصت قصائده ... فما عرف البكا ... يوما ... ولا ندب الحمى والمربعا
إن تدعه الأوطان ... كان لسانها ... أو تدعه الجلّى ... أجاب وأسرعا
سمع الذبيح (ببربروس) فأيقظت ... صلواته شعر الخلود .. فلعلعا!
ورآه كبّر للصلاة مهلّلا ... في مذبح الشهدا ... فقام مسمّعا!
ورأى القنابل كالصواعق ... إن هوت ... تركت حصون ذوي المطامع بلقعا
ورأى الجزائر بعد طول غنائها ... سلكت بثورتها السبيل الأنفعا
وطنٌ يعزّ على البقاء ... وما انقضى ... رغم البلاء .. عن البلى متمنّعا!

لَمْ يَرْضَ يَوْمًا بِالوَثَاقِ وَلَمْ يَزَلْ ... مُتَشَامِخًا ... مَهْمَا النَّكَالُ تَنَوَّعَا
هَذِي الجِبَالُ الشَّاهِقَاتُ، شَوَاهِدٌ ... سَخِرَتْ بِمَنْ مَسَخَ الحَقَائِقَ وَادَّعَى
(سَلْجُرْجُرَا ...) تُنْبِئُكَ عَنْ غَضَبَاتِهَا ... وَاسْتَفْتِ (شَلْيَا) لَحْظَةً .. (وَشَلَعْلَعَا)!
وَاخْشَعْ (بِوَارَشْنِيسَ) إِنَّ تُرَابَهَا ... مَا انْفَكَّ لِلْجُنْدِ (المُعَطَّرِ) مَصْرَعَا
كَسَرَتْ (تِلِمْسَانُ) الضَّلِيعَةُ ضِلْعَهُ ... وَرَمَى (بِصَبْرَةَ) صَبْرُهُ فَتَوَزَّعَا
وَدَعَاهُ (مَسْعُودٌ) فَأَدْبَرَ عِنْدَمَا ... لَاقَاهُ (طَارِقٌ) سَافِرًا، وَمُقَنَّعَا
اللهُ فَجَّرَ خُلْدَهُ، بِرِمَالِنَا ... وَأَقَامَ عِزْرَائِيلَ ... يَحْمِي المَنْبَعَا!!
تِلْكَ الجَزَائِرُ ... تَصْنَعُ اسْتِقْلَالَهَا ... تَخِذَتْ لَهُ مُهَجَ الضَّحَايَا ... مَصْنَعَا
طَاشَتْ بِهَا الطُّرُقَاتُ .. فَاخْتَصَرَتْ لَهَا ... نَهْجَ المَنَايَا لِلسِّيَادَةِ مِهْيَعَا
وَامْتَصَّهَا المُتَزَعِّمُونَ!! فَأَصْبَحَتْ ... شِلْوًا ... بِأَنْيَابِ الذِّئَابِ مُمَزَّعَا
وَإِذَا السِّيَاسَةُ لَمْ تُفَوِّضْ أَمْرَهَا ... لِلنَّارِ ... كَانَتْ خِدْعَةً وَتَصَنُّعَا!!
إِنِّي رَأَيْتُ الكَوْنَ يَسْجُدُ خَاشِعًا ... لِلْحَقِّ ... وَالرَّشَّاشِ ... إِنْ نَطَقَا مَعَا!!!
خَبِّرْ فَرَنْسَا ... يَا زَمَانُ ... بِأَنَّنَا ... هَيْهَاتَ فِي اسْتِقْلَالِنَا أَنْ نُخْدَعَا!
وَاسْتَفْتِ يَا دِيفُولُ شَعْبَكَ .. إِنَّهُ ... حَكَمَ الزَّمَانُ ... فَمَا عَسَى أَنْ تَصْنَعَا؟
شَعْبُ الجَزَائِرِ قَالَ فِي اسْتِفْتَائِهِ ... لَا ... لَنْ أُبِيحَ مِنَ الجَزَائِرِ إِصْبَعَا
وَاخْتَارَ يَوْمَ (الإِقْتِرَاعِ) (نُفَمْبَرَا) ... فَمَضَى ... وَصَمَّمَ أَنْ يَثُورَ ... وَيَقْرَعَا!!

(جرجرا) سلسلة جبال شامخة ببلاد القبائل الكبرى من مجموعة الأطلس الجبلي (شليا) أعلى جبل بسلسلة الأطلس الممتدة (على أوراس) (شلعلع) جبل شاهق بأوراس، سجل فيه المجاهدون أنصع صفحات الجهاد، (وارشنيس) جبل بالجهة الغربية من سلسلة الأطلس، (صبرة) معقل الأبطال، قرية قريبة من تلمسان على الحدود المغربية (مسعود) إشارة إلى (حاسي مسعود) إحدى منابع البترول بصحراء الجزائر - (طارق) إشارة إلى الطوارق الملثمين بصحراء الجزائر (الاستفتاء والاقتراع) إشارة إلى مناورة فرنسا عام 1958 في تصفية الثورة الجزائرية باقتراح إجراء استفتاء على المواطنين هل يرغبون في مواصلة الثورة أم لا، وهل يريدون بقاء فرنسا أم لا. والجواب الصحيح هو المقارعة بالسلاح، لا الاقتراع بالأوراق والألواح، وقد قال الشعب الجزائري كلمته الفاصلة يوم غرة نفمبر 1954.

الصفحة الاخيرة من قصيدة : « اقــرا كتابــك »

امجاد تتكلم..
والتاريخ يسجل.

للأستاذ مفدي زكرياء

ان تاريخ كفاح المغرب العربي الكبير من اجل الانعتاق ، والوفاق، لحافل بالاحداث الرائعة التي طواها التاريخ طي السجل للكتاب ، ولم يعد يذكرها الا من عاشها او بقيت في ذاكرته آثاره من علمها ، وان استجلاء ملامحها من جديد من شانه ان يصل الرحم بين جيل صنع الاستقلال ، وجيل يتمتع بالاستقلال من غير ان يعرف شيئا عن البطولات التي احترقت في اتون النضال المرير سنوات من اجل تجسيد هذا الاستقلال كحقيقة ثابتة شامخة كالقدر العاتي امام الاعاصير ونقيق الضفادع والصراصير، كان الاستقلال عند هذا الجيل الصاعد النازل .. مائدة نزلت من السماء، فلم تكن عيدا لآخرنا مثلما كانت عيدا لاولنا ، وان الوحدة التي يفخر كيانها اليوم قطاع الطريق ، تفاني في تركيز دعائمها منذ عشرات السنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا ، ونحن اذ نستوحي من اعماق ماضينا القريب هذه الصفحات البيضاء ، ونسعى جاهدين في نشرها انما نعمل على توعية شبابنا الذي اريد له ان لا يعلم شيئا عن تضحيات ابطاله . وان يبقى في قمقم سليمان مع خرافات الايديولوجيات المستعارة على حساب مآثره وامجاده واصالته المستمصاة عن الذوبان ...

واذا كانت هذه المسدوة المغربية بباريس سنة 1952 مسجلة بالحرف الواحد . فالفضل في ذلك يعود الى المجاهد المثالي الاستاذ احمد بسودة الذي كان يلتقط الكلمة من فم صاحبها قبل ان يتحرك بها لسانه ، فيطير بها اختزالا بوفاء المناضل فتسكبها روحه الملتهبة سبائك سبائك على الورق ، وناديك بشهادة فضيلة المرحوم الامام الشيخ البشير الابراهيمي الذي قال للاستاذ بسودة بعد ان اطلع على خطابه مكتوبا ((انها المرة الاولى التي ارى خطابي كان الكاتب هو قائله ، فكان وفيا لم يظلمه منه كلمة ولا فاصلة ولو وجدت بجانبي مثل ابن سودة لما ضاع الجهد الغفير من انتاجي وكلماتي)) واذا ذكرنا الاستاذ بسودة بالذات فلانه ـ لا يزال ـ امد الله في عمره ـ شاهد عيان ومن طلائع ابطال الميدان ، ولا يسعه ان يكون غير من قيل فيهم ((وشهد شاهد من اهلها)) ...

فعسى ان نوفق في التنقيب عن هذا التراث المجيد ـ ونقدمه كذكرى لمن القى السمع وهو شهيد ، على صفحات مجلتنا (دعوة الحق) ذات الهدف البعيد .

مفدي زكرياء

مـائـدة الاتـحـاد

وقد كتبت جريدة « الراي العام » المغربية عن هذا اللقاء التاريخي ما يلي :

« اقامت الشعبة المركزية لجمعية العلماء الجزائريين بباريس حفلة عشاء على شرف الوفود العربية والاسلامية بمنظمة الامم المتحدة يوم الثلاثاء 29 يناير 1952 على الساعة الثامنة مساء بفندق « العالمين » بقرب الاوبرا ، وما كادت الساعة الثامنة تدق حتى بدات الوفود تصل ، وكان فضيلة الشيخ الابراهيمي واعضاء شعبة جمعية العلماء يستقبلون الزوار بغاية الترحيب ، وقد حضرت جميع الوفود التي بلغتها الدعوة ، ورغم كون معالي عزام باشا كان مريضا مرضا ازمه الفراش فقد حضر واثر المرض باد عليه ، وقد كانت الحفلة رائعة وامتازت باتها ضمت جميع احزاب اقطار شمال افريقيا ، فمن تونس حضر ممثلون عن حزب الدستور الجديد ، والدستور القديم ، والجبهة الوطنية ، ومن الجزائر حضر ممثلو حزب البيان ، وحزب انتصار الديمقراطيات ، ومن المغرب حضر نوابه جميع الاحزاب ولم يتخلف اي واحد ، الامر الذي جعل هاته الحفلة تستحق عن جدارة لقب « مائده الاتحاد » وفي الساعة التاسعة دخل المدعوون قاعة الاكل وتصدر مائدة الشرف فضيلة رئيس جمعية العلماء المسلمين وعن يمينه عزام باشا وعن يساره فارس الخوري فبقية ممثلي الدول الاسلامية فزعماء الاحزاب بشمال افريقيا ونواب الهيئات ، وقد حضر هته الحفلة 120 رجلا ما بين وفود وصحافيين ونواب عن الاحزاب واعضاء الشعبة المركزية لجمعية العلماء ، وبعد تناول العشاء قام الاستاذ الابراهيمي واعتذر عن معالي عزام باشا الذي اضطر للخروج باكرا لانحراف صحته وختم اعتذاره قائلا : فليتفضل بالانصراف معذورا مشكورا ، ولما نهض عزام دوت القاعة بالتصفيق فوقف عزام والقى كلمة رائعة ثم خرج بعد القائها واثر خروجه قام الاستاذ الابراهيمي والقى كلمة ارتجالية رائعة توفق الاستاذ ابن سودة لتسجيل اهم فقراتها ، وبعده قام معالي فارس الخوري والقى كلمة رقيقة اثنى فيها على جهود جمعية العلماء ورئيسها ، وفي الساعة 12 ليلا تفرقت الوفود مودعين من طرف رئيس جمعية العلماء واعضاء شعبة الجمعية بغاية الترحيب والحفاوة ، واخذت للحاضرين عدة صور ، وافترق الجميع هاتفين بحياة جمعية العلماء ومقدرين جهودها ونشاطها ودعوتها للاتحاد والاصلاح ، راجين للشقيقة الجزائر حياة العزة والحرية والاستقلال في ظل الاسلام الصحيح والعروبة المتينة . »

خطاب فضيلة الشيخ الابراهيمي

وفيما يلي النص الكامل لخطاب الشيخ الابراهيمي رحمه الله :

« حضرات أصحاب المعالي الوزراء ، حضرات اصحاب السعادة والعزة ، حضرات الزملاء حملة الاقلام ، حضرات الاخوان :

هذه ليلة ارتفعت فيها الكلف ، وغاب عنها العواذل ، وغفل عنها الرقباء — ان شاء الله — فاسمحوا لي ، ان اخرج عن الوضع المتعارف في رسوم الخطاب ، فانا بصفتي رجلا دينيا مسلما امثل الاسلام في باطنه ، وسماحته ، واعتباراته الروحية يحلو لي ان اخاطبكم بما جاء به الاسلام في آدابه الراقية ، ومثله العليا ، وهو وصف الاخوة .

ان النبوة هي اكمل الخصائص البشرية واشرف المواهب الالهية ، ولكن الله حين يرفع ذكر الانبياء يضعهم في الدرجة الاولى من معارج الرقي ، وهي العبودية لله ، فمحمد عبد الله قبل ان يكون رسوله ، وفي القرآن : « واذكر عبدنا ايوب ، واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب » .

فانا حين اخاطب اخواني الكرام الذين اتاح لي الحظ السعيد ان اقف امامهم في هذه اللحظة ليحلو لي ان اخاطبهم بهذا الوصف الجليل وهو وصف الاخوة الذي منذ فقدناه لم نجد انفسنا ، الا وكاننا حبات القطع سلكها فانتثرت ، فاصبحت كل حبة منها في كف لاقط ، فمعذرة مني الى اخواني الذين اعتز باخوتهم ان خرجت عن النمط المألوف في رسم الخطاب . (تصفيق متواصل) .

ايها الاخوان المتلاقون على هوى واحد هو حب الوطن الجامع ، المتعبدون بعقيدة واحدة هي تحرير الوطن الجامع ، الطالعون كالكواكب من افق واحد الذي اطلعت سماؤه الشمس والقمر ، واطلعت ارضه الانبياء والحكماء .

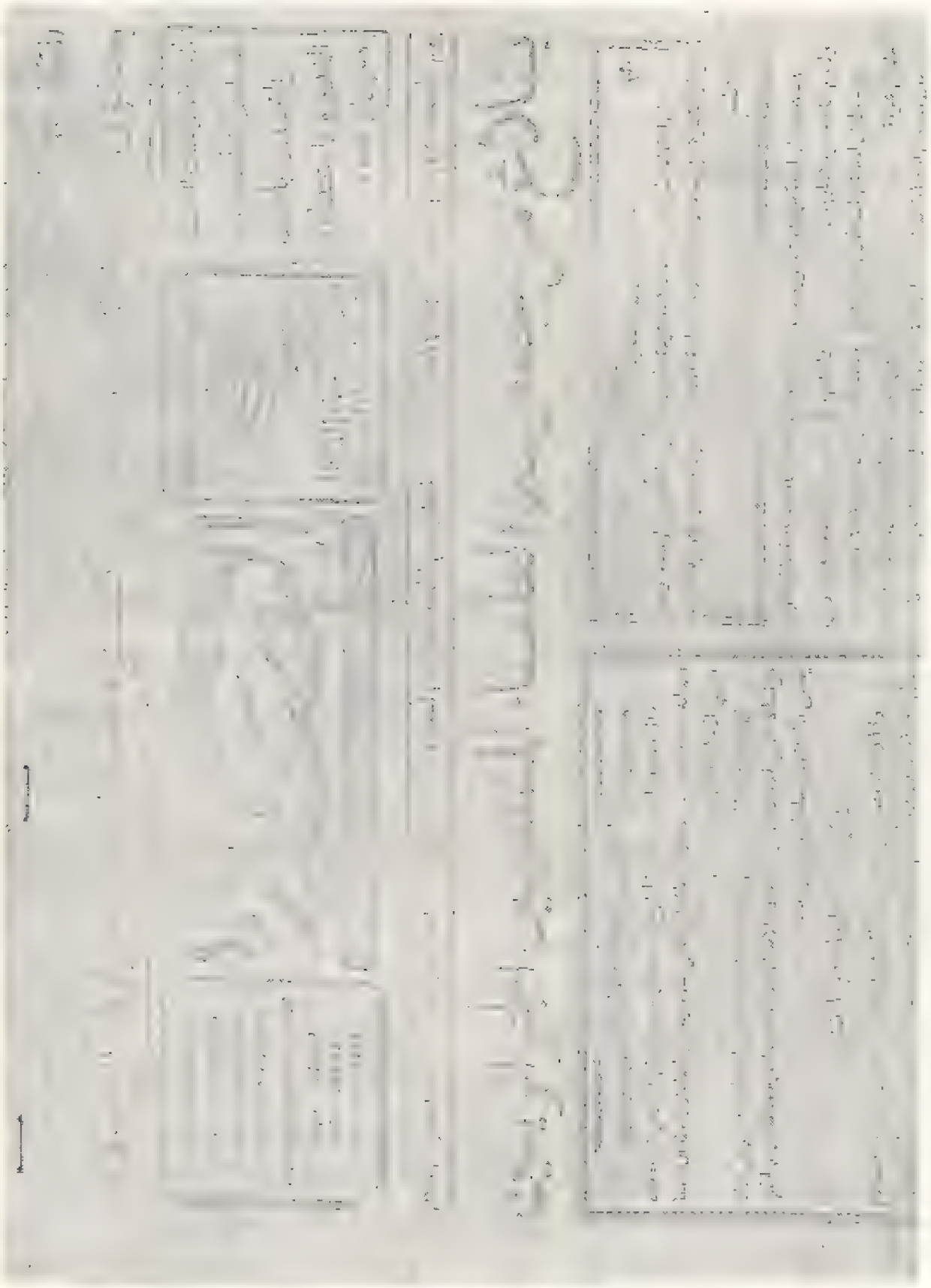

صورة زنكوغرافية لعدد « البصائـــر » الجزائريـــة

اجيبكم باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وباسم شعبها المركزية بباريس تحية العروبة التي هي اكرم ما انجبت البشرية من سلائل، وتحية الاسلام الذي هو اصفى ما انفتحت عنه صدفات الوحي من لآليء، وتحية الشرق الذي اعتقد مخلصا انكم ازكى ابنائه وانكم الصفوة المختارة من بنائه .

واحييكم باسم الجزائر المسلمة المجاهدة الصابرة التي هي غصن فينان من دوحة الاسلام ، وغصن ريان من شجرة العروبة ، وزهرة فواحة من رياض المشرق ، (تصفيق حاد مستمر) تغربت هاته الزهرة ، كما تغربت قبلها شجرة عبد الرحمن الداخل بالاندلس فلم تشمها غربة ، وما زالت متصلة بالشرق العربي تستمد منه القوة والفتوة ، وما زالت متصلة بالشرق الاسلامي تستصبح بأنواره ، وتغتني بامجاده،وتعتز بذكرياته،فهي على صلة بالشرق مبينة كانت وما تزال متمسكة بحبله الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، (تصفيق) وما زالت قائمة على غرس عقبة والمهاجر ، وحسان بن شريك بالتعهد والحفظ، وما زالت ناطقة بلسان هلال بن عامر بن صعصعة ، منذ طفت موجة ابنائه عليها ، تلك الموجة التي يسميها المؤرخ المجحف نسفا وتخريبا للعمران ويسميها المؤرخ المنصف المحررة للاذهان ، وتعريبا للسان ، فحيثما حن هلال من سهولها حلت العروبة ، وحيثما سار في ركابه البيان العربي الذي من بقاياه ما تسمعون .

هذه الجزائر التي احييكم باسمها ، والتي ترون ابناءها امامكم شوخ وشباب يلتقيان في غاية واحدة، وان نزغ بينهما الشيطان فكما نزغ بين الاخوين ، ولكنهما في النهاية الى التجمع والاتحاد ، فهؤلاء هم ابناء الجزائر الذين احييكم باسمهم يا اخواتي واستحيي ان اقول ضيوفنا ، واننا جميعا في دار غربة ، وكم وددنا ان نجتمع بهذه الوفود في دارنا « الجزائر » فترون ما يشرح صدوركم ويبهج خواطركم من ارتباط الجزائر بالشرق والعروبة والاسلام .

ايها الاخوان ايها الزملاء حملة الاقلام : احقيقة ما ترى عيناي ام خيال .. أ اخوة طوحت بهم الاقدار، وفرقتهم صروف الدهر في الاقطار ، فما يلتقي رائح منهم بمبكر ، ثم يجتمعون في هذه الليلة وفي هذا البلد على قرة ، وعلى غير ميعاد ، كما تجتمع اشتات الزهر في اباتها ، وفي مكانها ، تختلف منه الاشكال والالوان ، ولكن يجمعها الشذى والطيب والجمال .

احق ان باريس وهي منبع شقائنا ، والصفحة العابسة في وجوهنا ، ترفع لحظة عن عادتها ، فتتيح لنا ان نجتمع بين حناياها هذا الاجتماع ، فلولا حقوق للاوطان في اعناقنا ، ولولا عهود يجب ان نرعاها لديارنا ، لكدنا نغتفر لباريس جميع ما جنته علينا من مصائب ، ونمحو لها ـ بهذه الحسنة ـ جميع السيئات ، ولكن تأبى علينا ذلك دماء في تونس تسيل (تصفيق حاد متواصل) وشعب في المغارب الثلاثة يعذب ، وشباب تفتح له السجون والمعتقلات وتغلق في وجهه المدارس والمعاهد ، ودين في الجزائر يمتهن .. فهيهات ان تصفح عن باريس او تصافحها بعد ان جنينا المر من ثمراتها ، وهيهات ان يسميها « دار العلم » من لم ير منها الا الظلم ، وهيهات ان يسميها عاصمة النور من لم تعشه منها الا الظلمات ، وهيهات ان يسميها دار مساواة من لم يعرف منها الا الاجحاف .

ايها الاخوان :

ها هو الشرق رمى باريس بافلاذ كبده يدافعون عن حماه بالحق ، ويجادلون عن حقه بالمنطق ، وما منهم الا السيف مضاء ، والسيل اندفاعا ، وان وراءهم لشبابا سينطق يوم يسكتون ، وسيتكلم يوما يخرس الاستعمار ويسوءه ، وان بعد اللسان لخطيبا صامتا هو السنان .

واننا لرجال ، واننا لابناء رجال ، واننا لاحفاد رجال ، وان اجدادنا فوحوا العالم ولكن بالعدل ، وسادوه ، ولكن بالاحسان ، وان فينا لقطرات من دماء اولئك الجدود ، وان فينا لبقايا مدخرة سيجليها الله الى حين .

رمى الشرق باريس بهذه الافلاذ فخاطبوا الامم، وخطبوا في منظمة الامم ، هذه المنظمة التي سميت بغير اسمها ، وحليت بغير صفاتها ، وما هي الا مجمع يقود اقوياؤه ضعفاءه ، وسوق اغتياؤه فقراءه ، وما هي الا سوق تشترى فيه « الاصوات » بأغلى مما كانت تشترى به اصوات « الفريض » و « معبد » غير ان الاصوات القديمة كانت فنا يمتزج بالنفوس ، اما هذه الاصوات فانها تنصر الظلم وتؤيد الاستعلاء والطغيان، وشتان ما بين الصوتين ، وتباع فيه الذمم والهمم

والامم بيع البضائع في السوق السوداء ، وما هي الا مجلس تصبوه للشورى فكان للشر ، وعقدوه للعدل والتناصف ، فكان فيه كل شيء الا العدل والتناصف.

رمى الشرق باريس بافلاذ كبده فعز على المغرب العربي ان يبقى بعيدا مع قرب الدار ، فرمى باريس بافلاذ من كبده ليلقى الاخ اخاه فيتناجيان بالبر والتقوى ، ويهش وجه لوجه ، ويتحرك قلب لقلب ، وتصافح يد يدا ، وترد تحية عن تحية ، ثم يقوى ساعد بساعد ، ويشتد عضد بعضد ، ويمتزج ضعف بضعف فتتكون منهما قوة (وضعيفان يغلبان قويا) « تصفيق »

ايها الاخوان :

لم يؤثر الفاتحون المتعاقبون على الشمال الافريقي ، ولا اثرت الاديان الراحلة اليه جزءا مما اثر الاسلام ، واثرت العروبة ، لان الفاتحين لهذا الوطن قبل الاسلام انما جاءوا بدين القوة وشريعة الاستغلال اما الاسلام فقد جاء بالعدل والاحسان ، وجاء وافيا بمطالب الروح ومطالب الجسم وبالمبادىء الانسانية بمعناها الصحيح على هذه الارض ، لذلك كان سريع المدخل الى النفوس ، لطيف التخلل الى الافكار ، قوي التأثير على العقول ، فطال في هذا الشمال امده ، وسيبقى ما دامت الفوارق موجودة بين الانسان والحيوان .

وان هذا الشمال الافريقي كل لا يتجزأ (تصفيق) تربط بين اجزائه دماء الاجداد ولسان العرب ، ودين الاسلام ، وسواحل البحر من الشمال ، وجبال الرمال في الصحاري وسلاسل الاطلس الاشم في الوسط ، واتحاد الماء والهواء والغذاء ، وانها لخصائص تجمع الاوطان المتباينة ، فكيف لا تجمع الوطن الواحد ؟

ان تفرق الاجزاء لم يأت من طبيعة الوطن، وانما جاء من طبائعنا الدخيلة ، ومن تأثراتنا القريبة بالدخلاء ، واني لمتفائل بان هذه الليلة ستكون فاتحة لعهد جديد واتحاد عتيد ، ونور من الرحمة والاخاء يظلم المغارب في سلك كما يتفاءل السارون المدلجون بانبلاج الفجر فعسى ان يتحقق هذا التفاؤل فتكون هذه الليلة اول خيط في نسج الوحدة الافريقية التي هي آخر امل للمتفائلين مثلي ، وان العنوان الدال على ما وراءه هو اجتماع جميع حركات الشمال الافريقي في هذا الجمع وان البشير بتحقيق هذا الامل هو امتزاجنا حول هذه الموائد باخواننا الشرقيين ، ومن بركاتهم ان تجتمع حركاتنا كلها في صعيد واحد ، وكلها لسان يعبر ، وقلب يفكر ، وآذان تستمع ، وانا لنرجو ان تكون قلوبنا غدا غير قلوبنا امس ، وان نفيء الى الحق الذي أمر الله بالفيئة اليه فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم (تصفيق) .

ايها الاخوان :

يقول المستعمرون عنا اننا خياليون ، واننا حين نعتز باسلافنا وتاريخنا نعيش في الخيال ، ونعتمد على الماضي السحيق ، ونتكل على الموتى ، يقولون هذا عنا في معرض الاستهزاء بنا أو في معرض النصح لنا — وانا لا ادري متى كان ابليس مذكرا — وانا لنعلم ما يرمون اليه ، انهم يريدون ان ننسى ماضينا فنعيش بلا ماض حتى اذا استيقظنا من تنويمهم ونومنا لم نجد ماضيا يبني عليه حاضرنا فنندمج في حاضرهم ، وهو كل ما يرمون اليه .

وسلوهم هل نسوا ماضيهم ؟ انهم يكذبون ، انهم يبنون حاضرهم على ماضيهم ، انهم يعتزون بآبائهم واجدادهم ، انهم يخلدون رجل الفكر والادب والفلسفة والجند والفاتحين ، وهذه شوارعهم تشهد ، ان القوم يستصبوننا ويعتقدون اننا صبيان فنذكرون حاضرهم وماضيهم ليبنوا عليهما مستقبلهم، فمن حقنا ، بل من واجبنا ان نعرف ماضينا والرجال الذين عمروه في ميادين الحياة فنعرف من هو أبو بكر ؟ ومن هو عمر ؟ وما صنع عقبة وطارق ، وموسى وطريف في الغرب وما صنع المثنى وسعد وخالد وقتيبة في الشرق .

الا انهم يذكرون ابناءهم بماضيهم ، ويلقنونهم اعمال اجدادهم ، وانهم يذكرون ابناءنا المتأثرين بعلومهم وفلسفتهم بذلك ، ويأتونهم بما يملأ عقولهم وانفسهم حتى لا يبقى فيها متسع للذكريات ماضينا واسلافنا . ان الواحد من هذا الصنف من ابنائنا ليعرف الكثير عن نابليون ولا يعرف شيئا عن عمر ، ويحفظ تاريخ « جان دارك » ولا يحفظ شيئا عن عائشة وخديجة ، وانها هذه لهي الخسارة التي لا تعوض ، واني اعد من لئيم المكر ان يحرفوا اسماء اعلامنا عندما كانوا يلقنون العلم عنا ، كانهم الهموا

من يومئذ أن الزمان سيدول وان دورة الفلك علينا بالسعد ستنتهي ، واننا سنعود للاخذ عنهم فحرفوا أسماءنا لتشتبه على ابنائنا فلا يعرفون أن « افيرويس » هو ابن رشد ، وان « فسن » هو ابن سينا . وأن « جبرل طار » هو جبل طارق ، وهكذا يقرأ ابناؤنا اليوم هذه الاسماء ولا يهتمون الى اصحابها حتى يطلعوا على الترجمة ، وقد يبقى اثر الشك في نفوسهم لما عجت تعقيدهم لاجنبي من تحقير لجنسهم وحكم على اجدادهم بالعقم الفكري . وانها المصيبة يجب علينا ان ننبه لخطرها ، ونبادر بالعلاج، وان دواءها الوحيد هو تثقيف ابنائنا تثقيفا عربيا دينا موحدا ، واقول موحدا لانني اعتقد ان الخلافات السياسية والفكرية التي مني بها الشرق معظمها يرجع الى اختلاف الثقافات ، فالمثقف ثقافة انجليزية يحترم الانجليز ، والمثقف ثقافة فرنسية يحترم الفرنسيين . فكانا استبدلنا من جنسنا اجناسا جنسيات متعددة كلها غريبة عنا ، وكلها مجمعة على هدمنا واعدامنا . ولولا النزعة الموروثة عن الاجداد الذين قهروا الرومان في افريقيا . ودمغوا الصليبيين عن الشرق ، لما بقي لنا شيء من ذلك التراث الجليل ، بفعل تجهيلنا الذي هو غاية الاستعمار فينا ، وبفعل هذه التعاليم الغريبة عنا .

ايها الاخوان :

ليس من سداد الراي ان يضيع الوقت في لوم هؤلاء ، وليس من المجدي ان يقطع الوقت معهم في جدل . ان من تمام معنى اللوم ان يتسبب في توبة او انابة ، ونحن نعلم ان القوم لا يتوبون ولا يذكرون والواجب ان نوم انفسنا عن التقصير ، ونقرعها على المسمع لكلام هؤلاء وعلى الطاعة لارشادهم ، اما لومنا اياهم فهو لوم الخروف للذئب ، واما طمعنا في توبتهم فهو طمع الخروف في توبة الذئب ، فان اردتم ان تروا المثل الخارق بتوبة الذئب فقلموا اظافره واهتموا انيابه ، كذلك ان اردتم توبة القوي فاحتقروا قوته ، ثم اروه انكم اقوى منه فيتصاغر ثم يتخذل ثم يساويكم فاذا هو اقل منكم ، ان هذه هي اللغة التي يفهمها الطغاة ، وان هذه هي التوبة التي يجب ان يحملوا عليها حملا يلجأوا اليها الجاء .

لا تطيل في التلاوم فتكون كمن قال فيهم الله : « واقبل بعضهم على بعض يتلاومون » فاذا تلاومنا فلنكن زجرا عن الشر ، وردعا عن الخلاف ، ثم رجوعا الى الحق ولقد نبه شوقي اخواننا المصريين حينما كانوا يقطعون اوقاتهم في التلاوم فيشغلهم ذلك عن الاستعداد ، ويراهم في موقف تلزم فيه المؤاخذة الوطنية فقال :

لا يلم بعضكم على الخطب بعضا
ايها القوم كلهم ابرياء

فلندع اللوم والعتاب ، ولنفعل ما يفعله الصاحي حين يستيقظ من النوم ، من حزم وتشمير وجد ، فبذلك يحق القوافل المبكرة لا بالتباطؤ والاخلاد ومعاودة النوم .

ان شبابنا هم احق باستجلاء هذه العبر وهم احق بوصل المبتدا بالخبر ، وهم احق ايضا بأن يأخذوا العظة عن المتنبي ، وان يأخذوا دروس الحياة الفطرية البدوية عليه وان لا يكونوا شبابا بالمعنى الكامل لهذه الكلمة حتى يؤدوا امتحانا في منهج المتنبي وعلى طريقته اذ يقول :

واهوى من الفتيان كل سميذع
اريب كصدر الصعدة المتقوم

خطت تحته عيس الفلاة وخالطت
به الخيل لجات الخميس العرمرم

فان فعلوا ذلك فانا كفيل لهم ان يدخلوا البحر ولا يغرقوا ، وان يعبوا من هذه التعاليم ولا يرتووا .

ايها الاخوان :

ان القوم درسونا وفهمونا وتيقنوا اننا لن نقفي ما دمنا متمسكين بالعرى القوية من الدين واللغة والشرف ، فرمونا بالوهن في مقوماتنا وبدأوا بالدين فسخروا علماءه ووجدوا ثغرا قليلة فينا من الضلالات فوسعوها وادخلوا على الدين ما ليس منه وشجعوا القديم والمحدثات بواسطة وبوسائط اعانهم على ذلك الانحطاط العام الذي ابتليت به العلوم الاسلامية من المائة الثامنة الى الان ثم عمدوا الى الكبراء فاغروهم بالمال والالقاب والرتب ، واغروا بينهم بالعداوة والبغضاء ، ثم عمدوا الى الشباب فرموه بهذه التهاويل من الحضارة الغربية وبهذه التعاليم التي تقضي على العقل والفكر وتحرف المسلم عن قبلته ، وتحول الشرقي الى الغرب وان من خصائص هذه الحضارة ان فيها كل معاني السحر ، واساليب

الجذب فاصبح ابناؤنا يهرعون الى معاهد العلم فيرجعون اليك ومعهم العلم واشياء اخرى .. وليس منها الاسلام ولا الشرقية ومعهم اسماؤهم وليس معهم عقولهم ولا افكارهم ، وان هذه هي المصيبة الكبرى التي لا نبعد ان سميناها مسخا ، وليتها مسخ للفرد ، ولكنها مسخ للامم ، ومسخ لمقوماتها .

ايها الاخوان :

ان النقطة التي ابتدأ بها بلاؤنا وشقاؤنا هي انهم ارادونا على الانقسام ، وزينوه لنا كما يزين الشيطان للانسان سوء عمله ، فانقسمنا ، فوسعوا شقة الانقسام بيننا بأموالهم واعمالهم وآرائهم ، وعلومهم وكتبهم ولم يبقوا اداة من ادوات التقسيم الا جندوها في هذا السبيل ، ولم يغفلوا الاستاذ والمعهد والمرأة والسمسار ، حتى بلغوا الغاية في تقسيمنا شيعا ، ودولا وممالك ، ولو اننا تعاسرنا عليهن من اول يوم ، ولدنا بكعبة الوحدة نطوف بها ، ونلتزم اركانها ، لما نالوا منا نيلا ، ولا وصلنا الى هذه الحالة ، اما وقد بلغوا منا ما يريدون واصبحنا في درجة من الضعف تعتقد معها ان الله خلقنا خلقة الارنب ، وخلقهم خلقة الاسد ، وجف القلم ، ولا تبديل لخلق الله فاول واجب علينا بل اول نقطة يجب ان نبتدىء منها سعادتنا هي ان نفكر بهذا الانقسام ، وان نفكر عليه بضده ، وهو الوحدة الشاملة لجميع الاجزاء ، وكيف يكون ذلك ؟ وقد تسببت على ذلك التقسيم اوضاع جديدة ، وملوك وممالك وحدود ، وان تغيير الممالك لصعب ، وان نظام الملوك عن لذة الملك لاصعب منه فلنلتمس مفتاح قضيتنا من بين هذا الركام من الادوات البالية ، ولنعد الى العرب مبصور وهو ان نعتبر المعتدى على جزء معتديا على جميع الاجزاء وعدو العراق عدو مراكش انهم ان علموا ذلك منا علموا جدنا فيه ثابوا عن سيرتهم توبة المكره .

والذي روحي بيده ما يسرني ان تكون للعرب ثمان دول ولا ان يكون للمسلمين عشرون دولة وانما يسرني ويبلج صدري ان يكون المسلمون كلهم شعبا واحدا في اتجاه واحد وعلى فكر واحد فاذا وجد هذا الشعب لم يبق لهؤلاء الاقوياء الا ان يقولوا : ان في الشرق قوما جبارين وانا لن ندخله ما داموا فيه ، ان القوم استضعفونا ففرقونا فاكلونا لقمة لقمة فاوجدوا هذا الشعب الموحد تحيروا وتحيروا العالم به . اوجدوه تسعدوا العالم به اوجدوه يكن حكما في مشكلة هذا العصر وهي مشكلة الغنى والفقير ، تكتلوا ففي استطاعتكم ان تتكتلوا .. تكتلوا يعتكم العصر بروحه انه عصر التكتل وان للاقوياء لم تفن عنهم قوتهم شيئا فاصبحوا يلتمسون انواع التكتل ، فهذه انجلترا وهذه امريكا تكتل ، وهذه روسيا تتكتل فكيف لا نتكتل ونحن ضعفاء .

اننا ضعفاء ومن القوة ان نصرح بأننا ضعفاء لان من كتم داءه قتله ، فيجب علينا ان لا نتعاظم بالكذب ما دام عظماؤنا لا ينالون الا الفتات من مائدة الحياة .

ايها الاخوان :

اذا حدثتكم عن الاسلام او اجريته على لساني فلست اعني هذه الظاهرة الموجودة بين المسلمين وانما اعني ذلك الاسلام الذي سعد به اصحاب محمد (ص) واسعدوا به العالم ، والذي ينسى الحضارة التي سارت الانسانية على هداها قرونا ، والذي حرر الفكر والعقل ، وصحح الاتجاه والتفكير ، والذي وحد القلوب والمشاعر ، فان اردتم ان تسعدوا فعودوا الى ذلك الطراز العالي المتصل بالسماء ، ان السعادة منبثقة من النفوس وان الشقاء لكذلك ، وان ارادة الانسان هي زمامه الى الجنة والنار وان اول من يجب عليه ان يؤذن بهذا الصوت الجهير هم علماء الاسلام ، فكل عالم مسلم يدعو الى اتحاد المسلمين ولا يعمل له ولا يموت في سبيله فهو خائن لدينه ولامانة الله عنده ، ان العالم الذي يسكت عن قولة الحق جبان وان الجبن والايمان لا يجتمعان في قلب مؤمن . وان عهد الله في اعناقهم لعهد ثقيل ، وان امانة الاسلام في نفوسهم لعظيمة ، وانكم لمسؤولون عليها يوم تنشر الصحائف في هذه الدار وتلك الدار .

فالتكتل التكتل ، والاتحاد الاتحاد ، كرروا هذا اللفظ ، وافهموا معناه ، واعملوا له فانه اشرف انواع الجهاد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

خطاب سعادة عـــزام باشـــا

اخواني ، لم يكن في استطاعتي أن آتي في هذه الليلة ولكني ما جئت الا بدافع محبتكم ولولا ذلك لما استطعت المجيء لكن حبـي للمغاربـة وبخاصـة الجزائريين قواني فحضرت ، انني اخص الجزائـر بالحب لانها أكثر اقطار الشمال الافريقي تكبه وأقدمها

لقد كنت أتمنى ان اتحدث لكم الليله طويلا عن حياتنا في الشرق والمغرب ، ولكن نظرا لمرضـي ساقصر حديثي على نقطتين :

اولا — هو انني أقول لكم ابشروا وثقوا في الله سبحانه وتعالى ، واذا نظرتم للماضي فلا يسعكم الا ان تستبشروا بمستقبل باسم ، انظروا الى قرنيـن وراءكم ثم قارنوا بين الحالة قديما وبين هذا الاجتماع الرائع واستقبلوا حياتكم الباسمة الآتية وتيقنـوا ان الفلك دار دورته وان هاته الامة امة المستقبل وان الله يريدها لاصلاح العالم كله ولانقاذه من ادران هاته المدنية وشرورها حتى تعم رسالتهـا الخالـده في الحريـة والسـلام .

اما الامر الثاني الذي أرجوه فهو ان يعم المغاربة ان عدوهم واحد فلا معنى لان يتفرقوا ، ولا يمكن لهم أن ينالوا شيئا متفرقين ، يجب أن يكون المغاربـة اجمعون جبهة متينة اذ لا معنى لهذا التطاحن والعدو جاثم على صدر البلاد ، ان هذا التطاحن يكـون في الامم الحرة التي تختلف وجهات نظر قادتها اما عاينكم فلا يختلف فيها اثنان .

ان ما انتم فيه من الناحية الاستعمارية فيـه عدوان لا حد له ، وطغيان لم يعرف له التاريخ نظيرا فلا يمكن للفريق المستعمر المظلوم ان يوزع جهوده في احزاب ، هناك حزب واحد هو حزب الخلاص .

ايها الاخوان انني صديق لكم ، بل اخوكم ، وانا كرجل عمل كثيرا في سبيل ما تكافحون من اجلـه وحاولت بالقليل من الوسائل التي عندي لاساعدكم ، وانا كرجل عاصركم واطلع على احوالكـم في تونس والجزائر والمغرب ، وعلم ما انتم فيه من المصائب لا ارى ان تتفرقوا شيعا بل ارى لشمال افريقيا كلها حزبا واحدا هو حزب الكفاح .

ايها الاخوان ان الناس جميعـا يعلمـون في المشرق والمغرب انني رجل اكره التعصب وانـني أحب المسيحيين المخلصين الذين يعملون من أجل بلادهم ولكنني أقول لكم انكم لا يمكن لكم ان تـردوا مجدكم الغابر ولا يمكن ان تكون لكم اية نهضة الا اذا قامت على مبادىء محمد صلى الله عليه وسلم .

ان ما يثلج صدري الليلة وجود جمعية العلماء بالجزائر ، تلك الجمعية التي ستنشر الدين المحمدي الفطري بعيدا عن التعصب بعيدا عن الخرافات ، بعيدا عن التدجيل ، وانني أرجو لهاته الجمعية النجاح لا في الجزائر وحدها بل المغرب كله ، بـل في العالـم الاسلامي كله وبذلك يعود للعالم السلام والطمانينة لان الاسلام هو السبيل الحق الى الاخـاء البشـري والحرية الصحيحة والسلام العالمي .

خطاب سعادة فارس الخـوري

ايهـا الاخـوان :

انني اقف بينكم لا لاخطب عليكم لان ما سمعتموه من فضيلة الشيخ الابراهيمي زاد عظيم ، تتزود منه ارواحنا وعقولنا فيجب أن نأخذ من كـل فقـرة من فقراتها درسا ، وهي تتطلب الليالي ذوات العـدد للعكوف عليها ودراستها .

انما وقفت لاؤدي شهادة يجب علي أن اؤديها ، وهي انني حضرت في منظمة الامم سنين وسمعـت جميع خطبائها ، وما منهم الا الخطيب المفوه المختـار لان امتهم اختارتهم وبعثتهم الى منظمة الامم ليمثلوها بفصاحتهم ، وأفكارهم واقتدارهم ، فهم فصحـاء ، وذوو بيان وقد يقف الواحد منهم فيتكلم السـاعـه والساعتين لا يتلعثم ولا يتلجلج ، ولكني أشهد — وثقوا بشهادتي — انني لم أتاثر بكلامهم مثل تأثري الليلـة بكلام فضيلة الشيخ الابراهيمي ؟ وليس تاثري راجعا لبلاغته وفصاحته فقط ، وانما تاثرت بذلك لكونـه يتكلم من عقله وروحه ، ويخرج الكـلام مساوقـا لشعوره ومنسوبا بصدقه ، والخطيب لا يؤثـر الا اذا كان هو متاثرا ، وفضيلة الشيخ لم يخاطبنا الليلـة بلسانه ، وانما خاطبنا بنبضات قلبه ، وبفيض ايمانه وعقيدتـه .

أما اولئك الخطباء فلا يتكلمون بضمائرهم ، وانما يتكلمون بما تمليه عليهم دولهم ، فهم كاذبون ولذلك لا يؤثرون على اصحاب العقائد الثابتة .

لقد عرفت فضيلة الشيخ في دمشق منذ ثلاثين سنة وهو في ريعان الشباب ، فعرفته عاملا للعروبة، زينة لمجالس الادب ، نابه القدر بين العلماء والادباء، محبوبا عند تلاميذته واصدقائه الكثيرين ، واليوم يقدر لي ان اتصل به فاراه اغض شبابا وافض قوة ، واشد حيوية ، فلقد عاد الى الجزائر ففتح العين العمي ، والقلوب الغلف ، كما فعل عقبة وعمرو في الاولين .

اني اشهد ثانيا بانه ما دام في الجزائر مثل هذا الشيخ الجليل فاننا — والحمد لله — مطمئنون على عروبتها وشرقيتها ، ولن تضيع امة وفيها مثل الابراهيمي ، ولن تخيب امة وفيها مثله ، ولن تخيب الجزائر وفيها جمعية العلماء التي اعادت للعروبة عزتها ، وللغة الضاد بهجتها ؛ فما على اخواننا الجزائريين الا ان يلتفوا حول هاته العصابة الموفقة التي يغبطهم الشرق عليها ؛ هذه الجمعية التي طلعت نورا ، ونزلت قطرا ، فالبسه زهرا .

ولا يسعني الا ان اهنئكم ولا اطيل عليكم ، لان ليس لي بعد بيان البشير بيان ، فما علينا الا ان نخرج مزودين بخير زاد ، فخير معاد ، ثم ننصرفه راشدين كما قال لنا فضيلة الشيخ الابراهيمي ، فلننصرف راشدين ، وفي الدرس الذي اعطانا اليوم مفكرين ، ولتحقيقه مجدين عاملين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أبعاد الحضارة المغربية
في افريقيا والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

يندرج المغرب جغرافيا في الكتلة الافريقية ويشغل مركزا استراتيجيا يعتبر المفتاح المشرف على منطقتين حيويتين تحميانه مباشرة وهما البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلنطيكي.

وقد ظل المغرب الاقصى طوال أنف سنة وهو في طليعة الركب العربي يحمل مشعل الحضارة الاسلامية ولا يزال يشكل الى الآن صلة وصل بين عالمين كما يعتبر « هندسيا » ملتقى النقاط الجوهري في العلاقات الدولية .

فطنجة التي كانت عاصمته الديبلوماسية المغربية خلال حقبة طويلة من العصور الحديثة هي واجهة هامة في منافذ البحر المتوسط تعززها مدينة سبتة التي ما فتئت في العدوة الجنوبية تقطة ارتباط بين الاندلس والمغرب ومنطلق الفكر الحضاري المغربي الى اوروبا في تضامين الربوع الاسبانية وجبال البراتس ، فالحاضرتان المغربيتان تشكلان مع جبل طارق بالنسبة للحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط ما شكلته قناة السويس في الحوض الشرقي لهذا البحر الاخضر الذي ظل طوال القرون الوسطى بحرا عربيا بعد أن كان رومانيا ولا يزال حتى في عصرنا الحاضر المجال الحساس لتجاذب الكتلتين فهذان الطرفان المشرفان على مركز يعتبر عصب الاستراتيجية العالمية هما اذن معقلان عربيان يتواكبان على طول الساحل الجنوبي لهذا البحر في ظل خمس دول عربية — هي مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب — ويشهد العالم الآن مجاذبات بين الدول المتوسطية وغيرها من الدول الاطلنطيكية أو القارية ممن تمخر أساطيله عباب هذه المياه المحصورة بين مضيق جبل طارق وقناة السويس ،

واذا اعتبرنا ان ثلاثة اخماس هذه الشواطىء تمتد من دمشق الى طنجة لمسنا خطورة الموقع وانعكاسات هذه المجاذبات وضرورة حفاظ العروبة على كلمة الفصل في خضم الصراع الذي يكاد يستعر — رغم بروده بين كتل باعد بينها تنافي المصالح وتضافر المطامح ، فالدور الطلائعي الذي تقوم به كتلة العالم الثالث وفي ضمنها العالم الافريقي العربي — تدعمه امتلاك الذهب الاسود والمواد الاولية بقدر ما يسنده هذا الوضع الاستراتيجي الحساس الذي يشغل المغرب الاقصى الفقرة الحيوية في جهازه العصبي فللمغرب اذن رسالة افريقية، وهذه الرسالة تقوم بها المملكة المغربية في اطار تعادلية وتكاملية بين شعوب القارة السمراء التي تحررت من نير الاستعمار او كادت الا ان اشعاع المغرب الحضاري وخاصة منه الثقافي انعكس خلال فترة غير قليلة من التاريخ المشترك الى حدود النيجر جنوبا والنيل شرقا ، ففي عهد المرابطين امتدت ابعاد هذا الاشعاع فشملت جزائر بني مزغنة والصحراء الى ما كان يسمى بالسودان بينما دعم الموحدون جهازا قويا تواصلت حدوده بين قشتالة وطرابلس الغرب تخوم الصحراء في وحدة حضارية وفكرية ما زالت معالمها شاهدة بفعالية الرباط ووثوق الصلة بين اقاليم لم تعرف « حدودا » وضمن مجموعات لم تكن تشعر قط بالانصرامة — قبل تسريب الاستعمار لهذه الوطنية الضيقة ولتلك النعرة الانفصالية التي تنافرت معطياتها بين أمم جمعت متناثرها وحدة الفكر والدين واللغة والتاريخ حتى كنت تشهد رجلا مثل ابن خلدون التونسي يستكتب في فاس وبجاية ويستقضى في القاهرة ويجول طليقا بين امهات الحواضر العربية في حرية لم تعرف جمركا ولا تأشيرا انمحى فيها انتعال

السلالات وتمحل الالوان ولم يكن اشعاع المغرب الاقصى عارضا عابرا بل استمر نوره الوضاء متلألئا في عهود لاحقة من بني مرين الى عصر الحسن الاول عام 1893 حيث ظلت قبائل الصحراء الجنوبية والشرقية متماثل كالسيل للانضواء حول العرش المغربي كما التفت قبائل البربر الافريقية عن بكرة ابيها تلقائيا حول المولى ادريس الاول عندما انتفض في طفرة صوفية لم يعرف التاريخ لها مثيلا — كما قال ابن خلدون — وهي صورة تحدد ابعاد الصلة الجذرية التي وثقها الاسلام بين الشرق والغرب والتي يحاول المؤرخون الغربيون — حتى غير المغرضين منهم — ان يحللوها ويعللوها من خلال نظرتهم الضيقة لمقتضيات القانون الدولي الحديث .

وكان المغرب الاقصى هو «النواة والقوة الحية» للوحدات العمقة في الربوع الافريقية وعندما وقعت الدول الاسلامية تحت سيطرة الاتراك واندمجت مصر نفسها حوالي 648 هـ / 1250 م في هذه البحبوحة لم يعد في العالم قطر عربي مسلم مستقل غير المغرب الاقصى فكان المغرب — بفضل مغربه الخاصة — هو البلد الافريقي الوحيد الذي واجه هزات الحدثان ورجات التمو والتطور الطبيعي بحكمة وسداد فاحتفظ بكيانه وذاتيته واستقلاله وظلت هذه الظاهرة فريدة في حوليات الامم وهي ظاهرة احتفاظ المغرب بقدرته — كما يقول ليفي بروفنصال — على توطيد وحدته السياسية حتى في فترات الفوضى

وقد وجد البربر انفسهم بعد الفتح العربي الاسلامي ازاء شعب من بني عمومتهم يشاطرهم مثلهم السامية وتقاليدهم الحرة فامتزج العنصران ولم يزد توالي القرون هذا التمازج الا قوة وعمقا فتكونت مع الزمان مدنية مغربية مزدوجة القوام انصهر في بوتقتها تراثان كلاهما شرقي الاصل طبعه الاسلام ووسمته العروبة بميسمها الخاص .

وهنا تظهر حيوية الاسلام في افريقيا الشمالية بالخصوص تلك الحيوية التي اقر بها الفريد بيل كما اقر بها قبله وبعده مستشرقون منصفون . فالاسلام هو الذي استطاع وحده ان يخلق في هذه البلاد حضارة حقا دائمة مكتملة العناصر بعد ما عجزت عن ذلك الحضارتان القرطاجنة والرومانية رغم سموهما واعني بالحضارة الحق حضارة ترتكز على مقتضيات اجتماعية كوجود الامة واكتمال مقوماتها وتوفر العناصر الروحية والمادية الضرورية لقيام كيانها واستمرار وجودها وصيانة ترابها وتراثها وهذا الشيء قد اوجده الاسلام الذي انضوى المغرب تحت رايته طوال اربعة عشر قرنا .

وقد تطورت تلك الحضارة المغربية ضمن دائرة العروبة والاسلام محتفظة على ممر العصور بروحها الشرقية الخالصة وتطورت بجانبها حضارة اخرى — هي حضارة الاندلس — استمدت روحها من تراث الشرق الذي نقله الفاتحون والمهاجرون واضفت العوامل والتفاعلات المحلية على تلك الروح جلبابا لم تكن لحمته ولا سداه ليمتدا الى الاعماق حيث ظلت السيطرة للروح الشرقية وحدها .

ان للوضعية الجغرافية بعض الاثر في تكييفه العقلية نوعا ما ثم الانتاج الفكري ثم مظاهر الحضارة ومع ذلك فقد ظلت الحضارتان الاندلسية والمغربية شرقيتين بعد ان تفاعلتا نحوا من ثلاثة قرون أي منذ عهد المرابطين الى عهد المرينيين تحت اشراف عاصمتي مراكش وفاس .

والثقافة الشرقية هي المنوال الذي حاك عليه رجال الفكر المغاربة منذ صدر الاسلام ، ومن تتبع جزئيات التراثين الشرقي والمغربي اسلوبا ونزعة وروحا لاحظ وحدة الجوهر ادبا وفلسفة واجتماعا مع فروق سطحية مرجعها الى مقتضيات اللون المحلي.

فالحضارة المغربية شرقية بدءا ونهاية لم تمس فيها أي اثر يذكر للحضارة اللاتينية التي قدر لها ان تمر مر السحاب في هذه البلاد .

والحضارة الاندلسية حضارة مغربية صميمة اي شرقية المبنى عربية المعنى وقد تناولت عواصم العدوتين وبالاخص فاسا وقرطبة مع عواصم الشرق في حمل راية الحضارة العربية الاسلامية في العالم ايام كان الجهل مخيما بكلكله الثقيل على اوربا فكانت فاس مركزا للاشعاع الفكري والروحي يستمد من تراثه المشارقة والاوربيون كما هو معلوم عند من له ادنى الماما بتاريخ الحضارات . وقد قامت جامعة القرويين التي اسسته عام 245 هـ بدور قيادي في العالم الافريقية فكانت مهبط رواد الفكر من العالم الاسلامي ومن أوربا .

وترجع تقاليد المغرب وطابعه الشرقي الى عهود عريقة في القدم فقد انهالت على المغرب منذ نحو الفين من السنين موجة من المهاجرين العرب انحدرت اليه من فلسطين فكانت نواة هامة في

مجتمعهم ثم جاء الفنيقيون العرب من غربي سواحل سورية القديمة فعززوا رشائج العروبة بعالم امازيغ الذي وجد حتى في اللغة البونيقية ذكريات لهجته العربية العتيقة ولعل هذا هو سبب نجاح البونيقية التي تغلغلت في انحاء افريقيا الشمالية نحوا من سبعة قرون غب انهيار المراكز الفنيقية الساحلية ولم يزد الفتح الروماني هذه الرابطة الا قوة لان امراء البربر تقبلوا بصدر رحب الفول القرطاجنية وما حملت معها من حضارة وكتب واساليب فنية (عمارية وفلاحية) .

ان لدخول اللغة العربية قصة طريفة بدأت ادوارها تتشكل منذ اوائل العصور الوسطى حيث انطلق التاثير الشرقي من جبال لبنان الى قرطاجنة ومنها الى الربع المحاذية للمحيط الاطلنطيقي ، واذا اعتبرنا أن دخول الحميريين الى المغرب هو مجرد اسطورة وضربنا صفحا عن لوازمها القاضية بان يكون قسم مهم من سكان الاطلس البربري قحطانيين ربما كانوا اعرق في العروبة من سواهم — فان الوجود القرطاجي قد فسح لغته النوبية في ارباض نواحي ثم في باقي اقطار المغرب الكبير آفاقا شاسعة تبلورت في وحدة مصطلحاتها مع العامية الدارجة في الشمال الافريقي . وتتجلى ذلك بصورة واضحة من الرخامة (1) التي كشفها الدكتور البرازيلي السيد الاديزلو نيتو وضمنها الجزء الاول من كتابه الانطروبولوجية وهي تحمل تاريخ 125 ق. م. (أي بعد أن استولى الرومان على قرطاجنة بنحو العشرين سنة) حيث توجد عشرات الالفاظ والتراكيب مفرغة في قالب عربي مع تحريف لا يخفى حتى على غير الاختصاصين في فقه اللغة وعلم الاشتقاق .

فلفة قرطاجنة عربية كنعانية ولفظة قرطاجنة نفسها معناها القرية الحديثة (قرية حداش) ولكنها استحالت — على طريقة التعطيش اللاتينية — — كما قال توفيق المدني — الى قرطاش وقد ذهب بعض المؤرخين الى حد القول بأن اللغة البونيقية مهدت السبيل للغة العربية ومهما يكن فقد اثبت البحث الدقيق ان اللهجات البربرية تتضمن في قاموسها التقليدي بضعة الاف من الكلمات العربية الفحة التي تمثل الجانب الحيوي فيها مما يدل على عراقتها وتغلغل اثرها في شتى مناحي الحياة .

ولسنا في حاجة الى ان نرجع للعهد الجاهلي لابراز الطابع الشرقي في المغرب اذ يكفي ان نلاحظ مع ميشوبيلير انه (عندما حمل عقبة بن نافع الاسلام الى المغرب للمرة الاولى تقبل السكان الذين الجديد كعنصر خلاص) وتحمسوا للفاتحين العرب فاعتبروهم محررين ذلك ان القادة العرب كانوا مناهلين لتفهم عالم امازيغ الذي لم تكن شكليته الاجتماعية وجهازه الاقتصادي يتنافيان مع حياة اعراب البدية على ان البرابرة وجدوا في الاسلام المرن السمح البسيط حوافز الوحدة التي حالت دونها فيما قبل عنصرية جهوية وعصبية قبلية ، هناك انبثق تيار جديد فاعاد الماء الى مجراه بين عالمين توامين ولم يكد المغرب يتلقى العناصر الاولى للحضارة الشرقية التي نفحتها العبقرية العربية بروح جديدة حتى انصهر المغرب والشرق انصهارا نهائيا ما زالت رواسبه حية في القلوب منذ ثلاثة عشر قرنا بل لا تزيد مع توالي السنين الا رسوخا وتغلغلا ، فالمغرب الذي جرفت به حضارات شتى قد وجد اخيرا في مدنية العرب ولفهم امثولته الخالدة وقد تجلت فاس منذ الف سنة خلت بمثابة صورة حية لعواصم الاسلام فكانت — كما يقول كوتيي — معجزة في الاقتباس من الشرق وما لبث الموحدون (البرابرة) ان طبعوا العبقرية المغربية بخاتم شرقي نهائي رغم احتواء حضارتهم على الوان محلية خاصة .

وهكذا اصطبغت معظم كبريات المدن المغربية بالمبسم الشرقي حتى شبه المؤرخون فاسا بدمشق والرباط بالاسكندرية ومراكش ببغداد ، واقتبس المغاربة اسماء بعض مدنهم — كالبصرة وحمص والقاهرة في الاطلس — من التراث العمراني الشرقي.

وقد استوثقت روابط موصولة بين بغداد واناى تخوم الصحراء المغربية فكانت سجلماسة مهبط القوافل العربية المنحدرة من البصرة والكوفة وماوى التجار المشارقة الذين يتواردون للاستقرار في اكنافها ، ويكفي أن تتصفح بعض مصنفات القرن الخامس والسادس « كالشريف مثلا » لتتمثل حيوية الرابطة بين الشرق العربي والبادية المغربية وقد ظل المغرب متجها نحو تقاليده الشرقيمة الى ان تبلورت أيام المرينيين في شكل مؤسسات وطنية ، وبذلك أمكن للمغاربة ان يحملوا طوال ثلاثة قرون مشعل الحضارة العربية في المتوسط .

ان الانتماء للشرق هو الميزة الجوهرية في حضارتنا بل هو عنصر ذاتي في كياننا ولم تفتأ مجاورة اوربا الجغرافية في وجهتنا المتمحضة نحو الشرق اذ هنالك وشائج قارة لا يقلص منها تغالي الديار وهي جزء من الروح لا تحدها النخوم الاصطناعية .

وقد تجلت مظاهر رسالة المغرب في البحر المتوسط من خلال ذلك التأثير الذي تركته حضارتنا في الغرب والذي لم يكن لينصرم ـ ضمن تبادل موصول ـ لولا تلك الآفة الاستعمارية التي حرمت من جراء مطامعها التوسعية مجرى تاريخنا ، فلو ان المغرب والغرب ظلا مستقلين سياسيا الواحد عن الآخر لامكنهما ان يعززا تقاربهما في نطاق روابط حرة وتناسق قار لان التعاون لا يمكن ان يثمر الا اذا جرى على اساس من المساواة وتبادل احترام السيادة والكيان ، فحتى اذا سلمنا بما يزعمه بعض المؤرخين من وجود رواسب عاطفية ضد الاجنبي في نفوس المغاربة فان ذلك لم يكن ذاتيا وانما هو شيء عارض تمخض عن طغيان المطامع والدسائس الاوربية في البلاد .

ان النفسية العربية التي تجمع بين النبل والاريحية لا تنفعل انفعالا سيئا الا ازاء ما يمس بكرامتها الوطني ويهددها في حريتها ورمز وجودها ففكرة الحرية عند الرجل العربي ليست معناها الفردية الانانية وانما هي توفان طبيعي نزيه لتحقيق الذاتية وحفظها .

فلهذا تبلورت رسالة المغرب في اشعاع ثقافي ممتاز اكثر منها في نفوذ مادي ومع ذلك فان قوة المغرب المادية ما فتئت سائدة في البحر المتوسط الذي كان رومانيا فاصبح طوال العصور الوسطى (بحرا عربيا) ـ كما يقول ماكس فنتيجو ـ بجزره وسواحله وأساطيله ونهضة تجارته واضحت لغة القرآن هي اللغة الدولية للتجارة والعلم .

وقد اكد الكاتب الفرنسي المقتدر اندري سيكفريد عضو اكاديمية باريس ان العرب غرسوا في البحر المتوسط حضارة يانعة فطوروا الري وادخلوا غراسات جديدة كالقطن والارز وقصب السكر والحوامض (وبسببهم فقد البحر المتوسط طابعه المسيحي) .

ان الاشعاع المادي للقوة المغربية في المتوسط هو آخر ما نفكر فيه لابراز الرسالة التي اضطلعنا بها في هذا البحر ومع ذلك فان الاسطول الموحدي الذي كان يضم اربعمائة قطعة ما فتيء ان اصبح اول اسطول في المتوسط (اندري جوليان) على ان المغرب قد تزعم العالم الاسلامي والعربي في هذا العصر مما حدا بصلاح الدين بطل الحروب الصليبية الى الاستنجاد بالاساطيل المغربية لايقاف تقدم المسيحيين في طريق الشام ، وما لبث هذا الاسطول ان ضم ازيد من ستمائة قطعة حربية ايام ابي الحسن المريني . وسيادة العرب في البحر المتوسط ظهرت بوادرها ولما تمر على انبثاق الاسلام بضعة عقود فقد غزا معاوية بعض جزر المتوسط بالف وسبعمائة سفينة ثم قامت الاوراش التونسية تعزز بانتاجها الجديد قوة الشرق العربي البحرية حيث صنع في بعض ايام ابن نصير وحده نحو مائة قطعة وقد برهن المغاربة منذ القرن السادس الهجري عن حاسة استراتيجية مبكرة حيث أدرك عبد المؤمن بن علي اهمية جبل طارق الذي هو أحد مفاتيح المتوسط فعمد الى تحصينه واحالته الى قاعدة امامية للدفاع عن المغرب والاندلس . ان رسالة الحضارة المغربية الحق في البحر المتوسط تتجلى في مظهرين اثنين هما التأثير الاقتصادي والاشعاع الثقافي على ان الدور الاقتصادي نفسه لم يكن في الواقع سوى نتيجة للنفوذ الادبي ، فسياسة التسامح التي نهجها المغرب في اغلب عصوره قد ساهمت في توثيق الروابط بين المسلمين والمسيحيين حتى اصبحت المراسي المغربية في سواحل المتوسط مصدر نشاط فياض فهي التي كانت الينبوع الاول للمبادلات مع بيزا وجنوة والبندقية ومرسيليا وغيرها من موانيء اوربا ، وكانت هذه المبادلات تجري طبقا لنظام منسق لان المسلمين كانوا ـ حسب اعتراف اندري جوليان صاحب تاريخ افريقية الشمالية ـ أول من نظم المبادلات حسب مقتضيات التجارة الدولية وحسنوا اساليبها التي استعدها منهم المسيحيون فيما بعد .

وقد اتسمت اذ ذاك الحضارة الاندلسية ـ التي اضحت مصدر الهام أوربا في العصور الوسطى ـ بمظهر ناصع زاده تألقا عودة الامن والطمانينة في ظلال الموحدين .

وقد اكد مؤلف المعجزة العربية Le Miracle Arabe ان الحكومة الموحدية كانت

من اشد الحكومات احتراما للحريـــة وان الاندلس عرفت في عهدها عصرا ماجدا تألق فيه نجم المعارف والعلوم العربية التي سرى تيارها المنعش في جنبات اوربا ، نعم ، ان من مظاهر تلك المعجـــزة العربيـــة تحقيق شعوب اوربا الغربية من ايطاليين وفرنسيين والمانيين وانجليزيين لذلك الانقلاب الفكري العظيم الذي تفتق عن عصر النهضة وقد سبـــق لكونتاف لوبون أن قال نقلا عن العالم الايطالي ليبـــري (لولا العرب لتأخر البعث الادبي في أوربا بعدة قرون) .

وقد عاشت الاندلس نحوا من ثلاثة قرون تحت ظل ملوك مراكش وفاس فكانت هذه الفترة من أزهر عصور تاريخها ولم يتصل الاوربيون بالعلوم العربيـــة الا عن طريق اسبانيا المسلمة التي يرهن فيها تنافس العناصر العربية والمسيحية (عما للثقافة العربية من تفوق غير منازع على الثقافة اللاتينية) وما لبث هذا الاشعاع العربي أن شعر شعوب الغرب فأثار كبريات العواصم وتشل مدن بيز وبولوني ومونبيلي وسلامانك وافيثيون وباريس من وحشتها اللاتينية حيث فتح امامها مجال الفكر والحياة الثقافيـــة ورغم انهـــزام الموحدين السياسي وعـــودة الاندلس الى حظيـــرة المسيحية ظل نفوذ الحضارة العربية يتزايد في نظر الغربيين حتى صارت باريس نفسهـــا التـــي اسس جامعتها الملك فيليب اوجست على اثر عودتـــه من الشرق ـ تستمد من المغرب والشرق كثيرا مـــن كنوزهـــا .

اليس اذن من الغريب أن لا يتجلى اثر الحضارة العربية في ذهن الاوربي المتوسط الا في نوح أوقف تيارها شارل مارتيل في بلاط الشهداء ؟

والذي يزيد هذه الظاهرة غرابـــة أن الفتـــوح العربية لم تكن حركةتوسعية ولا حربا صليبية ضـــد المسيحية وانما كانت رسالة تمدينية لا تهدف الى اي لون من الوان الادماج ، ومن مظاهر تسامح ملوك العرب ونزاهة وجهتهم أن جوهن ملك انجلترا عرض عام 1199 على آخر ملوك الطوائف وهو محمد الناصر ان يحميه ضد البابا في مقابل جزية سنوية واعتناق الاسلام من طرف انجلترا ملكا وشعبا ، ولكن الملك العربي رفض هذا العرض لان اريحيته ابـــت عليـــه استغلال الضائقة السياسية التـــي كان الانجليـــز يتخبطون فيها لحملهم على اعتناق الاسلام .

ان المغرب ـ كما قلنا ـ هو القطـــر العربـــي الوحيد الذي يملك منفذا مزدوجا يطل على محيطين عالميين فحدوده تمتد في نحو من الفوخمسمائة كيلومتر على طول سواحل بحر الظلمات وقد تعـــزز هـــذا الوضع الاستراتيجي في مفترق بحرين دوليين مـــن أشد بحار العالم نشاطا يوم اصبح مضيق جبل طارق ممرا حيويا بين اقطار المتوسط والعالم الجديد .

وما لبث المغرب ان اضطلع ـ بفضل هـــذا الوضع الممتاز ـ بمهمة الوساطة بين عالمين ، ذلك ان ميزة المغرب كقطر افريقي شرقي يطل على اوربـــا ومياه العالم الجديد قد جعلت منه نقطـــة اتصـــال وازدواج بين حضارتين ما فتئتا تتفاعلان منذ قرون من اجل امداد الانسانية بلبابهما المختار ولعل هذه الميزة هي التي ساعدت على اشعاع حضارتنا فيمـــا وراء البحار حيث تجاوبت اصداؤهـــا في العالـــم الجديد منذ القرن السادس عشر بعد أن اخترقـــت مجاهل بحر الظلمـــات .

ـ يتبـــع ـ

ملامح من تطور المغرب العربي في بدايات العصور الحديثة (*)

- 1 -

لمحمد المنوني

ظهرت بوادر التحرك الاجنبي نحو المغرب الكبير ، مع مطالع المائة الهجرية التاسعة ، او عند بداية القرن الميلادي الخامس عشر ، وسنتبين ان اسبانيا قامت في التاريخ ذاته بشن مدينة تطوان ، ليأتي بعدها دور الاعتداء البرتغالي على سبتة عام 818 هـ / 1415 م .

وهذا التاريخ سيكون — على العموم — هو منطلق الفترة المعنية بالدراسة التي نعرضها ؛ حتى تنتهي بعد حدث الجلاء الاندلسي الاخير عام 1018 هـ / 1609 م .

مع ملاحظة ان هذا العدوان المزدوج ضد الشمال الافريقي ، لم يبلغ حدته الا عندما اطلت فترة العصور الحديثة ، بعد فتح القسطنطينية عام 857 هـ / 1453 م .

* * *

اما المغرب المعني بهذه الدراسة فهو يستوعب مفهومه الواسع ، ليشمل كلا من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب الاقصى .

* * *

وقد عرفت هذه المنطقة — خلال الفترة المشار اليها — اربعة احداث بارزة :

— الغزو الاجنبي .

— الهجرات الاندلسية .

— الوجود العثماني .

— وفادات من جنسيات اخرى .

وهدف هذه المحاولة شرح اثر تلك الاحداث في تصوير المظاهر الحضارية للمغرب الكبير ، غير انه سيكون من المناسب التمهيد بمدخل عن طبيعة

(*) اعد برسم المؤتمر الاول لتاريخ المغرب وحضارته ، المنعقد بتونس : 24 — 29 ديسمبر 1974 م ، ثم نشر في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ج 4 - المجلد 51 .

ان المصادر والمراجع التي يتكرر النقل عنها ، يكتفى — في المرة الاولى — بذكر المعلومات الضرورية للتعريف بها : المطبعة او مكان المخطوط ورقمه ، فضلا عن اسم المؤلف ان وجد دون ان نكون بحاجة الى اعادة هذه التوضيحات عندما يتكرر الرجوع الى نفس المصدر او المرجع .

الاحداث ذاتها ، ثم رد الفعل المغربي ضد التدخل الاجنبي .

وقد جاءت غارات البرتغاليين والاسبان على السواحل المغربية في مقابل انتصارات العثمانيين على اوربا ، وبدأت المعركة ـ أول الامر ـ من المغرب الاقصى عند الساحل المغربي للمتوسط ، وامتدت ـ بعد ذلك ـ متجهة نحو شرق الساحل نفسه ، والى الشاطىء الاطلسي ، وعندما اشتدت المعركة تدخل البربا الاسكندر السادس عام 899 هـ / 1494 م ، وفض النزاع بين الدولتين المعتديتين ، فسار معظم المغرب الاقصى من نصيب البرتغال ، بينما يختص الاسبان ببقية المغرب الكبير (1) .

ومن المؤكد ان الحملة صارت تهدف الى الاستيلاء على الشمال الافريقي عن طريق احتلال الشواطىء ، حتى ينحدر المغرب الكبير الى التنصير او الابادة .

ومما يفسر هذا ان مدينة مراكش صارت مهددة باحتلال البرتغاليين بعدما تمكنوا من التسرب الى نواحي اكادير .

ومدينة فاس ـ بدورها ـ كانت هدف جيوش سيبيستيان في موقعة وادي المخازن ، ومن الثابت ان الغزاة ـ في هذه الحملة ـ اعدوا صلبانا ليقوموا بتعليقها قريبا من مساجد فاس ومراكش (2) .

وفي الجزائر كان الاسبان قد توغلوا ـ فعلا ـ الى تلمسان ونواحيها ، وهي نفس الخطة التي كانت مرسومة ضد بقية الشمال الافريقي

* * *

وقد استمرت عمليات الغزو ـ على مستوى المغرب العربي ـ قرابة قرن ونصف القرن ، وبدأت بطيئة متقطعة ، ثم تصاعدت بعد فتح القسطنطينية والقضاء على بيزنطة عام 857 هـ / 1453 م .

وكانت الاسبقية لاسبانيا ، فقامت بتخريب تطوان القديمة من عام 803 هـ / 1401 م (3) .

وبعد هذا تسلسل احتلال البرتغاليين لشواطىء المغرب الاقصى حسب التواريخ التالية :

سبتة : عام 818 هـ/1415 م
القصر الصغير : 863 هـ/ 1458 م
طنجة : 869 هـ/ 1464 م
انفا : 872 هـ/ 1467 م
اصيلا : 876 هـ/ 1471 م
البريجة : 907 هـ/ 1502 م
اكادير : 911 هـ / 1505 م
اسفي : 912 هـ / 1506 م
ازمور : 914 هـ / 1508 م
المهدية : 920 هـ / 1515 م

اما مدينة مليلية فقد احتلها الاسبان عام 903 هـ / 1497 م ، وعادوا لاحتلال بادس عام 971 هـ / 1564 م ، كما استولى هؤلاء في بقية الشمال الافريقي على مجموعة اخرى من القواعد والمدن ، منها :

بونة « عنابة » عام 867 هـ/ 1463 م
المرسى الكبير 911 هـ/ 1505 م
وهران : 915 هـ / 1509 م
بجاية : 915 هـ/ 1509 م
طرابلس : 916 هـ / 1510 م
تونس : 941 هـ/ 1534 م

* * *

وقد كان من عواقب هذه الغارات المزدوجة على المغرب الكبير ، انحسار نفوذ الحكام الوطنيين الى الداخل ، وافضى الوضع بالمغرب الاقصى

---

(1) كان هذا من مستتبعات معاهدة توردسيلاس Tordesillas ، وهناك وثيقة من مراحل وتفاصيل هذا الاتفاق ، حيث اثبتها محمد بن تاويت التطواني ، في موضوع : « من زوايا التاريخ المغربي » ، مجلة « تطوان » : العدد السابع ، ص 105 ـ 106 .

(2) محمد الفاسي : « موقعة وادي المخازن الحاسمة » ـ مجلة « البحث العلمي » العدد التاسع : السنة الثالثة ، ص 223 .

(3) « الاستقصا » نشر دار الكتاب بالدار البيضاء ، ج 4 ص 89 ـ 90 .

الى استبدال دولة بفي وطاس بالسعديين ، وهؤلاء حولوا العاصمة من فاس الى مدينة مراكش ، وفي باقي المغرب الكبير حل العثمانيون مكان الحكام الوطنيين ، وانتقلت عاصمة المغرب الاوسط من تلمسان الى مدينة الجزائر ، بينما دمر كثير من معالم تونس العاصمة .

ومن جهة اخرى تدهور الاقتصاد الداخلي ، وتقلص ظل التجارة الخارجية نتيجة احتكار المحتلين للمبادلات مع الخارج ، وتدفق بضاعاتهم على الداخل ، زيادة على ان المغرب اخذ يتحمل تكاليف حرب دفاعية طويلة المدى .

هذا الى انه وقع القضاء على الحياة الحضرية في المدن التي وقع تخريبها على ساحل المتوسط او المحيط ، وما اعيد بناؤه منها جاء على الطراز الاجنبي .

وقد اثرت هذه الحملات في سير الثقافة على العموم ، فتغيرت الهمم ، وانصرف اهل العلم الى الجهاد او الدعوة له بدلا من الانقطاع للتعليم او التعلم ، وكانت نكبة تونس اكبر ، فتوقفت الحركة العلمية في مجموع القطر بعد اعلان الحماية الاسبانية ، ونزح كثير من اعلام الخضراء الى المشرق او المغرب (4) .

اما مكتبة الكتب العلمية وخزائنها فكانت من اعظم الفواجع ، فاستولى البرتغاليون على ما كان بمسبتة من الكتب بعد احتلالها (5) ، وفي تلمسان عبث الاسبان بمؤلفات العلم والدين بها (6) ، والكارثة الكبرى هي التي حاقت بخزائن تونس العاصمة بعد الحملة الاسبانية الثانية عام 980 هـ / 1572 م ، وعن هذا التاريخ يقول ابن ابي ضياف (7) .

« ... وفي تلك الايام اهين المسجد الاعظم « الزيتونة » ، ونهبت خزائن الكتب التي به ، ودرست بارجل الكفرة معالم المدارس ، وتفرق ما جمع فيها من دواوين العلوم ، وتبددت في الشوارع ، حتى قيل : ان المار من شرقي الجامع انما يمر على الكتب المطروحة هناك » .

قال ابن ابي الضياف (8) : « وهذا هو السبب في قلة تاليف الفحول من اهل هذا القطر ، فانها ضاعت شذر مذر في هذه الواقعة » .

وبعد هذه الغارات المدمرة على الكتب و المكتبات ، بدأت في الفترة ذاتها حملات — من نوع جديد — لابتياع المخطوطات المغربية واختطافها لتنتقل الى اوربا ، حتى جاء في تاريخ الوافي في المسالة الشرقية : ان من مكتبة فاس والعراق اغتنت مكاتب اوربا (9) .

---

(4) « نشمة شجرة النور الزكية » لمحمد بن محمد مخلوف التونسي : المطبعة السلفية بالقاهرة ، ص 153 .

(5) يقول ابن حجر العسقلاني في هذا الصدد : « ... ونقلوا ما كان بها حتى الكتب العلمية ، وكان بها منها شيء كثير الى الغاية » — « انباء الغمر » : مطابع الاهرام التجارية بالقاهرة ، ج 3 ص 41 ، وعبارة عبد الحي بن العماد الحنبلي « ... واخفوا ما كان بها من الاموال والذخائر حتى الكتب العلمية » ، « شذرات الذهب » : نشر مكتبة القدسي بالقاهرة ج 7 ص 124 .
ويلاحظ ان المصدرين يؤرخان الاعتداء على سبتة بعام 817 هـ ، خلاف الوارد في المصادر المغربية والاجنبية ، حيث كان تاريخ الحادث هو 15 جمادى الآخرة عام 818 هـ ، الموافق 21 غشت 1415 م .

(6) « تاريخ الجزائر العام » تاليف عبد الرحمن بن محمد الجيلالي : المطبعة العربية بالجزائر ، ج 2 ص 211 .

(7) « المونس ، في اخبار افريقية وتونس » : مطبعة الفيضة بتونس سنة 1350 هـ ، ص 157

(8) « اتحاف اهل الزمان ، باخبار ملوك تونس وعهد الامان » : المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ج 2 ص 19 .

(9) نقله في خاتمة التراتيب الادارية : المطبعة الوطنية بالرباط ، ج — ص 455 .

ومن جهة اخرى : فان هذه النكسة استتبعت انحلالا خلقيا وعقائديا ، فشاعت البدع ، وظهرت جماعات منحرفة مثل الطائفة اليوسفية بالمغربين (10) ، والشابيين بتونس (11) ، زيادة على تفاقم بدع طائفة العكازين بالمغرب الاقصى (12) .

* * *

وعن رد الفعل المغربي : كان واقع الحملات البرتغالية والاسبانية قد اذكى في مجموع الشمال الافريقي روحا نضالية جديدة ، وتشبث المعركة — في بداية الامر — على النطاق الشعبي ، امتدادا من المغرب الى ليبيا ، ويقول الناصري (13) عن المغاربة :

« ولما تزل باهل المغرب الاقصى ما تزل من غلبة عدو الدين ، واستيلائه على ثغور المسلمين ، تباروا في جهاده وقتاله ، واعملوا الخيل والرجل في مقارعته ونزاله ، وتوفرت دواعي الخاصة منهم والعامة على ذلك ، وصرفوا وجوه العزم لتحصيل الثواب فيما هنالك ، فكم من رئيس قوم قام بنصرة الدين غيرة واحتسابا ، وكم من ولي عصر وعالم مصر باع نفسه من الله ورأى ذلك مربحا ، حتى لقد استشهد منهم اقوام واسر آخرون ، وبلغ الله تعالى جميعهم من الثواب ما يرجون » .

وفي بقية المغرب العربي هبت القوى الشعبية للمقاومة ، واستعانوا بالعثمانيين ، لتنظيم الجهاد ضد المعتدين .

---

(10) تعرف — ايضا — بالشراتة (بتشديد الراء) ، وهم فرقة من اتباع الامام الجليل ابي العباس احمد بن يوسف الراشدي الملياني ، المتوفى عام 927 هـ ، وقد انحرف هؤلاء عن طريقة استاذهم الذي كان امام سنة وهدى ، ويقول عنهم ابن عسكر :

« ... ولم يكن — اليوم — بالمغرب من طوائف المبتدعة سوى هذه الطائفة .. ولقد اشار الفقهاء على السلطان الغالب بالاعتناء بحسم مادة فساد هذه الطائفة ، فسجن جماعة منهم وقتل اربعة آخرين ، وهؤلاء المبتدعة ليسوا من اهوال الشيخ (ابي العباس الملياني) في شيء ، بل فعلوا كفعل الروافض والشعبة في امتهم » — « دوحة الناشر » ، المطبعة الحجرية الفاسية عام 1309 هـ ، ص 92 .

وقد شنع عليهم ابن الناصري بدوره ، واضاف ظهور فرق مبتدعة جديدة لعهده ، زيادة على الطائفة اليوسفية ، وهو يقول في هذا : « ... اذ هم احلوا ما حرم الله تعالى ، وقد اختلقوا بدعتهم : من ترك الصلاة والصوم واستباحة الزنا والدياثة والعياذ بالله ، اذلهم الله واخزاهم ، وغير هذا مما الشيخ منزه عنه ، رحمة الله عليه ، وهي طائفة من الطوائف المعدودة بالمغرب ، التي خرجت عن الحق الى الزيغ — « درة الحجال » : المطبعة الجديدة بالرباط ، رقم 190

وانظر — ايضا — عن الطائفة نفسها : « مرآة المحاسن » لابي حامد محمد العربي الفاسي : المطبعة الحجرية الفاسية — ص 224 مع « الاستقصا » ، ج 5 ص 50 — 51 .

(11) هم اتباع الشيخ عرفة : المرابط القيرواني وجد الشابيين ، انظر عنه « المؤنس » ص 144 .

(12) للتعريف بهذه الطائفة ، ارجع الى محمد المنوني : « التيارات الفكرية في المغرب المريني » مجلة « الثقافة المغربية » ، العدد الخامس ، ص 129 — 131 .

وبالاضافة الى هذه الطائفة وسابقتها عرف جنوب المغرب الاقصى نحلة المغيطي : عمرو بن سليمان السياف الشيظمي ، المتوفى قرب عام 890 هـ ، وكان قد جمع الجموع على الجهل والفساد والخروج عن الحق ، وسمى اصحابه بالمريدين بضم الميم ، قال الشيخ زروق : وما احقهم بالفتح .

انظر عن نحلة المغيطي : « المعيار » للونشريسي : المطبعة الحجرية الفاسية — ج 2 ص 308 — 309 ، مع « ممتع الاسماع » لمحمد المهدي الفاسي ، نفس المطبعة عام 1305 هـ : الملزمة الثانية ص 4 — 6

(13) الاستقصا ، ج 4 ص 111 .

وهكذا : فان علماء الجزائر قالوا للقائد التركي خير الدين باشا وقد اراد الاستقسال عن المغرب الاوسط : « يجب عليك المقام بهذه البلدة الاسلامية لحمايتها ، ولا رخصة لك في تركها نهبة للمفترس » (14) .

ومن طرابلس الغرب سافر وفد الى الاستانة ليطلبوا النجدة من العثمانيين (15) .

وفي تونس كاتب اهل القيروان الاتراك المجاهدين بالجزائر وليبيا ، ليهبوا الى تخليصهم من الاحتلال الاسباني (16) .

والى جانب هذه الفورات الشعبية ، كان سلاطين شمال افريقيا وامراؤها ، عملوا — منذ بدء الحملات الاستعمارية — لتوحيد صفوفهم والتحالف فيما بينهم ، ثم كاتبوا قنصوه الغوري عاهل الكنانة ، وطلبوا منه الانضمام الى هذا الحلف ، والقيام — من جهته — بطرد تجار الفرنج المقيمين بايالته ، والعمل على غلق كنيسة القيامة في وجه حجاجهم (17) .

وعلى مستوى التعاون المغربي الجزائري ، كان ابو العباس احمد الوطاسي استعان به ابو زيان احمد الثالث ، ضد اخيه محمد السابع الذي احتمى بالاسبان وهم يحتلون تلمسان ، وقد امده العاهل المغربي بالرجال ، وبالاسلحة المتوسطة : مدافع ودروع وقسي ومعدات اخرى ، وقال لامير تلمسان : داري دارك ، وانا لك بمنزلة الوالد ، وابني بمنزلة اخيك (18) .

---

(14) اتحاف اهل الزمان ، ج 2 ص 10

(15) « المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب » ، تاليف احمد بك النائب الانصاري الطرابلسي : مطبعة جمال الدين افندي بالاستانة ، ص 187 .

(16) اتحاف اهل الزمان ج 2 ص 20 .

(17) « المماليك والفرنج » تاليف الدكتور احمد دراج : نشر دار الفكر العربي بالقاهرة ، ص 129 .

(18) ارجوزة « مروسة المسائل فيما ليتسي وطاس من الفضائل » لمحمد الكراسي ، المطبعة الملكية بالرباط ص 38 — 39 .

ومن ملحقات هذا الموضوع ما ورد في كتاب : « دخول الاتراك العثمانيين الى الجزائر » ، تاليف الاستاذ عبد الحميد بن ابي زيان بن اشنهو ، مطبعة الجيش بالجزائر ، غير ان الامر — هنا — يتعلق بامير سابق لابي العباس الوطاسي ، وهو والده محمد المعروف بالبرتقالي بن محمد الشيخ ، وقد جاء في هذا الصدد بالمصدر المشار له ص 76 :

« . . . وبمجرد ما وصل عروج الى تلمسان ، وجه الى السلطان الوطاسي مولاي محمد ليتحالف معه ، كي يوجه اليه النجدة ، مقابل شد عضده في محاربة السعديين ، الذين اخذت شوكتهم تستوى في بلاد سوس ومراكش ، وفعلا وجه الوطاسي جندا يقارب 20000 محارب على طريق مليانة ، واذ كان عروج ينتظر وصولهم حاصره العدو وشدد عليه الخناق ، كما سنشرحه فيما بعد » .

ولما ذكر نفس المصدر رواية استشهاد القائد العثماني عروج باشا في بني يزناسن ببلاد المغرب ، عقب عليها ص 79 :

« اننا نؤكد هذه الرواية التي تثبتها محالفة عروج مع سلطان فاس محمد الوطاسي ، الذي لم يسعه الوقت لتوجيه النجدة ، فان عروج فر نحو الغرب لعله يلاقي الحملة المغربية الآتية من مليانة ، وحين قربت من وجدة وصل خبر عروج انه استشهد مع رفقائه ، فرجعت الحملة الى فاس ، واثبت الامر ايبولار مترجم كتاب الحسن بن محمد الوزان عن وصف افريقيا وبعد هذا لم يبق مجال للتردد في امر هذه النجدة ، بعدما اثبت واقعها الوزان الفاسي ، وقد تشكك فيها الاستاذ احمد توفيق المدني ، في كتاب « حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا » ص 190 حسب الفقرة التالية :

« وقد قيل — وليس بايدينا ما يؤكد هذا القول او ينفيه — ان عروج كان ينتظر النجدة من قبل ملك فاس الوطاسي المريني تنفيذا لاتفاق عقد بينهما ، وان الملك المريني قد ارسل — فعلا

وبعد قيام السعديين تحقق تحالف مغربي تركي لتحرير مدينة وهران (19) .

وقد أهدى عبد الملك المعتصم للعثمانيين كمية من الذخيرة تتألف من عشرين مدفعا ، يشتمل أولها على تسع فوهات ، حسب مؤرخ سعدي يعتب ويقول عن النقض الكبير : « وهو — الآن — بباب الجزيرة بالجزائر (20) .

ونسق المجاهدون من المغربين — العمليات البحرية فيما بينهم ، فصار المغاربة في واجهة المحيط ، بينما كان الجزائريون يعملون بالمتوسط (21)

وكان هؤلاء يتزودون — عند الاقتضاء — من المغرب عند مرسى تطوان وغيرها (22) ، ومن مستتبعات هذا التعاون حسن استقبال المغرب للمهاجرين الجزائريين ، ومنهم العلماء الذين وفدوا عام 968 هـ/61 — 1562 م ، وكان فيهم محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي ، وأبو العباس أحمد بن سعيد العبادي ، وقدم مع هذا الأخير محمد شقرون بن هبة الله الوجديجي وأبو العباس أحمد بن محمد بن قاسم العقباني (23) .

قال في « دوحة الناشر » (24) في ترجمة العبادي : « ولما قدم على فاس عام ثمانية وستين — يعني وتسعمائة — في جملة فقهاء تلمسان ، لما رحلهم السلطان الغالب من تلمسان ، حين وقعت الفتنة بينهم وبين الترك ، واستغاثوا فأمدهم بالاجناد ونقلهم الى فاس ، ووصل كلا منهم على قدر حاله ، ووصله بألف مثقال ذهبا ، وأمر له بكساء وإدامة جليلة ، وقال : لا تسووه بأحد من الفقهاء وغيرهم ، فان همته كبيرة » .

* * *

ومن الوافدين على المغرب من تونس في الفترة ذاتها نعرض ثلاثة :

أبو الطيب بن محمد الظريف التونسي ، وكان شيخا مرشدا بجامع الزيتونة ، وبعد الحملة الاسبانية الاولى هاجر الى المغرب واستوطن مدينة فاس ، وبها صارت له الفة مع أحد علمائها المرموقين : أبي الحسن علي ابن هارون ، الذي خاطبه بقطعة شعرية يتسجع فيها على نكبة تونس ، ومطلعها :

جادك الغيث اذا الغيث انهمر
حضرة الانس البديع المونس (25)

وبعد الظريف التونسي كان محمد بن خروف الانصاري ، قد أسره الاسبان في مدينة تونس بعد الحملة الاولى ، واستمر في الاسر — باسبانية — ستة أعوام غير قليل ، الى أن فداه الامير أبو العباس الوطاسي عام 947 هـ/ 1540 م ، باشارة من عمه فاس محمد البيستي ، فانتقل العالم المفدى الى مدينة فاس واستوطنها ، حتى توفي بها عام 966 هـ / 1559 م وهو يتحدث عن مأساته وفدائه وتقول :

— بجيش لنصرة عروج ، وتمكينه من الدفاع عن تلمسان ضد الاسبان وانصارهم ، لكن ذلك الجيش سار على طريق طويلة ، فطال به السير ولم يتمكن من الوصول الى ميدان المعركة في الوقت اللازم ، فلما تم الامر قفل راجعا » .

(19) مجلة « تطوان » : العدد الخامس ص 133 ، مع العدد السابع ص 100 — 101 .

(20) « تاريخ الدولة السعدية » المؤلف مجهول الاسم : الطبعة الجديدة بالرباط ، ص 53

(21) مجلة « تطوان » العدد الرابع والخامس « مزدوج » ، ص 70 .

(22) نفس المجلة : العدد التاسع ، ص 126 — 127 .

(23) انظر تراجم الوافدين الاربعة في « دوحة الناشر » : ص 86 — 88 و 90 — 91 ، وفي مخطوطة فهرس المنجور : « وسمعت — أيضا — من جماعة ممن قدم على فاس من فقهاء تلمسان » .

(24) ص 87 ، مع تصحيح النص المطبوع عن نسخة مخطوطة .

(25) مخطوطة « فهرس المنجور » عند ترجمة أبي الحسن علي بن هارون ، مع « جذوة الاقتباس » لابن القاضي : الطبعة الحجرية الفاسية ، ص 302 — 303 .

« . . . وكانت مدة أسري ستة أعوام غير قليل ، محفوظا فيها في ديني وبدني فضلا من الله سبحانه له الشكر على ذلك ، الى ان خلصني الله تعالى خلاصا جميلا ، على يدي مولانا السلطان المؤيد ، أبي العباس أحمد الوطاسي ، أجمل الله تعالى خلاصه ، فبذل في فدائي مالا كثيرا يقرب من الف دينار وبعد محاولة عظيمة يطول ذكرها ؛ وعاملني — بعد الخروج — بما لا أحصى عده ؛ جعله الله تعالى له عدة .

واول يوم قابلته به — وذلك في أول رجب الفرد ، عام سبعة واربعين وتسعمائة ، وقد خلع علي من احاسين ملابسه — أنشدته من نظمي بحضرة خواص اصحابه وبعض الموسمين حاضر (26) . . . »

اما الوفد التونسي الثالث فكان من طبقة الاطباء . وانتظم للعمل في بلاط المنصور الذهبي . وذكرته رسالة سعدية مشيرة الى مهنته ووطنه دون التعريف باسمه (27) .

والى هنا تبينا ملامح رد الفعل المغربي ردا على الحملات الاجنبية ، وقد عاد هذا الموقف بالفتائج المتوخاة . وحررت — تباعا — غالبية الجهات المحتلة . وسنتنقل بعد هذا الى عرض الاحداث الاخرى التي عرفها المغرب العربي في الفترة ذاتها .

* * *

وقد عاصر هذه الفترة تصاعد الهجرات الاندلسية الى المغرب العربي في وفادات متعددة .

فكانت وفود الاندلسيين بناة مدينة تطوان عام 889 هـ / 84 — 1485 م .

وبعد هذا وقع سقوط غرناطة عام 897 هـ . 1492 م . وصار من استطاع من الاندلسيين الهجرة ينتقل الى العدوة الاخرى : ومنهم الوافدون عام 902 هـ / 96 — 1497 م ، حيث توزعوا بين تونس والجزائر وتطوان وفاس ومراكش وغيرها (28) .

---

(26) محمد المنوني : « مواقف المغرب ضد الحملات الصليبية » ، مجلة « دعوة الحق » : السنة 13 ، العدد 3 ، ص 56

(27) الرسالة واردة عند الافراني في « نزهة الحادي » ، لطبعة الحجرية الفاسية ، حيث وردت بها الاشارة المعنية ، ص 166 ، وانظر « المنتقى المقصور » لابن القاضي ، مخطوط المكتبة الملكية رقم 1153 اوائل الباب الثاني ، حيث يذكر اسم ابي العباس احمد بن محمد بن الحكيم التونسي الوافد على المغرب الاقصى .

ونضيف الى هذا التعليق وافدين تونسيين زيادة على الثلاثة السابقين :

محمد التونسي الحنفي ، جد محمد المامون بن محمد شارح العقيدة السنوسية الصغرى ، قال الافراني عند ترجمة هذا الحفيد : « وكان جد صاحب الترجمة ، قدم على السلطان ابي عبد الله المهدي السعدي ، حين اخرجهم الاتراك من تونس واستولوا على مملكتها ، ففرح به السلطان المذكور ، وظن انه قصده بطلب المعونة منه على الاتراك ، فاختار السكنى ، ولم يزل عنده في الحظوة الى ان توفي » — « صفوة من انتشر » المطبعة الحجرية الفاسية — ص 109 .

الثاني : ذكره — عرضا — ابو حامد محمد العربي الفاسي هكذا : « الفقيه ، الكاتب ، ابو عبد الله محمد الاندلسي ، وكان كاتب السلطان حميدة ، آخر ملوك بني حفص بافريقية » — « مرآة المحاسن » ص 230 — 231 .

(28) خاتمة « الانوار السنية ، في آباء خير البرية » ، تاليف محمد بن عبد الرفيع الشريف الاندلسي : المخطوط الآتي الذكر اواخر هذه الدراسة .

وفى عام 970 هـ / 62 — 1563 م وجد بنى المغرب الاقصى جالية كبرى سكن معظمهم بفاس وبمدينة مراكش (29) .

ثم كان الجلاء الاخير الى مجموع الشمال الافريقي عام 1018 هـ/ (30) 1609 م .

ويقدر مؤلف عربي قريب من عصر الحادثة (31) عدد الوافدين فى هذه الهجرة بنيف وستمائة الف ، يضاف لهؤلاء المهاجرين المسلمين جالية يهودية طردت من اسبانيا فى تاريخ سابق : عام 897 هـ / 1492 م ، فتقصد المغرب الاقصى نحو مائة الف نفس ، وتوزع شطر هذا العدد بين بقية المغرب العربي (32) .

(يتبع)

---

(29) « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ، ص 38 — 39 ؛ مع بغية الناظر والسامع » لابى القاسم الزياني ، مخطوطة المكتبة الملكية رقم 678 .

(30) جاء فى « نهاية الاندلس » : « وقد صدر قرار النفي — كما قدمنا — فى 22 سبتمبر سنة 1609، وهو يوافق جمادى الثانية سنة 1018 . ولكن الرواية الاسلامية تضع تاريخ القرار فى سنة 1016 هـ او سنة 1017 هـ ، وهو تحريف واضح » : الطبعة الاولى ص 298 ، ويؤخذ على المؤرخ عبد الله عنان ان تحريف الرواية الاسلامية لم يكن شموليا ، حيث ان مصدرا مغربيا وقت الحادث بعام 1018 هـ ، حسب « تاريخ الدولة السعدية » لمؤلف مجهول الاسم ص 96

(31) هو محمد بن عبد الرفيع الاندلسى عند خاتمة « الانوار السنية » : المخطوط الآتي الذكر .

(32) « تحفة الزائر ، فى مآثر الامير عبد القادر ، واخبار الجزائر » تاليف ابنه محمد : المطبعة التجارية بالاسكندرية ، ج 1 ص 9 .

بعض بيوتات وآثار الحرمين الشريفين

من خلال الوثائق الدبلوماسية وحجج الوقف المغربية

للدكتور
عبد الهادي التازي

لعلني بحاجة ان اذكر في هذا العرض المقتضب بكلمة قلتها في مناسبة لي سابقة ، وهي ان (تاريخ الجزيرة العربية) يجب ان ينشده الباحثون في خارج الجزيرة .؟ » لان هذه الارض الطاهرة منذ أن شرفها الله بظهور نبيه أمست كعبة لسائر الرواد الذين قصدوها من شتى الجهات وغدت نتيجة لذلك مصدر الهامهم وموضوع حديثهم بالطول والعرض .؟

واذا كان هناك من اهتم حقيقة بأمر هذه الديار فهم ابناء المغرب على بعد ممالكهم وصعوبة مسالكهم ولعل العشرات من الرحلات الحجازية المغربية كافية لاثبات هذه الحقيقة الناصعة وكافية أيضا للتدليل على تفوق عدد الرحالة المغاربة على زملائهم في المشرق .؟ ومع ذلك فسوف لا يكون حديثي اليوم عن رحلة سابقة ولا عن زيارة لاحقة ولكني ساقتصر عرضي هذا على ذكر البعض من الوثائق الوقفية والمراسلات الدبلوماسية المغربية من التي تشف عن مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية او عن اثر من الآثار التي كانت تتوفر عليها خزائن الحرمين الشريفين .؟

والواقع أن المكتبات المغربية سواء منها مكتبات نظارات الاوقاف والمساجد الكبرى أو المكتبات العمومية وخاصة منها المكتبة الملكية والخزائن العامة وخزائن جامعة القرويين ، كلها تزخر بمثل تلك الوثائق التي تحتاج حقيقة الى الجرد والتصنيف ، على أن هناك مصدرا آخر كان له اثره الكبير على مساعدتي لتجلية المستور وكشف الغامض ، وهذا المصدر هو الارشيفات التابعة لرئاسة الحكومة في اسطامبول وقد وجدت فيها منجما ثريا يساعد جيدا على معرفة تاريخ الجزيرة العربية في تلك العصور .؟

لقد كانت المملكة المغربية الدولة الوحيدة في العالم الاسلامي التي لم يشملها حكم العثمانيين الذين كانوا يهيمنون على سائر الاقطار بما فيها الجزيرة . وبما ان المغرب ، بحكم ارتباطه بالحرمين الشريفين ، كان عليه أن لا يصل الى الجزيرة بصفة عملية الا عبر اسطامبول ، فقد كان يتبادل مع السلاطين العثمانيين عددا من الرسائل التي لا تخلو من اخبار مفيدة وممتعة حول بعض اوضاع الجزيرة العربية .

وحتى لا نذهب بعيدا سنقتصر على ذكر بعض السفارات المغربية التي ترددت على الجزيرة اواخر القرن الثاني عشر الهجري ، كما اتحدث عن سفارة اخرى وردت على بلاط المغرب من أرض العثمانيين ، في نفس التاريخ ، وكلاهما يكشف النقاب عن بعض الجوانب الخفية ..

لقد وصلتنا سنة 1182 — 1269 انباء عن زفاف اميرتين مغربيتين هما ابنتا السلطان سيدي محمد بن عبد الله او (محمد الثالث) كما تسميه المصادر الحديثة زفافهما الى قصور مكة حيث تزوج الامير الشريف سرور الاميرة لالة لبابة ، بينما تزوج ابنه الاميرة حبيبة ، انه حدث يستوقفنا في حد ذاته، فان مصاهرة تتم على ذلك العهد بين المغرب والمشرق ، على نحو ما كان يتم بين ملوك أوربا آنذاك . كل ذلك يحتاج للكثير من التعليق ..

ومهما يكن فسوف نتجاوز ذلك الحدث السعيد لنذكر بأنه دعم الى حد كبير صلات الجزيرة بالمغرب ، بل انه ربط جسرا بينهما على الدوام ، وهكذا كنا نشاهد الوفادات المتبادلة بين الجهتين حتى ليصعب على المؤرخ ان يتتبع حركات القاصدين من هنا وهناك.

لقد اصبح القصر الملكي بالعاصمة المغربية يتوفر على لائحة دقيقة بالجهات التي كان على العاهل المغربي ان يصلها سنويا عن طريق ركب الحجاج .

ونرى من المفيد في هذا الصدد أن نركز على السفارة التي راح على رأسها الامير المولى عبد السلام ابن سلطان المغرب على ذلك العهد وكانت بتاريخ 1197 = 1783 .

ولقد صاحبه هذه المرة وفد من رجالات الدولة الى عدد من الفقهاء والامناء .

وقد كان العاهل المغربي قرر ايفاد هذه البعثة التي راحت عن طريق اسطامبول على ما هي العادة ، قرر أن يحدد مبالغ مالية يرسلها سنويا لبعض بيوتات الحرمين والحجاز وذلك حسبما تفيده وثيقة تحمل تاريخ خامس رجب سنة ستة وتسعين ومائة والف.

وهذه الوثيقة تتضمن كشفا بالعدد من الدنانير والريالات المخصصة لاهل الينبوع واهل بدر واشراف الحجاز والاشراف السجلماسيين بمكة والاشراف المغاربة بمكة من علميين وغيرهم والاشراف السجلماسيين بالمدينة والاشراف المغاربة بالمدينة والاشراف الذين بمكة والوادي والطائف وجدة . والاشراف الذين بالمدينة هذا الى اضافات مخصصة لبيوت معينة وطوائف خاصة ، ولاهل البطائق واهل الرسائل .. وعلى رأس كل هؤلاء السلطان سرور

ولقد تعمدت تصوير هذه الوثيقة التاريخية لنأخذ فكرة مدققة عن الاسر والبيوت والاشخاص والهيئات والرجالات التي كانت تعيش في هذه الحقبة من التاريخ سواء في الحرمين او في اليمن ايضا .. ولابد ان نستفيد من خلال المبالغ المخصصة لكل جهة مدى المركز الاجتماعي لكل فرد وكل هيئة .

هنا من الينبوع : عيايشه الزبارة والدهنة ، والكرون والمحاميد ، وذوو ابراهيم بن دريد وبيت الواسطي وذوو جبريل والبكيشات وذوو هجر ذوو عقيل وذوو زارع والكريشات هنشل وذوو سليمان .

وهنا من اهل بدر : بيت الرديني وذوو عبد والمهادله وذوو مسيب وذوو الفنيس واهل رابغ واهل خليص وذوو ثمي واهل عين العاجه .

وهنا من اشراف مكة : والوادي والطائف وجدة ذوو زيد وعبد المنعم والحارث والشنابره ، وآل بركات وبيت المرغيني والسقاف والمهادلة والحطاب .

وهنا من اشراف المدينة : بيت عيدروس والسماهدة وبنو الجودي والبرزنجيون والنجاريون أصحاب الجبة .. الى آخر اللائحة الطويلة التي تحتضنها وثيقة الوقف المغربية .

(1) صورة الوثيقة الوقفية

انها المبالغ التي كانت تأخذ طريقها الى الجزيرة باستمرار وانها لم تتعثر الا في الفترات التي كان الباب العالي يرى الاحتفاظ بها للخزينة ليستعين بها على مواجهة التحديات الروسية على ما تكشف عنه بعض الجوابات التي كانت ترفع الى ديار المغرب من بلاط القسطنطينية

ان الحديث عن سفارة الامير المولى عبد السلام وعن انشغاله بتوزيع تلك « المبالغ » على اهلها لا ينسينا الحديث عن الرسالة الهامة التي حملتها السفارة المغربية الى اسطامبول حول موضوع تعتبر اثارته من الطرافة بمكان بل ان اثارته تدل على بعد نظر وعمق تفكير في جانب العاهل المغربي، لقد كان والده السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل اعتاد أن يبعث كذلك بتكريماته الى الحرمين الشريفين ، وهكذا فبعد الهدايا الضخمة التي صحبت ركب والدته الاميرة خناثة بعث سنة 1155 — 1742 بعطايا ثمينة كان فيها عشرات المصاحف الكبيرة والصغيرة المحلاة بالذهب والمرصعة بالدر والياقوت الى جانب المصحف العقباني الذي صحبه بألفين وسبعمائة حصاة من الياقوت المختلف الالوان

تلك كانت هدايا الوالد ولكن الولد ادرك ان الغرض من تلك المصاحف المحلاة بالذهب والاحجار الكريمة لا يتأتى فان الخوف من ضياع تلك الاموال يفرض أن تبقى تلك المصاحف حبيسة الرفوف والخزائن الحديدية ، ومعنى هذا أن التلاوة ستظل معطلة .

ومن هنا وردت فكرة على العاهل المغربي محمد الثالث : أن يقترح على السلطان عبد الحميد الاول ان يقوم بعملين اثنين :

أولهما أن ينزع تلك الاحجار الكريمة من غلافات المصاحف ويقوم ببيعها وتوزيعها على الفقراء والمساكين والمحتاجين .

ثانيهما أن يجلد المصاحف من جديد لتصبح في متناول الذاكرين والتالين . وهكذا يحصل غرض الواقف من جهة وتستغل تلك الاموال المجمدة من جهة اخرى.. لكن افق السلطان عبد الحميد لم يتسع لفهم السلطان محمد بن عبد الله .. فقد اجابه بواسطة القائد الطاهر

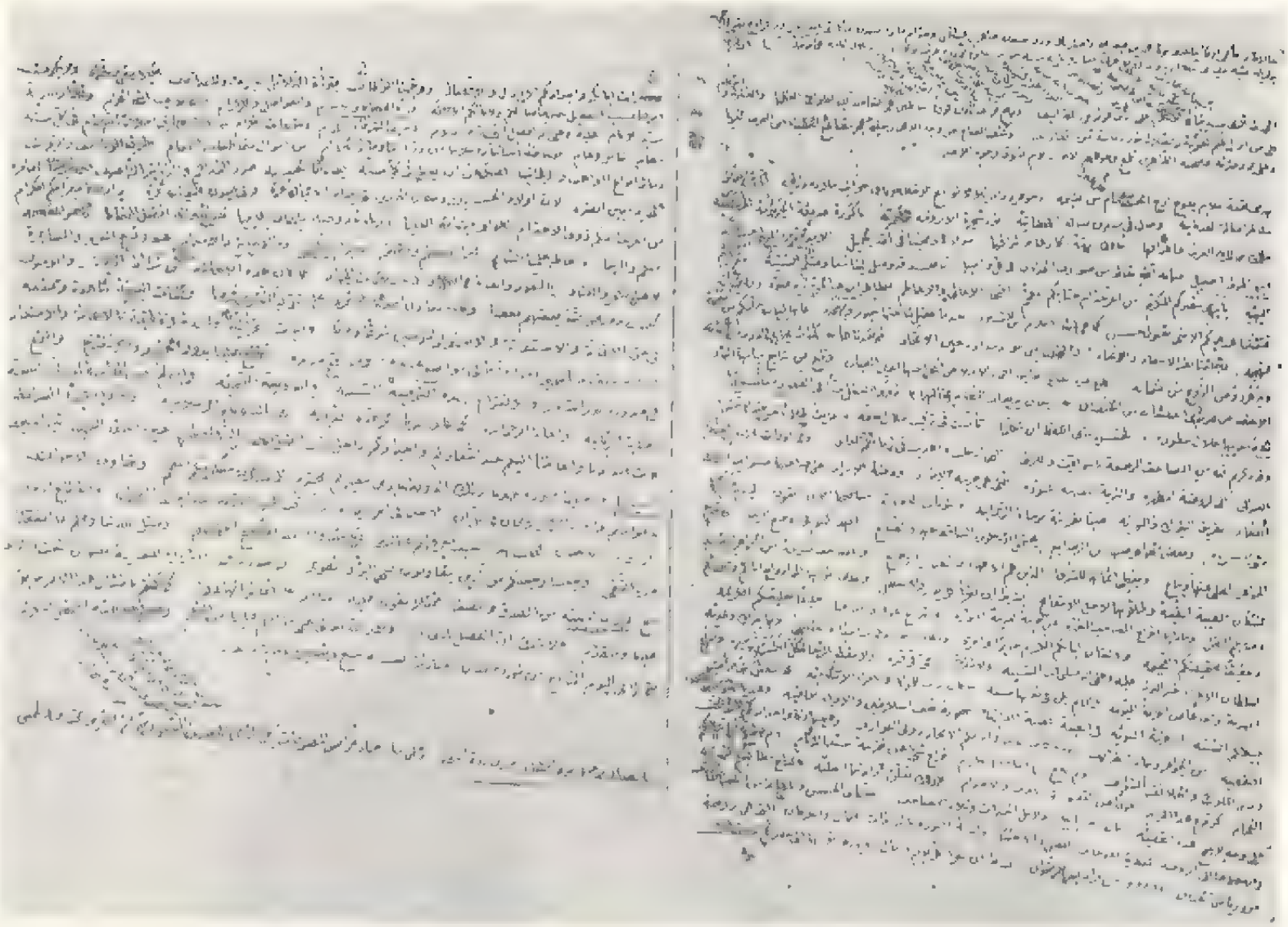

فتبش برسالة حررت باللسان العربي ضمنها بعض الشعر الذي يطري فيه بلاغة رسالة العاهل المغربي ، ويقول في موضوع المصاحف :

« .. وما رأينا اخراج المصاحف المطهرة من خزينة المدينة المنورة وانتزاع الجواهر منها وابتياعها خليقا بكم .. فانها هدية لسلطان الانبياء .. ان خزينة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مشحونة بتحف السلاطين والامراء الماضية وهدايا الخواقين والخلفاء المنقضية من الجواهر وسائر الطرائف ، ولم يقع من اسلافنا اخراج شيء من خزنة سيد الانام ولم تسمع من آبائكم الفخام مثل هذا المرام .. »

انه جواب كما نرى علاوة على انه ميزان يعبر عن العقليتين المتباعدتين ، فانه يعطي وصفا لما كانت تحتويه الروضة النبوية من فاخر التحف ونفيس الطرف مما أتت عليه الاحداث اللاحقة التي تفرسها العاهل المغربي الهاما من الله .

2 — صورة لجواب السلطان عبد الحميد

وان مما له صلة بتلك السفارة وهذه .. ان نذكر ان العثمانيين كانوا لا ينظرون بعين الرضى للصلات الوثيقة التي كانت تربط المغرب الاقصى بالمشرق وبخاصة امراء الجزيرة العربية بل انه كان يرى ان مساعدة العاهل المغربي للسلطان سرور ومجاورته له كانت تهدف الى مضايقة الوجود العثماني في تلك البقاع ومن هنا نجد ان اسطامبول كانت في كثير من الاحيان لا تخفي امتعاضها من تلك الصلات .

وقد عكس تقرير سري رفعه سفير عثماني الى السلطان عبد الحميد عكس فيه التخوفات التي كانت تهيمن على الباب العالي من المركز الذي كان ينعم به ملك المغرب في سائر بلاد المشرق العربي

ويتعلق الامر بالسفير العالم اسماعيل افندي الذي أرسلته القسطنطينية صحبة السفير المغربي عبد الكريم العوني الذي كان قدم على اسطمبول ليبلغ للباب العالي ان العثمانيين في الجزائر خذلوا العاهل المغربي ، وهو يقاوم تسلط اسبانيا على مدينة مليلية ، وانهم سلطوا جام نقمتهم على العرب الذين شاركوا ملك المغرب في مسيرته ضد الاسبان .

لقد جاء في تقرير السفير المذكور عند عودته : وهو التقرير الذي يحتفظ به كذلك أرشيف رئاسة الحكومة في اسطامبول ويحمل تاريخ 15 ربيع الاول 1201 .

استهل السفير تقريره بالحديث عن المقابلة التي خصه بها العاهل المغربي وقال : انه خلع عليه رداءه بعد أن قدم اليه رسالة السلطان عبد الحميد وقدم اليه الرمح الذي أهداه اليه القبودان باشا .. وانه اي العاهل المغربي لا يوجد ما يميزه في اللباس عن وزرائه وأفراد رعيته الا المظل الذي يرتفع فوق رأسه .

ويرى السفير بعد كل هذا يذكر انه نظرا لاتفاق الرأي على تجني الحامية العثمانية في الجزائر على عرب المغرب ونظرا لان القبائل المجاورة للجزائر ما تنفك تتطارح شاكية لحاكم المغرب من هتك الاعراض والسطو على رقاب الناس من طرف أهل الوجاقات ؛ ونظرا لان ظلم العثمانيين لمن يقع تحت نفوذهم امر بمجه العقل وينهى عنه الشرع ، فانه اي اسماعيل افندي يحذر اسطامبول من مغبة التغاضي عن هذه التصرفات ، وهنا يحذر بان مركز السلطان سيدي محمد قوي جدا لدى عرب الجزائر وان باستطاعته ان ينسف وجودنا هناك اذا نحن لم نقم بارجاع مواطنينا الى رشدهم ورفع الظلم عن العرب ، والمهم في هذا التقرير بالنسبة لموضوع الجزيرة ان السفير اسماعيل افندي ، بعد ان يقول : ان الامراء سواء في تونس وطرابلس يضمرون الكثير من التقدير لملك المغرب يختم تقريره بان العاهل المغربي يتمتع بسمعة طيبة وذكر جميل في الحرمين الشريفين وفي الحجاز ونجد بصفة عامة ، فلقد أرسل مع صهره عبد الملك مبالغ طائلة من المال لهم وانفق أثره ابن السلطان كذلك الذي راح يحمل مقادير كبيرة من الذهب .. ان سلطان المغرب هو صهر للامير سرور شريف مكة ، كما ان امام اليمن من اقاربه . ومصر موالية له .. لذلك فان من الحكمة — يقول اسماعيل افندي — ان نتدارك الامر تجنبا ، لا يعار قبول المغاربة ، وهو اي السفير افندي يقترح أن تبعث لداي الجزائر جنود في شكل حمايته من الاعداء ، ولكن تتولى من جهة الوقوف دون تهوره ومن جهة أخرى ان تكون على يقظة من رد فعل العرب .

3 — صورة جانب من التقرير السري

تلكم ومضات قصيرة قصدت بها فقط اثارة الانتباه الى ما يوجد خارج الجزيرة من معلومات جد مفيدة عن تاريخها ، نأمل أن تساعدنا الظروف على التعاون على استجلابها سواء اكانت بالمشرق والمغرب .

أهو سلطان الشعراء ؟!

للأستاذ أحمد زياد

قرأنا وسمعنا الكثير عن مهرجانات سلطان الطلبة ، وهي مهرجانات تشغل حيزا بارزا في تاريخ المغرب وفي تاريخ مدينة فاس بوجه خاص التي ظلت قاعدة لسلطنة الطلبة ، كما انها اصبحت تشكل تراثا تاريخيا تطبعه الطرافة ويندرج بحكم نوعيته فيما يمكن تسميته ترفيها بلغة اليوم ، وتتحدث المصادر التاريخية وفي غير قليل من الاسهاب عن حفلات سلطان الطلبة وباستفاضة في الكثير من الاحيان ، وبالاصرار على ذكر حتى اصغر الجزئيات في احايين اخرى ، بينما تختزن صفحات تلك المصادر أوصافا ، « وريبورتاجات » بلغة اليوم « بلاطات » سلاطين الطلبة وما كان يجري فيها من « اصول الحكم » وكيفية انزال العقوبات « وقانونها الدمغي » الذي يحدد تلك العقوبات ، ويوجد من بين سلاطين الطلبة عدد من الاسماء اللامعة او التي لمعت من خلال « حكمها السلطاني » الذي ما فتئت مدده تتقلص وتختزل حتى لم تتجاوز اياما معدودات .

كل ذلك وما شابهه او ما اضيف اليه قرأناه في الكتب وامهات المصادر ، وسمعنا بالبعض عنه من رواة ، منهم من عاصر سلطنة الطلبة في عهد من عهودها القريبة ، ومنهم من سمع بدوره من رواة رواة آخرين بأسانيد متصلة او منفصلة بنية الحديث ؛

الا اننا لم نقرأ ولم نسمع عن مهرجانات سلاطين الشعراء ، فهل حقا كانت هنالك في عهد من العهود لقاءات وحفلات شعرية ذات طابع مكاظي يتباري فيها الشعراء بقصائدهم ، والزجالون بأزجالهم لينتهي التباري بانتقاء سلطان للشعراء ، أو أمير للشعراء ، تعقد له البيعة ، بنفس الطريقة التي كانت تعقد بهما لاحمد شوقي ؟! وهل صحيح ان مدينة فاس التي اعتبرت عاصمة سلطنة الطلبة كانت ايضا مهدا ومسرحا لسلطنة الشعراء ؟

انه اذا كانت المصادر المغربية التي بين أيدينا أو التي بين يدي على الاقل لا تمكن من الاجابة على هذين السؤالين بكيفية واضحة او قريبة من الوضوح ، فان رحالة انجليزيا يجيب عليهما وبتفصيل ، وهذا الرحالة اسمه « وليام ليف غو » عاش في القرن الحادي عشر وكانت وجهته في رحلته على يروي اكتشاف مجاهل الصحراء ؟

وقد سجل مذاكراته في كتاب له بعنوان : « المغامرات النادرة » ، وفي هذه المذكرات يقول « وليام ليف غو » انه عرج على المغرب وعلى مدينة فاس (1) ، وفي وصفه لمدينة فاس في ذلك العهد ما يؤكد انه كان شخصا دقيق الملاحظة ذا هيام بتشخيص

1) كانت مدينة فاس عبارة عن مدينتين هما عدة الاندلس وعدوة القرويين الى أن توحدتا « اداريا » في عهد يوسف بن تاشفين ، وتشير القرائن الى أن زيارة الرحالة الانجليزي لمدينة فاس وقعت فيما بين 1078 و 1081 وهي الفترة التي كانت العدوتان فيها تخطبان باسم امير المسلمين يوسف بن تاشكين حسبما يرويه المؤرخون .

الجزئيات التي من شأنها أن تؤلف صورة ذات حجم يمكن من التعرف على ملامحها وتسماتها .

والواقع ان مغامرات الرحالة الانجليزي «وليام» كانت بحق نادره ، فهي نادره بمخططها الجغرافي ، وبالعزيمة الفريدة التي جعلت هذا الرجل يقتحم الصعوبات اقتحاما وهي صعوبات ذات مدلول مادي اكثر منه معنوي ، فالرجل كان يعلم انه في اتجاهه الى عالم مجهول هو عالم الصحراء ، ومع ذلك فانه تسلح بالنوع الجيد من الصبر والنفس الطويل مصرا على اكتشاف ذلك العالم المجهول .

ولا يعنيني من امر مغامراته النادرة «الا ما يتصل بامر عبوره المغرب ومدينة فاس ، ولقد وجدت انه من المتعذر على أن اساير خطط رحلته من الوجهة الجغرافية ذلك انه ينتقل بسرعة من طرابلس الى تونس فمدينة فاس ، على أنني لا استطيع الجزم بكون هذا الوصف من رحلته من صنيعه هو ، أم هو صنيع اولئك الذين تحدثوا عن رحلته ملخصين لها أو معلقين عليها ، حيث انها في نصها الاصلي الانجليزي ظلت احتكارا لذوي الاختصاص من الباحثين الذين يوجد من بينهم شخص يدعى صموئيل ، صموئيل هذا هو الذي نقل عنه باحث فرنسي يسمى جاك ليمان (2) وعنه انتقل بدوري ما يهمنا من امر وصفه لمدينة فاس ولمهرجانها الشعري الذي كان يشبه — حسب الاوصاف والنعوت التي ساقها الرحالة الانجليزي فيها مهرجان سلطان الشعراء كما احببت ان اسميه مهرجان سلطان الطلبة وذلك على حسب المواصفات التي اضفاها عليه الرحالة الانجليزي وليام .

يقول وليام وهو يصف المهرجان الشعري الذي ذكر ان موعد انعقاده كان يوم جمعة وان السكان اخبروه بواسطة مترجمه بأن هذا اللقاء يتم في اول يوم جمعة من شهر مارس في كل عام ، في هذه الساحة الفسيحة الارجاء حيث يأخذ المشاركون والمشاهدون يردون على ميدان التباري فرادى وجماعات ، ويتميز المشاركون عن المشاهدين بثوب يستنتج من السمات والعلامات التي يصفه بها الرحالة وليام انه اشبه ما يكون بالطيلسان او القفطان ، ثم يتجمع المشاركون في شكل حلقة مستديرة وهم يجلسون القرفصاء في حين ان حلقة مستديرة اخرى من المشاهدين تحيط بهم .

اما الحاضرات من الجنس الآخر فيأخذن امكنتهن في زاوية منعزلة وهم في ازياء يغلب عليها اللون الابيض ، بينما يضعن فوق رؤوسهن أخمر يجيز وليام لنفسه أن يؤكد بأنها من الحرير الخالص ، ويزين البعض منهن آذانهن بأقرطة بيضاء مختلفة في احجامها واشكالها الهندسية .

ويقول وليام ان النسوة المغربيات في ذلك الوقت كن سافرات الوجوه ، وتبتدىء المباراة الشعرية بوقوف كل شاعر من الحلقة لانشاد ما جادت به قريحته ، حتى اذا انتهى من انشاده تعالت الهتافات علامة على الاستحسان وهي هتافات تختلف من حيث حجم الصخب والضوضاء اذ كلما تعالت الهتافات الا ويكون الشاعر قد انتزع اعجاب الحاضرين اما في حالة انخفاض مستوى الهتافات فان معنى ذلك ان بضاعه الشاعر من الشعر مزجاة .

ويستفاد من وصف وليام لهذا المهرجان ان التباري كان يجري بمقتضى اسلوب التصفية « مثلما هو الحال في المباريات الرياضية » حتى اذا حل موعد المباراة النهائية تعالت الهتافات وتقدم الغريمان الاخيران يتبع احدهما الاخر لانشاد شعرهما ولا يذكر وليام ان الشعراء المتبارين في هذا المهرجان كانوا يقرؤن من اوراق مكتوبة أم انهم كانوا يرتجلون ، الا انه لم تفته الاشارة الى الاشارات التي كانت تصدر عن ايديهم ومن رؤوسهم .

ثم يذكر الرحالة الانجليزي أن الحفل ينتهي في جو منشرح تنفرد فيه السنة النسوة بتحركات مقرونة بزعيق رنان يكاد يصم الاذان ، ولعلها الزغاريد من خلال ما يبدو من وصف المستر وليام ، وشيء آخر يثير الانتباه في الاوصاف والنعوت التي أبى الرحالة الانجليزي الا ان يبرز فيها موهبة الملاحظة والدقة في الوصف ، وهو انه يفيض القول في وصف سوق لبيع الخضروات بتفاصيل وجزئيات تجعل العارف لمدينة فاس ولكأنه امام ساحة الرصيف ، كما كانت في اوائل هذا القرن ، ولا نملك من المعلومات ما يمكننا من الجزم بأن وصف وليام لمدينة فاس اقتصر على هذا الجانب من نشاطها الثقافي أم انه تجاوز ذلك ما دمنا لم نطلع على النص الاصلي لرحلته النادرة ، ونشاء الصدف وانا بصدد كتابة هذا المقال ان استمع الى

---

2) مجلة اسبيري

حديث اذاعى من القسم العربى لمحطة الاذاعة البريطانية ب. ب. س، يتناول سيرة الرحالة وليام ليف غو، كما تناول مروره بمدينة فاس الا أن المعلومات التى تضمنها هذا الحديث كانت اقل مما أورده الباحث الفرنسي جاك ليمان ، وهناك لابد من أن يتنسب سؤال طويل القامة عريض الهامة ، وهو : ما قول المصادر التاريخية المغربية فى هذا الامر ، وهل وردت فيها اشارات الى هذا المهرجان ؟

نكس السؤال العريض اعترضنى وانا اقرأ ما قرأته . ولم يكن لى بد من الرجوع الى ما تحت يدى منها وان مضيت وقتا غير قصير فى البحث والاستقصاء الا انني لم اظفر بسوى اشارة عابرة تتألف من سطور معدودات وجدتها فى كتاب نفح . بينما افتقدتها فى مصادر تاريخية ، وهى عبارة عن استطراد فى كتاب الديباج لابن فرحون ، يقول : « ان اهل فاس كانوا يقيمون حفلا فى آخر موسم الربيع « بحى الزاهية » وهو حى اسمع اسمه لاول مرة ، يتقارضون فيها الاشعار على عادة السمار ، ولكن فى النهار »

ومن ثم فان الموضوع ما يزال يتطلب المزيد من البحث والاستقصاء ، لانه اذا كانت هذه المهرجانات الشعرية تقام فى آخر الربيع من كل عام ، فان هذا يعنى اننا نملك رصيدا من الشعر كيفما كان وزنه، وقيمته من الوجهة الشعرية فسيكون على كل حال ، توانا يستطيع دعم رصيدنا من الشعر المغربى الذي طالما وصف بانه ضعيف على توالى العصور وتعاقب الملوك ، وتلك مهمة أوكل امرها الى ذوي الاختصاص من الباحثين والمنقبين وهواة المخطوطات ورواد الخزائن العامة والخاصة

واردد التساؤل مرة اخرى كاقول : هل ان ما أورده الرحالة الانجليزى وهو صدق لا ريب فيه من وصف لمدينة فاس ولمهرجانها الشهري ، يعتبر مجرد مناسبة من المناسبات ، أم انه مهرجان موسمي كما يذكر الرحالة الانجليزي وليام ، وفى هذه الحالة لابد من ان يتفرع هذا السؤال سؤال آخر وهو : هل ان مدينة فاس كانت تحتضن سلطتين اثنتين ، سلطة الطلبة ، وسلطة الشعراء ، وهو السؤال الذي ما يزال ينتظر الجواب ، وبما ان الجواب عليه ليس من اختصاصى فانني اترك امره الى أصحاب الذكر ، واسألوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون .

احمد زياد

ابن بطوطة

للأستاذ محمد المنوني

اسمه — حسب تحفة النظار (1) — يتسلسل هكذا : محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم ، وهو ينتسب الى لواتة : القبيلة البربرية التي كانت منازلها الاولى شرق شمال افريقية ، والغالب ان منتمى المترجم كان الى فرقة من نفس القبيل نزحت الى غرب المغرب الاقصى ، ونزلت في طنجة وما اليها ، حيث يوجد بالريف المغربي عائلة لا يزال اهلها يعرفون بلقب بني لوي ، على حين ينتسبون في وثائقهم القديمة الى لواتة (2) ، وعلى هذا فان المترجم ينتمي الى الريف بصلة .

وقد اشتهر في بلاده بابن بطوطة ، وهي اسرة مغربية كانت في مصر رحالتنا مذكورة بالعلم ، ولما رحل الى الاندلس التقى — في طريقه الى غرناطة — بقريبه ابي القاسم ابن محمد بن يحيى ابن بطوطة ، وكان في هذه الفترة يتولى قضاء مدينة رندة (3) ، ومن هنا نتبين أن مترجمنا ينتمي الى اسرة عرفت بالعلم وولاية القضاء .

ولا يعرف — الآن — مدلول اللقب بطوطة ، وعلى خلاف النطق الشائع ، فان الزبيدي في شرح لقاموس (4) يصحح أن يكون بتشديد الطاء الاولى المضمومة ، وهو نفس ما يوجد مشكولا بخط ابن خلدون .

ثم انه يذكر في التعريف بالمترجم وصف اللتجي ، ومن الواضح ان ذلك لانتسابه الى طنجة : المدينة المغربية الواقعة عند ملتقى المحيط والمتوسط .

وبهذه المدينة ولد رحالتنا ، في يوم الاثنين السابع عشر من رجب عام ثلاثة وسبعمائة للهجرة (5) ، ومنها كان ابتداء رحلته في يوم الخميس ثاني رجب عام خمسة وعشرين وسبعمائة (6) .

وبنفس المدينة — فيما يبدو — كان تثقيفه ، والظاهر انه لم يرحل للدراسة بفاس ، فهو يذكر انه بارح المغرب ايام السلطان المريني ابي سعيد الاول ، بينما لا يتحدث في « تحفة النظار » عن مقارنات مع مؤسسات فاس في هذا العهد وما قبله ، والمقارنات الواردة في الرحلة انما كانت مع منشئات لابي الحسن او ولده ابي عنان ، حيث شيدت بعدما كان ابن بطوطة خارج المغرب ، ثم رآها لما عاد من رحلته .

والغالب ان المترجم كان على جانب من الثقافة الفقهية ، حيث تأهل بذلك ليكون قاضيا بركب حجاج تونس (7) ، ثم صار قاضيا بالهند (8) ، وفي جزر

---

1 — نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر عام 1377 هـ ، ج 1 ص 3 ، وهذه الطبعة هي المعتمدة في الاحالات التالية :

2 — هو ما حدثني به بعض المسنين من فقهاء الريف .

3 — الرحلة ج 2 ص 188 .

4 — ج 5 ص 109 .

5 — الرحلة ج 1 ص 5 .

6 — المصدر ج 1 ص 4 .

7 — » ج 1 ص 7 .

8 — » ج 2 ص 84 .

المالديف التي يذكرها باسم ديبة المهل (9) ، وسنرى — بعد هذا — انه يقلد نفس المنصب في موطنه تامسنا .

وسوى الفقه كان لرحالتنا المام بالتوحيد ، فنراه عند ذكر دمشق يتحدث عن شخصية علمية في مسالة كلامية (10) .

وكانت له مخالطة للنحو ، وهو يلاحظ على خطيب جامع البصرة بانه كان يلحن في خطبة الجمعة (11) .

وقد اورد في الرحلة قطعة من شعره في سبعة ابيات يمدح بها سلطان الهند ، فدلل على المامه بالادب (12) .

وسوى هذا وذاك كان له اعتناء بسماع الحديث على مشايخ المحدثين الذين يلقاهم بالشرق الاسلامي (13) .

وهكذا نتبين ان المترجم يتوفر على ثقافة في الفقه والتوحيد والنحو والادب والحديث ، ويبدو ان درجة معرفته بهذه المواد كانت متوسطة ، وهو ما يشير له ابن الخطيب (14) حيث يقول عنه : « لديه مشاركة يسيرة في الطلب » ، ويدل لهذا — مرة اخرى — ان ابن جزي هو الذي تولى تدوين املاءاته عن رحلته ، حيث كلف الاديب الغرناطي بأن يكتب كلام الرحالة ويهذبه ويعتمد ايضاحه وتقريبه .

ومن مكملات ثقافة المترجم انه تعلم التحدث باللغتين الفارسية (15) والتركية (16) .

والآن ننتقل الى الجانب الاخلاقي من حياته ، وقد كان مومنا الى أبعد حد ، وفي رحلته اكثر من شاهد لهذه الظاهرة ، فقد تخلى عن زيارة كنيسة ايا صوفيا بتركيا لما كان الداخل لها يسجد للصليب (17) ، كذلك واجه بالانتقاد سلطان عربستان وهي — الآن — من اقاليم ايران ، ونهاه عن شرب الخمر (18) .

وجاوز بمكة المكرمة ثلاث سنوات ، وكان يعظم الاتقياء من المومنين ، وتزوجه اثناء رحلته دليل على تدينه .

وهو سريع التخلق باخلاق البلد الذي يقيم به ، كما انه رقيق الشعور ، يفرح ويحزن لادنى سبب ، هذا الى انه كان جوادا محسنا .

وقد نوه به السلطان المريني ابو عنان ، فنظمه في عداد رواد المجلس العلمي الذي كان يعقده بالقصر الملكي من فاس الجديد (19) ، ثم صار قاضيا في تامسنا : بمدينة انفاو ما اليها ، واستمر قاضيا الى عام السبعين بعد سبعمائة ، ثم توفي وهو يتقلد خطة القضاء (20) في تاريخ لم يتجدد بعد .

***

على ان المهم في حياة ابن بطوطة ، هي تلك الرحلة الطويلة العريضة التي جاب فيها آسيا وأفريقية وبعض اوربة ، وقضى في سياحته ما يناهز ثلاثين عاما ، هذا الى ذاكرته القوية التي قلما تخونه في تسجيل ارتساماته عن مشاهداته في رحلته .

---

9 — « ج 2 ص 132 .
10 — « ج 1 ص 57 .
11 — « ج 1 ص 116 .
12 — « ج 2 ص 83 .
13 — « ج 1 ص 65 — 66 ، 135 ، 142
14 — « « الاحاطة » مخطوطة المكتبة الاحمدية بفاس ، ومن هذا المصدر : ابن حجر في « الدرر الكامنة » : الطبعة الاولى ج 3 ص 480 .
18 — « ج 1 ص 124 .
17 — « ج 1 ص 226 — 227 .
16 — المصدر ج 1 ص 181 .
15 — الرحلة ج 1 ص 199 .
19 — ورد اسم المترجم ضمن اللائحة المطولة للشخصيات التي كانت تحضر هذا المجلس ، حسب آخر شرح البردة البوصيرية للجادري ، مخطوط القرويين رقم 643 .
20 — حسب « الاحاطة » و « الدرر الكامنة » ج 3 ص 481 .

ولهذا نتناول تحليل تحفة النظار ، ونسير في عرضها حسب النقط التالية :

— تأليفها وتشرها .

— منهجها .

— قيمتها .

— ملاحظات ختامية .

ونبرز — أولا — ان الرحلة صارت تحمل عنوان « تحفة النظار في غرائب الامصار ، وعجائب الاسفار » وهي عمل مشترك بين ابن بطوطة وابن جزي محمد ابن محمد الكلبي الغرناطي : الاول أملاها من حفظه ، بعدما كانت مذكراته ضاعت منه في حادثة لصوصية بالمحيط الهندي (21) ، بينما كان الثاني هو الذي كتب الاملاءات من انشائه ، مع احتفاظه — احيانا — بكلام الرحالة على وضعه ، وقليلا يضيف زيادات من كلام بعض الرحالين السابقين والادباء ، او من كلامه نفسه .

وهناك طرف ثالث اشترك في ابراز هذا الاثر ، وكان هو ابا عنان : العاهل المريني الذي أشار باملاء الرحلة وتدوينها ، وحدد منهجها في خمس نقط يلخصها ابن جزي هكذا : « ونفذت الاشارة الكريمة بان يملي ابن بطوطة :

— ما شاهده في رحلته من الاقطار .

— وما علق بحفظه من نوادر الاخبار

— ويذكر من لقيه من ملوك الاقطار .

— وعلمائها الاخيار .

— واوليائها الابرار .

ثم كان فراغ ابن جزي من تأليف هذا المشروع ، في شهر صفر من عام سبعة وخمسين وسبعمائة ، وتوفي — بفاس — في نفس العام — بعد الفراغ من عمله بمدة وجيزة .

وكان اسلوبه في كتابة الرحلة يغلب عليه الطابع الادبي ، ويتأثر باسلوب ابن جبير ، اما اسلوب ابن بطوطة في عرض الاخبار ، فهو — في غالب الاحوال — يثبت في الاشياء التي يسرتها ، ويتحرى في ايراد ما يشك في صحته ، فيصدره بمثل يقال أو زعموا أو نجد ذلك ، وربما يقول نسيته ، وغير ما مرة يأتي بمقارنات بين مشاهدات في مختلف انحاء العالم التي زارها .

وله ملاحظات صائبة يعلق بها على بعض ما يلفت نظره من احوال البلاد التي زارها ، كما يفسر المصطلحات الشرقية .

**

وأقدم طبعة للرحلة وقعت في منتصف القرن الماضي بباريس ، وأضيف الى النص العربي ترجمة فرنسية ، حيث ظهر المجموع في اربع مجلدات ، ثم طبعت في القاهرة مرات متعددة : تامة او قطعا منها ، وجاء المستشرق الانكليزي جيب فوضع ملخصا لها بالانكليزية نشر سنة 1929 م ، ومن اهم مخطوطاتها مخطوط المكتبة الاهلية بباريس ، وهو بعض النسخة التي خطها ابن جزي بيده .

**

والآن يصل بنا المطاف الى منهج الرحلة ، وكما هو الشأن في كتابة الرحلات ، فقد صاغها مدونها محتديا الطريق التي سلكها ابن بطوطة في تنقلاته مسافة فمسافة ، ومن هنا يمكن أن نقسم ترتيب تحفة النظار الى ثلاث فترات رئيسية : زار في الاولى شمال افريقية والشرق ، وفي الثانية الاندلس الاسلامية ، وفي الثالثة السودان الغربي .

وتعتبر الفترة الاولى اطول المسافات واهمها ، ويمكن تصنيفها في تسع مراحل نستعرضها واحدة فواحدة .

ويلاحظ عن المرحلة الاولى أن المترجم حين يذكر خروجه من مسقط رأسه ، لا تحدد — بعد ذلك — الطريق التي مر بها من طنجة الى تلمسان ، ولا يمكن أن يكون سافر على البحر ، حيث انه يؤكد ان اول ما ركبه كان بعد هذا : في سفره من جدة الى اليمن (22) ، على ان اقرب طريق من طنجة الى تلمسان ، هي الطريق الجبلية المارة باقليم الحسيمة ، فلا يبعد أن المترجم سافر عليها الى قاعدة المغرب الاوسط .

21 — الرحلة ج 1 ص 238 .

22 — المصدر ج 1 ص 154 .

وقد اخترق فى هذه المنطقة من شمال افريقية : طريق الوجه البحري ، فانتقل من تلمسان الى مليانة ، الى مدينة الجزائر ، ثم مر ببجاية فقسطنطينة قبونة التي صارت تعرف بعنابة .

ومن تونس العاصمة الحفصية سار الى سوسه فصفاقس فطرابلس ، ثم مر بالاسكندرية ودمياط حتى انتهى الى القاهرة ، ومنها ينتقل الى مدينة عيذاب وكانت — فى هذه الفترة — تعتبر مرفأ مهما على الساحل الافريقى للبحر الاحمر جنوبى مصر .

⁂

ولما لم يكن الطريق البحري آمنا ، فقد عاد الرحالة من عيذاب مبتدئا المرحلة الثانية ، وسافر من مصر منتقلا بين مدائن فلسطين ولبنان وسورية ، وخرج من دمشق الى الحج ، حيث زار الحرمين الشريفين : مكة المكرمة والمدينة المنورة .

⁂

ومن هذه الاخيرة تابع سفره فى المرحلة الثالثة مخترقا العراق ، فزار النجف الاشرف ، وواسط ، والبصرة ، وبعض مدن ايران : مثل تستر ، واصبهان وشيراز وكازرون وعاد الى العراق فزار — ايضا — مدينتى الموصل وديار بكر التى صارت تسمى بتامل ، ومن بغداد سافر الى الحرمين الشريفين ، وجاور بمكة المكرمة ثلاث سنوات

⁂

وفى المرحلة الرابعة ساح فى اليمن وسائر جنوب الجزيرة العربية ، فافريقية الشرقية ، ومن الخليج الفارسى عاد الى زيارة الحرمين الشريفين حيث حج للمرة الخامسة .

⁂

وسافر فى المرحلة الخامسة — عبر مصر والشام — الى آسيا الصغرى وشبه جزيرة القريم وروسيا الجنوبية ، ووصل الى جبال القوقاس ومدينة بلغار .

⁂

وعاد الى القوقاس ليغادره — فى المرحلة السادسة — الى القسطنطينية مارا على شبه جزيرة البلقان .

⁂

وفى المرحلة السابعة سافر الى خوارزم وبخارى وافغانستان والسند ، وهى — الآن — متاطعة فى باكستان ، وانتقل منها الى الهند ، واقام فى عاصمتها دهلى حوالى ثمانية اعوام ، تولى — خلالها — خطة القضاء على المذهب المالكى .

⁂

وانتهى — فى المرحلة الثامنة — الى جزائر ذيبة المهل ، وهى التى صارت تعرف باسم جزر المالديف أى ماليزيا ، وقد اقام بها ثمانية عشر شهر ، وتقلد بها ولاية القضاء على المذهب المالكى ايضا ، ثم زار جزيرة سيلان والملايو وسومطرا ، ووصل الى بكين : العاصمة الصينية ، فى سفره من سلطان دهلى الى خان الصين .

⁂

وبمغادرة العاصمة الصينية تبتدىء المرحلة التاسعة والاخيرة من سياحة المترجم فى افريقية والشرق وقد سافر من بكين مارا على سومطرا ، ثم الخليج الفارسى ، ومن بغداد مر بدمشق فغزة فيدمياط فالاسكندرية فالقاهرة ، ومنها حج — للمرة السادسة — الى مكة المكرمة ، وزار المدينة المنورة ، ثم انقلب عائدا الى المغرب عبر مصر وشمال افريقية ، حتى وصل مدينة فاس أواخر شعبان من عام خمسين وسبعمائة ، بعد رحلة استغرقت ما يزيد على خمسة وعشرين عاما .

⁂

وبعدما مثل امام ابى عنان المرينى فى نفس المدينة قصد مسقط راسه طنجة ، ومنها توجه للاندلس من مرسى سبتة ، وهذه هى الفترة الثانية من الرحلة وقد زار بالاندلس جبل طارق ورندة ومالقة وبلش وغرناطة ، ثم عاد من نفس الطريق التى سافر عليها حتى وصل الى سبتة ، ومنها انتقل الى اصيلا فسلا فمراكش ثم مكناس ففاس .

وكانت خاتمة مطاف الرحالة ، أن سافر من فاس متوجها الى السودان ، وهى الفترة الثالثة والاخيرة من الرحلة ، وقد ذهب الى سجلماسة ، ومنها الى تغازي ، فاليوالاتن ، فمالى ، نتبكتو ، فكوكو ، واخيرا مدينة تكدا ، ومنها عاد — عبر واحات توات — الى سجلماسة ، وقد وصل اليها فى الثانى من ذي الحجة ، عام اربعة وخمسين وسبعمائة ، حيث انتهى المترجم من رحلته التى تبينا تصميمها .

***

وسيبقى — بعد هذا — معرفة قيمتها ، وفى هذا الصدد يلاحظ — اولا — أن تحفة النظار ، ليس كتابا وصفيا للبلاد والجبال والانهار التى رآها ابن بطوطة ، وانما هو عبارة عن نسخة من الصور التى ارتسمت فى ذهن الرحالة عن الاشخاص والناس الذين التقت بهم الصدف فى طريقه ، ولهذا فان قيمة الرحلة فى انها صفحة من التاريخ الاجتماعى الاسلامى اكثر من أن تكون كتابا فى تقويم البلدان والجغرافيا (23) .

***

وفى هذا الاطار فان الرحالة يلم الماما بوصف المدن الكبرى ، ويتوسع فى الحديث عما ملوكها وسيرهم وتقلبات احوالهم ، ويعتنى بوصف مواكبهم وحفلاتهم الى حد أن يصف حتى الاطعمة والمشارب .

كما يذكر العلماء والحكام والاعيان ، وكذلك الاولياء ، ويذكر كراماتهم ومشاهدهم ، وقد كان شديد البحث عنهم ، حتى انه يترك طريق السياحة ليزور ناحية فيها ولى .

هذا الى اهتمامه بذكر الربط والجماعات ، مع اعتناء زائد بالعادات والازياء والاخلاق والعقائد ، وحتى الخرافات .

ولم يهمل الرحالة الحديث عن اثار التاريخ القديم بالمدن وما اليها ، وكذا عن الانظمة الحكومية ، وعرض بعض القوانين السياسية مثل قوانين جنكيزخان (24) .

وفى مجال الاقتصاد يذكر اهم ما يخص بالمدن التى زارها : من منتجات زراعية او صناعية ، ولا تفوته الاشارة الى الطريف او الغريب منها ، ويتحدث — ايضا — عن العلاقات الاقتصادية ، والحيوانات النادرة ومكانها ، وعن بعض المعادن ومواقعها .

***

ومن مزايا رحلة ابن بطوطة انها الاولى التى كشفت عن كثير من الانظمة والمظاهر الحضارية للجهات التى زارها .

فهو يذكر عن دمياط — البلدة المصرية المعروفة — انها قاعدة عسكرية مسورة ، وكل من دخلها لم يكن له سبيل الى الخروج منها الا بتوقيع الوالى ، فمن كان من الناس له اعتبار يمنح الاذن بورقة مختومه بطابع ، ومن كان دون ذلك يوضع الطابع على ذراعه (25) .

ويذكر عن نزالة تطيا فى حدود مصر والشام ، انه لا يقع المرور عليها الى الشام الا بجواز مصري مكتوب ، والقادم من الشام يطالب — بدوره — بجواز مكتوب من الجهة الشامية (26) .

كما يذكر عن دمشق قصة وقف الاوانى المتكسرة فى أيدي الصبيان ، ويعلق عليها بأن فيها جبرا لقلب كل من الصبى وصاحب الاناء (27) .

وهو يتحدث — باسهاب — عن الزوايا والرباطات التى كانت منتشرة بالشرق العربى وبلاد فارس وآسيا الصغرى ، ويعطى معلومات قيمة عن نظام هذه المؤسسات بمناسبة حديثه عن خنقاة القاهرة (28) .

ومن أطرف ما فى الرحلة حديثه عن جماعات الاخوان أو الفتيان التى كانت موجودة فى تركيا (29) . واهمية اخرى لحديثه عن تركيا ، فهو يعطى

---

25 — المصدر ج 1 ص 17 .
24 — الرحلة ج 1 ص 241 — 242 . مج 1 ص 100 .
23 — دائرة المعارف الاسلامية : النص العربى ،
26 — المصدر ج 1 ص 31 .
27 — » ج 1 ص 63 .
28 — » ج 1 ص 20 — 21 ، 119 ، 120 ، 125 .
29 — » ج 1 ص 181 — 182 ، 187 ، 196 .

كما يسجل عن سجلماسة انها من احسن المدن ، ويخص بالمدح تمرها ، ويلاحظ من بعض اوصافه انها لا نظير لها فى العمور .

وهكذا تتبين — من هذا العرض — وجهة نظر ابن بطوطة فى اعراضه عن وصف المدن المغربية وصفا كاملا ، بعدما رجعنا الى المنهج الذي خطه ابو عنان لتدوين الرحلة .

⁂

وسوى هذا فان تحفة النظار تعرضت لمؤاخذات وجيهة .

وبالاضافة الى بعض الاغلاط التى نبه عليها ابن جزي (34) ، يؤخذ على ابن بطوطة المبالغات التى كتبت بها بعض اجزاء الرحلة .

كما يؤخذ عليه اقتضاب الحديث فى بعض المواضيع مثل ما فعل فى الصين ، ويمكن أن يكون ذلك راجعا الى ضياع المذكرات الاولى للرحلة .

ويؤخذ عليه — ايضا — ان اخطأ فى نهر النيجر فسماه بالنيل ، على حين أن الادريسى ذكره قبله ، وهذا يدل على أن ابن بطوطة لم يكن طالع كتب تقويم البلدان .

ويؤخذ عليه — للمرة الرابعة — وجود اخبار غير مطابقة للواقع ، مثل ما حكاه عن ابن تيمية فى قضية النزول ، فى حين أن هذا فى تاريخ دخول الرحالة لدمشق كان فى السجن ، باتفاق الذين ترجموه : مثل ابن عبد الهادي ، وابن كثير (35) ، ويمكن أن يقال فى مثل هذا أن ذاكرته خانته ، أو أن التبس عليه الامر .

⁂

وبسبب هذا كله لم تزل الانظار مختلفة فى ابن بطوطة ، فابن خلدون يحكى أن الناس يتشككون فى اخباره (36) ، بينما وثقة ابن جزي مدون رحلته (37) ، ونوه به اسماعيل ابن الاحمر الغرناطي نزيل فاس (38) وكان البلفيقى رماه بالكذب فبراه ابن مرزوق . وقد سجل هذا الاخير عنه انه لا يعلم احد اجال البلاد كرحلته (39) .

الرباط — محمد العنونى

---

34 — انظر — مثلا — ج 1 ص 126 من الرحلة .

35 — للشيخ عبد الرحمن الوكيل : « ابن بطوطة يفتري الكذب على ابن تيمية » ، مجلة « الهدى النبوي» العدد 4 ، المجلد 15 ، ص 202 — 207 .

36 — المقدمة ، المطبعة البهية المصرية ، ص 158 .

37 — يصفه فى مقدمة الرحلة بالثقة الصدوق ، ج 1 ص 3 .

38 — ذكره بجلية الفقيه القاضي الخطيب ، لصاح . الكثير الجولة بالمشرق والمغرب ، العارف بالتاريخ ، وذلك بمناسبة عرض لائحة الشخصيات التى تحضر المجلس العلمى فى حضرة ابى عنان ، ونقل ذلك عن ابن الاحمر تلميذه الجادري آخر شرح البردة البوصيرية : المخطوط المشار له عند التعليق رقم 19 .

39 — « الدرر الكامنة » ج 3 ص 481 .

الشاعر الوزير
محمد ابن موسى
- 3 -
دراسة في شعره

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

حيـــاتـــــــه :

ابصر شاعرنا نور الحياة بمدينة مراكش على رأس القرن الرابع عشر الهجري رواية عن اخـــي الاستاذ السيد محمد ابى خبزة (1) الذي سمع الشاعر بنفسه يصرح بذلك وهو يملي ترجمته (2) على الاستاذ المؤرخ السيد محمد داود (3) ويعزز هذا انه توفى عام 1385 هـ — كما في لوحة قبره — وسنه تناهز الخامسة والثمانين كما قال الاستاذ السيد عبد الله كنون (4) في مقدمة (5) لقصيدة ابن موسى في مـــدح

---

1) هو احد علماء الشباب وادبائهم ولد بتطـــوان عـــام 1350 هـ موافـــق 1931 م تلقـــى العلـــوم بالمعهد الديني بتطوان ، واختلف الى حلقـــات العلماء في المساجد وغيرها ، ومن شيوخه السيـــد احمد الزواقي والسيد احمد الرهوني والسيد محمد الصادق الريسوني ، والمحدث السيد احمد بن الصديق ، ثم انقطع للدراسة الحرة فوعى من المعارف القديمة والحديثة الشيء الكثير ، له انتاج شعري ونثري منشور في مختلف الصحف والمجلات التطوانية ، عمل كاتبا بالمحكمة الاقليمية وهو اليوم يشرف على قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان ويزاول الخطابة والوعظ .

2) طلبت من الاستاذ داود هذه الترجمة فبذل مشكورا وسعه في البحث عنها فلم يعثر عليها لحد الآن .

3) عالم ومرجع في تاريخ تطوان ولد بتطوان عام 1318 هـ موافق 1901 م درس بمسقط رأسه ، ومن شيوخه احمد الرهوني ، سافر الى فاس ودرس بها ، وتقلب بعد ذلك في وظائف مهمة آخرها مديرية المكتبة الملكية بالرباط ، ويعتبر الاستاذ داود من الرواد الاوائل في عالم الصحافة ، من تاليفه (تاريخ تطوان) وقد طبع منه لحد الآن 19 جزءا وله غيره لم ير النور بعد امد الله في عمره .

4) من علماء المغرب العرموقين ولد بفاس عام 1326هـ، نشأ في بيت علم وفضل وصلاح، درس بالقرويين ثم انتقل مع ابيه الى طنجة وبها اسس ، اسهم في انشاء المدارس الحرة ، واشتغل بالتدريـــس والخطابة ونشر الافكار الاصلاحية ، من تاليفه المشهورة (النبوغ المغربي) و (مشاهير رجـــال المغرب) ، وله ديوان شعر سماه (لوحـــات شعرية) ، تقلد وزارة العدل في الحكومة الخليفيـــة بالمنطقة الخليفية بشمال المغرب ايام الاحتلال ، وعمالة طنجة بعد الاستقلال ، يعمل الآن عضـــوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة وأميتا عاما لرابطة علماء المغرب امد الله في عمره ، انظر التباج (محمد) الادب العربي في المغرب الاقصى ج 2 ص 36 وما بعدها — ط 1 — سنة 1347 — 1929 م وصحيفة (النور) الاسلامية التطوانية العدد 17 — السنة 2 — رمضان 1395 ، شتمبـــــر 1975 ص 10 والسولامي (ابراهيم) الشعر الوطني المغربي ص 230 — نشر دار الثقافة الدار البيضاء . وكحالة (عمر رضا) معجم المؤلفين ج 6 ص 105 ع 2 (بدون تاريخ)

5) نشرت بدعوة الحق — العدد 4 — السنة 9 — 1385 — 1966 .

الملك محمد الخامس رحمه الله ، فتكون حينـــذاك ولادته موافقة للرواية المذكورة التى نعتمدها لكونهـــا متصلة السند بالمترجم له .

وقد درج فى بيئة علمية ، فأبوه (فقيه عالم وكاتب بارع) (6) ولاشك عندي انه اختلف الـــى المكتـــب (المسيد) كباقى لداته من ابناء العصر لحفظ القرآن وتلقى العلوم الابتدائية ، ولاشك عندي انه لقى من ابيه كل الرعاية فارشده وزوده بالمعارف .

عاش الشاعر فى هذه البيئة التى وفرت له مـــا اثرى استعداداته ، واوقد فى عمقه الرغبة الملحـــة لاكتساب المعارف ، فاكب على المطالعة والدراســـة ووعى من علوم عصره رصيدا ضخما ، وقد اعانتـــه على ذلك حافظته النيرة وذكاؤه الثاقب وادراكـــــه السريع .

ولم يقنع شاعرنا بهذا فقط بل حدثته نفســـه الولهى بالسفر الى فاس ، قبلة كل من تعلق بالمعرفة من قريب أو بعيد ، وهو يعلم انه سيتكبد الصعاب ، وسيتجشم المتاعب لكن ذلك لم يثنه عن عزيمتـــه ، وبقت فى عضده فسافر اليها للاستزادة من المعارف وارواء عطشه بمجالسة العلماء ، وغشيان حلقهم ، فكان من بين الذين استفاد منهم واغترف من علمهـــم شيخ الجماعة السيد احمد بن الخياط (7) والعالـــم الشاعر السيد احمد بن المأمون البلغيثى (8) .

ولست ادري كم سلخ من الاعوام الدراسية بفاس انما الذي ادريه على وجه اليقين هو انه كان بفاس عام 1326 هـ وسندي فى ذلك الابيات التى استجاز بها الشاعر — وسيأتى الحديث عنها — شيخه البلغيثى الآنف الذكر والمؤرخة بهذا التاريخ .

ولست ادري ايضا بعد انتهائه من دراستـــه بالقرويين هل عاد الى بلده مراكش وزاول به عملا ما ام لا ؟ ، غير ان رسالة مؤرخة بتاريخ 27 جمادى 2 1328 هـ من انشاء الشاعر كتبها على لسان السيد محمد الفاضل ابن يعيش يخبر والده فيها بعقده لـــه — اي ابن موسى — على اخت ابن يعيش المذكـــور تكشف لنا عن امر هام هو ان الشاعر تزوج فى نحـــو الثامنة والعشرين من عمره ، وانه بعد الانتهاء مـــن الدراسة بمدة — وسلف انه كان بفاس عام 1326 هـ — عاش مع صهره ابن يعيش فى هذه الفترة يقول فى هذه الرسالة (.. لما كان اخونا السيد محمد مـــن القسم الواجب فى حقه على ان الانسان لا بعد فى ذوي المروءة ملاحظا بعين الاجلال الا اذا احرز قصب سبقه اقتضت عواطف الاخوة الحامية ثمار حبيبتها المانعة من تطرف شوائب النقص حياض طريقتها ان عقدنا له على اختنا المصونة السيدة عائشة ، واحرزنا بذلـــك ثلثى دين كل منهما بان وصلناه بمجانسة مروءة وصيانة مع توفر شرط الكفاءة الملاحظ شرعا فى كليهما حالا وديانة ، وكان مؤملنا ان يصدر هذا الامر بحضوركم حرصا على توفر فرحكم به وسروركم ، غير ان الاقدار لما كانت لا تعطى الانسان قيادها ولا تمكنه من ادراك مرامانه وقتما ارتادها بادرنا باختلاس هذا الامر من يد عوائقه علما بان الليل لا يحتفظ فى عموم الازمـــان بسارقه وتعين اعلامكم به بذلك الخ) .

---

6) كذا فى الرسائل التى كان يبعثها الشاعر لابيه ، وكذا فى رسالة موجهة من احمد عبد الواحد الفواز لوالد الشاعر وكل ذلك احتفظ به .

7) من علماء فاس الافاضل وشيخ الجماعة بها فى وقته (1252 — 1343 هـ) من تآليفه حاشية علـــى شرح الخرشي على فرائض المختصر، وحاشية على شرح محمد بن عبد القادر الفاسى فى المصطلح ، انظر الفاسى (عبد الحفيظ) معجم الشيـــوخ المسمى (رياض الجنة) ج 1 ص 127 وما بعدها — مطبعة فاس بالمدينة الجديدة عام 1350 هـ ، وترجم له السيد الوالد رحمه الله فى الورقة الاولى من حاشيته المذكورة على المصطلح .

8) من علماء فاس توفى عام 1348 هـ موافق 1929 م ، ولى قضاء الصويرة والعرائش ومكناس والدار البيضاء ، من تآليفه (الابتهاج بنور السراج) وديوان شعر سماه (تنسم عبير الازهار بتبسم ثغور الاشعار) فى مجلدين ، انظر الفاسى (عبد الحفيظ) معجم الشيوخ المسمى (رياض الجنة) ج 1 ص 133 وما بعدها ، ومخلوف (محمد) شجرة النور الزكية ص 437 طبعة مصر 1349 والتباج (محمد) الادب العربى فى المغرب الاقصى ج 1 ص 15 وما بعدها ، والزركلى ج 1 — ص 191 ع 1 ط 3 ، وكحالة (عمر رضا) معجم المؤلفين ج 2 — ص 56 ع 1 .

ومع هذا فلا يمكن ان نقطع بأنه لم يرجع الى مراكش ولم يباشر بها عملا ما مادمنا نجهل العام الذي انهى فيه دراسته بفاس اذ ليس مستبعدا ان يكون عام 1326 هـ هو آخر عهده بالدراسة ، فتكون هناك — اذن — فترة ما بين 1326 هـ وتاريخ الرسالة المذكورة 1328 هـ لعله رجع فيها الى بلده ومكث بين ربوعه مدة زاول خلالها عملا من الاعمال .

كان شاعرنا مرتبطا في هذه الفترات من حياته بصهره ابن يعيش (9) ينتقل بانتقاله ويرحل برحيله ، فلما عين باشا في العرائش — ولم اقف على تاريخ تعيينه والمدينة التي أتى منها — اصطحب معه ابن موسى — كما حدثتني بذلك زوجة أخيه محمد فتحا(10) وكان وجودهما بالعرائش عام 1334 هـ موافق 1916م كما هو مثبت بخط الشاعر في كناشه الخاص بالمراسلات التجارية .

وباستعراضنا لهذا الكناش نستقي معلومات جد مهمة عن حياة الشاعر الاولى في مدينة العرائش وهي انه نزل بها في طور الشباب ، وانه كان يزاول بها مهنة تجارية حرة منذ عام 1334 هـ موافق 1916 م وفيه كان يتولى ابن يعيش الباشوية حسب الوارد في المراسلات التجارية بالكناش وكمثال على ذلك أسوق فقرات من احدى هذه المراسلات يقول ابن موسى بعد كلام طويل (ولعلك تكون وجهت لنا السلعة التي أخبرت انها عند المعلمين) ، وترانا لازلنا لم نرتب السلعة في الحانوت حيث أن (المعلم) النجار لا زال مشتغلا في صنع الزينة لها وستكون بحول الله من احسن الحوانيت التي في ذلك الصف ومهما كملت نعرفك بما صرفنا عليها ليكون الصائر عليها بيننا على السوية) الى أن يقول واما (البلاغي) من العينة التي كنا أوصيناك عليها للباشا فلم توجه لنا منها (بلغة) واحدة وعلى المحبة والسلام في 5 ذي القعدة 1334 هـ 4 شتمبر 1916 م)

هنا نطرح اسئلة : هل كان ابن موسى كاتبا للباشا في هذا العام ؟ هل كان يزاول مع هذه الوظيفة التجارة ؟ وهل وظيفه لم يكن يسد متطلبات حياته فلجأ الى التجارة ؟ أم انه لم يكن قد تقلد بعد وظيفة كاتب الباشا فباشر مهنة التجارة ريثما تحين الفرصة لتوظيفه .

الذي نعلمه هو انه كان كاتبا لباشا عام 1342هـ موافق 1924 (11) ، واعفي من مهمته في 25 جمادى2 1345 هـ موافق 1 يناير 1927 (12) .

ويبدو ان وظيفة كاتب الباشا لم تكن تسد حاجات الشاعر ، وانه كان يحيا تحت وطأة الحاجة ، ويعيش فريسة العوز ، ويفسر هذا انه حين علم بأن أمين جمرك العرائش قد استعفى فاعفى كتب رسالة رقيقة الى رئيس الوزراء حينذاك السيد محمد ابن عزوز يطلب منه فيها ان يلتفت اليه بتعيينه في المكان الشاغر يقول (.. اني علمت أن أمين الصندوق بديوانة العرائش استعفى فاعفى فانتهزت هذه الفرصة على ما فيها اذا لم أجد غيرها للتنبيه على نفسي لديكم راجيا من مراحمكم الاخذ بيدي في الترشيح هذا الوظيف اعانة لي بأجرته الخ) .

ولا يخفى ما توحي به عبارته (الاخذ بيدي في الترشيح لهذا الوظيف اعانة لي بأجرته) من احساس الشاعر بضيق اليد وقلة المال ، وشعوره بالحاجة الاكيدة الى رافد يستقي منه العون على لاواء الحياة .

ويظهر ان هذه الرسالة برغم ما فيها من تصوير لحالة الشاعر ، وما فيها من تزلف أملته الظروف العصيبة لم تحظ لسبب من الاسباب لدى الوزير الصدر بالرعاية ، ذلك ان الشاعر لم يتقلد أمانة الجمرك الا بعد سنوات ، لانه اعفي — كما سبق — من وظيفة كاتب الباشا عام 1345 هـ والرسالة المذكورة مؤرخة بتاريخ 1340 .

ثم تولى ابن موسى امانة الجمرك بالعرائش ، ولا اعرف بالضبط عام تعيينه بها ، وقد بحثت في الجرائد الرسمية بالعربية والاسبانية لعلي اعثر على ظهير توليته ولكن بدون جدوى ، والمؤكد انه — كما ورد في مجلة الاتحاد (13) — كان يباشرها عام 1347 هـ موافق 1928 م .

---

9) حاولت ان اقف على ترجمته ولكن بدون جدوى.

10) شاعر ناثر لكنه لا يرقى مستوى أخيه كان كاتبا من الدرجة الاولى بالديوان الخليفي توفي عام 1957

11) كذا في المنجز السنوي الاسباني ANUARIO لسنة 1924 صحيفة 447 وقد مكنني منه مشكورا الاخ السيد محمد امعارة .

12) الجريدة الرسمية العدد 9 — 8 ذي القعدة عام 1345 هـ موافق 10 ماي 1927 م

13) العدد 17 — السنة 2 — صفر 1347 — غشت 1928 — قسم الصحف بالمكتبة العامة بتطوان .

ثم لست ادري كذلك عن شعره في مرحلة الطلب والتحصيل والعمر الفتى شيئا يذكر الا ابياتا استجاز بها شيخه البلغيثي سنة 1926 هـ بفاس هي :

ابدرا علا افق المعالي ففاخرت
بهمته شرق البسيط مغاربه

ومن فض ختم المشكلات وزانه
كما شاد مستخفي القريض وساربه

ومن عم هذا العصر علما فانهلت
جميع من استهوى وعلت مشاربه

يصول به فصل القضاء فتزدري
مقاصره بالمشترى ومحاربه

وتعتصم الآمال منه بزاخر
فلا آمل الا لديه مآربه

ايسعد عبد نال منكم اجازة
ام القصد سام لا ترام غواربه

اجبه ادام الله فضلك ظاهرا
وابقاك عضبا لا تفل مضاربه

بيد انني اجزم بانه قال شعرا غير هذا في فترة الطلب والعود الطري ، وان محاولات اخرى سبقت هذه الابيات التي تقطع بما تحويه من نفحة شعرية ان صاحبها واعد ، جد واعد ، سيكون له شأن واي شأن وسيملأ السمع والبصر ، وستنصت اليه الربوع العرائشية مبهورة الانفاس منتشية الاعطاف ، وستصغي اليه المرابع التطوانية مدغدغة الاحناء ، زاخرة الاحساس ، ولعل شيخه البلغيثي اعجب بنبوغه فرعاه حق الرعاية — وهو الشاعر الذي لا تنكر شاعريته — وقربه اليه ، وآثره على غيره فتولاه بعنايته واغنى ملكاته بالارشاد حينا والتشجيع حينا آخر .

وان ما لدينا من اعماله الشعرية ليؤكد لنا انه روض طاقته على الشعر ، ومرن قدره الفنية على طرقه واساليبه منذ ان احس دبيبه يسري في ثنايا اعماقه ، فعالجه واحتك به وعاناه مدة الى ان استوى عنده ، واستجاب له بعد دربة استجابة جعلت منه الشاعر المجلي يضرب في الآفاق المشرقة الغمرة متى فاضت القريحة ، ومتى تفجر الشعور ، ومتى انتشى الخاطر .

ولو اننا ظفرنا بمجموعة من بواكير اعماله ، لاستطعنا ان نزيح الستار عن جوانب من حياته في مرحلة الشباب المبكر ، تلك الجوانب التي قد تلقي الاضواء الكاشفة على مناح في شخصيته بعد مرحلة النضج تتبدل بسببها احكام تعقبها استنتاجات مفيدة ، وخاصة وانا ابذل الوسع ، كل الوسع ، في درس حياة الشاعر من خلال شعره ونثره كلما وجدت نصا من نصوصه الشعرية او النثرية تخدمنا في استقاء معلومات جديدة تكمل رسم الصورة عن حياة الشاعر في جل مراحلها .

⁂

هناك في العرائش استقر شاعرنا مدة غير قصيرة تتجاوز العشرين سنة اعتمادا على تقديري من ان وجوده بالعرائش — كما المعت سابقا — كان عام 1334 هـ حسب مراسلاته التجارية ، واعتمادا على انه اعفي من امانة الجمرك عام 1356 كما سيأتي ان شاء الله . وفي هذه الفترات الزمنية اكتسب صداقة اهل البلدة ، فكان يختلف الى مجالس الطرب والانس كلما سنحت الفرصة ، وها هو نفسه يتحدث عن ذلك في ابيات ثلاثة قالها على البديهة في مجلس ضم اعيان البلدة ، وكان من بينهم مطرب بارع في عزف الكمان يدعى عبد السلام الغازي (14) التطواني الذي شنف الاسماع وحرك الاحاسيس بنغمات كمانه ، فلم يملك شاعرنا نفسه ، وهو في غمرة النشوة ، فهتف باعجاب:

ما وقع الغرد الشادي على وتر
تكاد تفصح بالنجوى سرائره

الا تماثل رقصا قلب سامعه
فباح بالوجد وانهلت محاجره

لا تعجبوا ان صبا قلب الشجي له
ما حرك القلب الا ما يجاوره

وتكشف الابيات عن جانب في شخصية الشاعر وانه كان شغوفا بالموسيقا يطرب لها ، ويهش احساسه لايقاعاتها ، مما يبرهن على رهافة شعوره ، كما

14) كان من العازفين المشهورين بتطوان .

تبرهن على قدرة الشاعر على ارتجال الشعر ، والابيات في الحقيقة من بدائع البديه كما يقولون .

ويبدو بما لدي من نصوص شعرية للشاعر أن مرحلة حياته بالعرائش كانت خصبة بالشعر ، فقد تفتقت شاعريته عن نتاج جميل ، اذ ربع قرن تقريبا كفيل بأن يحرك كوامن الشاعر ويوحي اليه بالخاطرات بما حوته في طياتها من احداث متنوعة ، وفي هذا الصدد روى لي الاستاذ السيد محمد أبو خبزة عن شقيق الشاعر امحمد فتحا عن صهره اولى ابن يعيش (15) أن ابن موسى كان يحتفظ بكناش سجل فيه بعض أعماله الادبية — وهو في العرائش — من مقامات وقصائد ومقطوعات ورسائل وازجال وملحون ، وقد بقي الكناش المذكور في متروك السيد محمد الفاضل ابن يعيش ، ولو أن الاقدار ساعدتني — وقد حاولت — على احرازه لاستطعت أن أتعرف على جوانب أخرى من حياة الشاعر بمدينة العرائش ، ولكان لهذا الكناش دور فعال في تقييم شعره ، ورصد الافاق الشعرية التي كان ينطلق منها للتعبير عن تجربته الشعرية في لحظة من لحظات النشوة والجذل او لحظة من لحظات الهم و الشجن .

وكيفما كان الحال فقد البهت السنوات التي قضاها في العرائش بشاعره وفتنت خاطره ، فاطلعت لنا شعرا غنى فيه رؤاه وخلجاته ، من ذلك قصيدته التي يقرظ فيها قصيدة الشاعر عبد الله القباج (16) يقول في اولها :

كرر احاديث من فاق الورى نسبا
للمصطفى وعلا السيد السراة ابا

وساد طفلا ملوك الارض قاطبة
فما استطاعوا الى علياه مهربا

فوطد الامن في الآفاق بحسمه
داعي الرشاد الى استقلال ما رحبا

ومنه قصيدة أخرى يسجل بها القباج المذكور ، ويرحب به في العرائش مبرزا مدى ما يحتله هذا الشاعر من مكانة في عالم الادب وما له من حظوة لديه ومطلعها :

شاعر العصر اضحت دولة الادب
مهتزة العطف بين العجب والعجب

رب القريض ومن تعزى مناقبه
الى العلا والى القباح تنتسب

طوى السباسب حتى زارنا فرأت
منه العرائش شخص الفضل والحسب

ومنه قوله في زيارة قام بها له بعد سنوات صديقه الشاعر السابق الذكر :

صدق البشر وان ارابك مشره
وامتاز في أفق البشائر نشره

ومنه قوله من قصيدة بعثها الى الشاعر السابق الذكر كذلك أولها :

ما للفؤاد الى الغواد شفيع
الا هوى بين الضلوع وديع

ومنه قصيدة قالها بمناسبة تنظيم حفلات انشراحية مع مسابقة أدبية اسبانية بمدينة سبتة تسابق في مضمارها الشباب في صفر 1347 هـ موافق غشت 1928 م التي شارك فيها بها مستنهضا همم الشباب مطلعها :

عهد الصبا موسم الافراح والطرب
ومهيع لنوال الفوز بالارب

وصفوة العمر ان جد اللبيب به
نحو المعالي اماطت ستر الحجب(17)

---

15) كان تلميذ المشور الخليفي توفي عام 1388 هـ موافق 1968 .

16) ولد بمكة وتوفي بسلا سنة 1945 م وانتقل الى المغرب سنة 1898 م ، وهو شاعر مجيد ، عمل في وزارة الاوقاف ثم في وزارة العدل ، وله شعر كثير كان يوالي نشره بجريدة السعادة عرف بلقب الشاعر المطبوع ، انظر الجزائري (عبد الله) من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا ج 2 ص 317 وما بعدها . والسولامي (ابراهيم) الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية ص 256 ، نشر دار الثقافة — الدار البيضاء . (بدون تاريخ)

17) نشرت بمجلة الاتحاد العدد 17 — السنة 2 — صفر 1347 هـ — موافق غشت 1928 م

ولما لم تنل هذه القصيدة الجائزة الاولى ، وقدمت لجنة التحكيم — وكان يراسها الفقيه السيد احمد الرهوني(18) — عليها قصيدة(19)الاستاذ السيد محمد داود انشأ قصيدة أخرى سماها (شكوى غريبة) ضمنها عتابا رقيقا ، وكشف فيها عما تميزت بها البائية السابقة من خصائص تشفع لها بأن تكون جديرة بالتفوق على سواها يقول في أولها :

من بدر عاصمة البلاد وشمسها
وزعيم نهضتها وطلعة انسها

ومفيد عالية العلوم بدرسها
ومبيد عديد الهموم برهبها

فضلا حباه به الاله وجودا

الى أن يقول مخاطبا رئيس لجنة التحكيم وهو حينذاك ماضي النهضة ، ومتحدثا عن خصائص البائية:

مولاي والانصاف منك مسروم
قيسيط عدلك في البلاد عميم

هذي (القريدة) حقها مهضوم
ضيعت قسطورها الحسنى وهموم

آي مـا تراهـا الظـهـر وحـلـوه

كانت تحوك من المطارف رائقـا
تبدي يد الاحسان فيه رقائقها

تستوقف الطرف الحديد دقائقـا
رميت بعين لا رأيت بوائقـا

والعين حق لا نلوم شهودا

ومنه قصيدة طويلة في مدح الملك محمد الخامس (20) رحمه الله يقول فيها :

ظهورك من افق المعالي مشير
لاقبال يمن بالامانـي بشيـر

واشراق شمس الفضل منك بباهر
به فلك الملك الكبير يدور

ومنه قصيدة يناجل بها الشجى الحراق(21) يقول فيها :

انفث غاروت جس القلب امعانـا
فخالب السحر البابا واذهانـا

ام سائلات اولى الالباب قد خطرت
فمايلت من قدود الغيد اغصانـا

---

18) من علماء تطوان (1288 — 1373 هـ) درس بمسقط رأسه تطوان ثم انتقل الى فاس لاتمام دراسته ولما رجع تولى مهمة التدريس والوعظ والارشاد والخطابة ، كما تولى وزارة العدل ورئاسة المجلس الاعلى للتعليم الاسلامي ، له تاليف عديدة من بينها عمدة الراوين في اخبار تطاوين ، انظر عمدة الراوين السالف الذكر الذي ترجم فيه لنفسه بقسم داود (محمد) (تاريخ تطوان) القسم 1 — المجلد 1 — كريماديس تطـوان — 1379 هـ — 1959 م ؛ التسولي) ج 1 — ص 21 — ط عام 1372 — المخطوطات بالمكتبة العامة بالرباط بتطوان ؛ وانظر المجلد 1 — ص 50 وما بعدها — ط 2 — مطبعة

19) مطلع القصيدة هو :

يـا رسـول السلم حـي انهاضين وانذع بشراك بيـن العالميـن

وقد شارك بالنثر في هذه المسابقة الفقيه السيد احمد الحداد والفقيه السيد محمد الزرهوني والصحافي اللبناني نعمة الله النحداح ، انظر كل ذلك بمجلة الاتحاد العدد 17 — السنة 2 .

20) ولد بفاس عام 1329 موافق 1911 م وتوفي 1380 هـ 1961 م ، تولى الملك عام 1346 هـ موافق 1927 م ، عمل من اجل رفعة المغرب ، فناهض الاستعمار وفضل المنفى على نعم الحياة ؛ لاجل الحرية والاستقلال بفضل الله ثم بتضحياته و تضحيات الشعب احرز المغرب استقلاله وشق طريقه نحو الحياة الحرة انظر كتاب (عبد الله) مدخل الى تاريخ المغرب ص 130 — ط 3 — 1378 هـ — 1958 م ، والجراري (عبد الله) من اعلام الفكر المعاصر ج 2 — 235 وما بعدهـا ؛ وداود (محمد) تاريخ تطوان القسم 1 — المجلد 1 ص 33 — وانظر الموسوعة العربية الميسرة ص 1659 مصورة طبق الاصل عن طبعة 1965 م — دار الشهاب وعطية الله (احمد) القاموس السياسي ص 1156 — ط 3 عام 1968 .

ومنه قصيدة كتبها في اجتماع تكريمي ببيتـــه بالعرائش — كما روى لي الفقيه الاديب السيد محمد الزرهوني (22) : ضم اللجنة المكلفة بامتحان كتاب المراقبة والبلديات بالمنطقة الخليفية حينذاك ، وكانت اللجنة تتركب من الفقيه المذكور والفقيه المرحوم السيد محمد البادي (23) والفقيه السيد الحسن ابن عبد الوهاب (24) وخليفة نائب الامور الوطنية (تندا) وذلك عام 1354 هـ . يقول فيها :

ها هو السؤل جاء بخطر شـــد!
فلتؤد لله شكـرا وحمـــدا (25)
طالب شاتك اسلاتـــي لســـادا
ت علوا في الآداب غـورا ونجـدا
وغدوا يرفعون للعلـــم رأســـا
ويحـدون للجهالـة حـــــدا

يتبـــع

تطوان محمد المنتصر الريسوني

---

21) لم اقف على ترجمته .

22) من فقهاء تطوان النبهاء ونسبه التلاوســي واشتهر بالزرهوني ولد بفرقة (قاع أسراس من قبيلة بني زيات دائرة السطيحة عمالة شفشاون حسب التقسيم الاداري الحالي) عام 1321 هـ موافق 1903م درس العلوم الاسلامية والعربية على علمـاء تطوان من بينهم السيد احمد الزواقي والسيد محمد الصادق الريسوني ، والسيد احمد الرهوني والسيد محمد القرطاح ، تولى وظيفة الكتابه بالصدارة ثم عين قائدا لقبيلة بني زيات ، وبعد ذلك عين كاتبا عاما لوزارة العدلية عام 1953 ، وهو اليـوم يشغل مهنة المحاماة بمحكمة التوثيق ويزاول الخطابة . له ولوع بالادب وخاصة القديم ، ولذلك ينحو في كتاباته النثرية طريقة القدامى وكمثال على هذا الولوع انه يحتفظ ببعض انتاج ابن موسى الشعري والنثري وقد امدني به جزاه الله خيرا كما افادني في تراجم بعض اعلام تطوان .

23) من علماء تطوان (1314 — 1395 هـ =1896 — 1975 م) درس بمسقط راسه تطوان ومـــن شيوخه بها السيد احمد الزواقي والسيد احمد الرهوني والسيد محمد انيلال ، تولى التدريس بالمعهد الديني العالي ثم تولى قضاء تطـــوان ، وبعد الاستقلال عين مستشارا بالاستئناف الشرعي بالرباط

24) من الفقهاء النابهين ولد بتطوان عام 1325 هـ موافق 1907 م ودرس بها على شيوخها منهم السيد محمد انيلال والسيد احمد الزواقي والسيد احمد الرهوني ورحل الى فاس لاتمام دراسته بها فتلقى العلوم على علمائها من بينهم السيد عبـد الرحمن الشفشاوني والسيد عبد الله الفضيلي ، اشتغل بالتدريس في المدارس الحرة ، ثم عين كاتبا اول في وزارة العدلية وعضـــوا بالمجلس الاعلـى للتعليم الاسلامي ، وتولى مهمـــه التفتيش في العدلية ، وبعد الاستقلال عين قائدا ممتازا بدائـرة جبالة بتطوان ثم باشا بالحسيمة ثم قاضيا للتوثيق بطنجة ثم نائب وكيل الدولة بطنجة ايضا ثـم مستشارا في الغرفة الاستشارية بهذه المدينة نفسها . من تاليفه (حواش على بهجة التسولي) في ثلاثة اجزاء و (تاريخ القضاء منذ استقلاله في المنطقة الخليفية او تاريخ القضاء في شمـال المغرب على عهد الحماية) وهو معد للطبع .

25) كذا وهو لا يستقيـــم .

كتب الزواجر والعظات

للوزير لسان الدين بن الخطيب

713 - 776 هـ

تحقيق الدكتور محمد كمال شبانة

« نتابع فى هذا العدد نشر الوثيقة الثانية من رسائل ابن الخطيب التى أصدقائه من معاصريه ، والتى افرد لها بابا خاصا فى نهاية مؤلفه الادبى التاريخى « ريحانة الكتاب ، ونجعة المنتاب » حيث ادرج هذه الرسائل تحت باب « الزواجر والعظات » وقد قدمنا لها فى العدد السابق بموجز عما تضمنته ... »

ومن ذلك ...

اخوانى ، صمت الآذان والنداء جهير ، وكذب العيان والمشار اليه شهير ، اين الملك واين الظهير ، اين الخاجة واين الجماهير ، اين القبيل واين العشير ، اين كسرى (1) اين ازدشير (2) (148 . 1) صدق الناعى وكذب البشير ، وعز المستشار وانهم المستشير ، ومثل عن الكل فاشار الى التراب المشير .

(1) هناك فى التاريخ « كسرى انو شروان » ثم « كسرى ابرويز » فالاول ملك ساسانى (531 — 579 م) ابن قباذ . حارب فى عدة مواقع ، واحتل انطاكية ، ثم اجبر على عقد هدنة مع البيزنطيين (555 م) كما استولى على اليمن (570 م) ومن أهم اصلاحاته الداخلية تعديله لنظام الضرائب فى البلاد بما حقق مصلحة الناس والدولة ، كما قام بمسح شامل للاراضى .

أما الثانى : فهو « كسرى أبرويز » وهوملك ساسانى أيضا (590 — 628 م) ابن هرمز الرابع ، ارتقى العرش بمساعدة الامبراطورموريق البيزنطى (591 م) وقد احتل القدس عام 614 م ، وقد اغتيل فى السجن بعد أن كان هرقل قد انتصر عليه .

(2) يطلق هذا الاسم على ثلاثة ملوك ساسانيين من الفرس ، اهمهم « ازدشير الاول » مؤسس الدولة الساسانية (نحو 226 — 241 م) وقد اعاد بناء وحده بلاده ، ثم « ازدشير الثانى » (370 — 383 م) .

وتجدر الاشارة الى أن « ازدشير شابور » وزير بهاء الدولة البويهى قد اسس فى بغداد دارا للكتب ، كان قوام محتوياتها ما يقرب من 10,000 كتاب ، وذلك عام 990 م .

خذ من حياتك للممات الآتي
وبدار ما دام الزمان موات

لا تغترر ، فهو السراب بقيعة
قد خدع الماضي به والآتي

ما من يؤمل واعظا ومذكرا
يوما لينقذه من الغفلات

هلا اعتبرت وبالها من عبرة
بمدافن الآباء والأمهات

خسف بالبقيع وئاد في عرصاته
فلكم بها من جيرة ولدات

درجوا وليت بحالهم من بعدهم
معز عليم برحمك حية

والله ما أسوأ الحياة حياة
الا رأت تحت في الأموات

لا فوت من درك الحمام لهارب
ولا سابق مرعى بحرك لافت

كيف الحياة لدارج بمكانك
منة الكرى بمدافن الجيك

أسفا علينا معشر الاموات ، لا
تنفك عن شغل بهاك وهات

ويفرنا لمع السراب فنقتدي
في غفلة عن حادم اللذات

والله ما نصح امرءا من غيه
والحق ليس بخافت المنكة

يا من غدا وراح ، والف المراح ، يا من شرب الراح (148 . ب) ممزوجة بالعذب القراح ، وقعد لقيان صروف الزمان ، مقعد الاقتراح ، كأنك والله — بائتلاف الرياح ، وسماع الصياح ، وهجوم غادة الاجتياح ، تأديل الخفوت من الارتياح ، ونسيت أصوات الغناء برنات النياح ، وعوضك غرر الثوب القباح ، من غرر الوجوه الصباح ، وتناولت الجسوم الناعمة أيدي الاطراح ، وتوسدت المهود الوثيقة بكر المساء عليها والصباح ، أصبحت كماة النطاح من تحت البطاح ، وحملة المهندة والرماح ، ذليلة من بعد الجماح ، ولو كان هذا الموت لا شيء بعده لهان علينا الامر ، واحتقر البول ، ولكنه حشر ونشر وجنة وتار ، وما لا يستقل به القول .

يا مشتغلا بداره ، وربع جداره ، عن انزاعه الى انتحاة وبداره ، يا من صاح ، تذاره شيب عذاره ، يا من صرف عن اعتذاره باقذائه واقتداره ، يا من تطلعه بعد مزاره وتقل أوزاره ، يا معتلفا ينتظر هجوم جزاره ، يا مختلسا للامنة يرتقب مفتش ما تحت ازاره ، يا من أمعن في خمر (149) الهوى خف من أسكاره ، يا من حلف مولى رقه توق من لتكاره ، يا كلفا بعارية ترد ، يا مفتونا بأنفاس تعد ، يا معولا على الاقامة والرحال تشد ، كأنني بك وقد أونق الشد ، والصق بالوسادة الخد ، والرجل تنبض والاخرى تمد ، واللسان يقول : يا ليتنا نرد .

انا لله وانا له ما اشغل
كل انسان عن شأنه

يرتاح للاثواب يزهى بها
والخيط مفزول لاكفانه

ويحزن الفلس لورثه
مستنفدا مبلغ امكانه

تمرض عن الفاني رجال امر
مرى ، مد اليه كف عرفانه

ما ثم الا موقف راهن
قد وكل العدل بميزانه

مفرط يشقى بتفريطه
ومحسن يجزى باحسانه

يا هذا ، خفي عليك فرض اعتقادك ، فالتبس الشحم بالورم ، جهلت قيم المعادن فبعت الشبه بالذهب فسد حس ذوقك فتهكمت بحنظلة . اين حرصك من أجلك ، أين قولك من عملك . يدركك الحياء (149.ب) ، من الطفل فتحامى حمى الفاحشة في البيت لسببه ، ثم تواقعها بعين خالق العين ، ومقدر الكيف والاين . تالله ما فعل فعلك من قطع بوجوده « ما يكون من نجوى ثلاثة . . الآية » (3) تعود عليك مساعي الجوارح التي سخرها

(3) سورة المجادلة ، آية : 7 .

لك بالقناطر المقنطرة بالذهب والفضة ، فتبخل منها في سبيله بفلس ، وأحد الامرين لازم ، اما التكذيب واما الحماقة ، وجمعك بين الحالتين عجيب ! يرزقك السنين العديده من غير حق وجب لك ، وتسيء الظن به في يوم يوجب الحق وتعتذر بالغفلة ، فما بال التمادي ؟ تعترف بالذنب ، فما الحجة مع الاصرار ؟ « والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ، والذي خبث لا يخرج الا نكدا » (4) .

يا مدعي النسيان ، ماذا فعلت من بعد التذكير ؟ يا معتذر بالغفلة ، اين نضرة التنبيه ؟ يا من قطع بالرحيل ، اين الزاد ؟ يا ذئابة الحرص ، الى كم تلجلج في ورطة الشبهة ؟ يا نائما ملأ عينه جندر الاجل يريد ان ينقض . يا ثمل الاغترار قرب خمار الندم ، تدعي الحقوق الصنائع (150.أ) ، وتجهل هذا القدر . تبذل النصح لغيرك ، وتغش نفسك هذا الغش !

اندمل جرح توبتك على عظم قام بناء عزيمتك على رمل بثت خضراء دعوتك عقدت كفك من الحق على قبضة من هباء .

« افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ... الآية (5) » اذا غام جو المجلس وابتدأ رسم غمام الدموع ، قالت النفس الامرة : حوالينا لا علينا ، فذللت رياح الغفلة وسحاب الصيف تصفاف ، كلما شد طفل العزيمة كفه على درة التوبة ما تعته طير الشهوة على ذلك بعصفور . اذا ضيق الخوف فسحة المهمل سرق الامل حقوق الجار ، قال بعض الفضلاء : « كانوا اذا فقدوا مطلوبهم تفقدوا قلوبهم » ولو صدق الواعظ الاثر اللهم لا اكثر ، طبيب يداوي الناس وهو عليل ! والمتفطن قليل ، فهل الى الخلاص سبيل ، انظرنا بعين رحمتك التي وسعت الاشياء ، وشملت الاموات والاحياء ، يا دليل الحائرين دلنا ، يا عزيز ارحم ذلنا ، (150.ب) يا ولي من لا ولي له كن لنا ان اعرضت عنا ، فمن لنا نحن المذنبون وانت غفار الذنوب ، فقلب قلوبنا يا مقلب القلوب ، واستر عيوبنا يا ستار العيوب ، يا امل الطالب ويا غاية المطلوب ، انت حسبنا ونعم الوكيل .

---

(4) سورة الاعراف ، آية : 58 .
(5) سورة فاطر ، آية : 8 .

حروب البرتغاليين في المغرب

للأستاذ أحمد عدنان

لم يبق للبرتغاليين من المراكز في المغرب سنة 1550 سوى سبتة وطنجة والجديدة وكان لهم من قبل القصر الصغير واصيلا ورأس كير وآسفي وازمور .

فأراد سبستيان أن يسترد مجد البرتغاليين المفقود في افريقيا بإعداد حملة قوية الى الاراضي المغربية تحت امرته .

ولكن المغاربة بقوة عزيمتهم وتوحيد كلمتهم تحت راية السعديين بددوا احلامه في موقعة وادي المخازن حيث لقي حتفه مع النخبة الممتازة من نبلاء البرتغال .

الانقضاض على سبتة

كان القصد من احتلال سبتة المحافظة على سير الاساطيل التجارية والحربية الى الهند عن طريق المحيط الاطلسي ، ولا يذكر المؤرخون الاسباب التي دعت جوان الاول ملك البرتغال الى الاستيلاء على سبتة ، ومع ذلك فالمفهوم انه احتلها لتكون قاعدة تدفع عن بلاده غارات سكان الشواطىء المغربية في بوغاز جبل طارق . وكانت البرتغال تمني نفسها باحتلال مركز الجمهوريات الايطالية في البحر الابيض المتوسط . فهي اذن على هذا الاعتبار مركز له أهميته في طريق التجارة بين ايطاليا وشبونة وشمال اوروبا . ولم يكن المقصود من الانقضاض على سبتة في أول الامر التوغل داخل بلاد المغرب ، فان هذا الشعور لم يلد الا فيما بعد .

وما ان وصلت الحملة التي اعدها دون جوان في ثلاث سنوات الى البوغاز حتى الجأتهم رداءة الجو الى الجزيرة الخضراء ولكنهم استطاعوا ان يفتحوها سبتة ثم عاد الملك جوان بعد ان ترك واليا عليها « بدور دي منسس » وحامية مؤلفة من 2 500 رجل . وهو عدد ضئيل بالنسبة لاهمية هذه القاعدة الا انه كاف للدفاع عن سبتة من جهة البر بسهولة فضلا عن ان دولة المغرب ليس لها اسطول يستطيع أن يهددها بحرا . ومع ذلك فقد كانت هذه الحامية تعيش عيشة الهلع بسبب الغارات التي يشنها عليها عامل تطوان وفي كثير من الاحيان كان السلطان ياتي بنفسه محاولا القاء البرتغاليين الى البحر واسترداد الميناء الضائع خوفا من امتداد نفوذ البرتغاليين الى داخل البلاد . فاصبحت سبتة بهذه الغارات المتكررة عبئا على دولة البرتغال لضياع الارواح وكثرة الخسائر المادية الاخرى .

احتلال طنجة

كان المحرض الاول والداعي لفكرة التوسع في المغرب ، الامير انريكي المعروف بـ « الملاح » وكان في البرتغال يومئذ حزبان احدهما ينتصر للتوسع والاخر يعارضه . فانتصر الحزب الاول ايام حكم « دوارتي » خلف جوان الاول فاعد انديكي جيشا لفتح طنجة يتجه اما من سبتة فتطوان فالفندق فالركائع . واما من سبتة فالقصر الصغير فاثر الاخيرة لقصرها . فوصلها برا عن طريق القصر الصغير

يحميه الاسطول من جهة البحر حتى اشرف عليها يوم 13 سبتمبر سنة 1437 وانزل عساكره بضحيـة مرشان . الا ان صلة الجيش بالاسطول كانت مضطربة، عرضت المدفعية لكثير من الاخطار ، كما ان المدافع كانت غير ملائمة ، يضاف الى هذا خلو الحملة من عنصر المفاجأة . لهذه الاسباب ولقدوم المجاهدين من انجرة ووادراس وبني محمود وجبل حبيب وبني يدر وبني عروس وبني كرفط واهل سريف ؛ اصبح الغزاة (البرتغاليون وعددهم 500 6 رجل مطوقين من كل الجهات فلم يجد « اندريكي » مناصا من النزول عند رغبة المغاربة بتسليم سبتة مقابل تسريح اسرى الجيش البرتغالي واحتفظوا بـ « الانفانتي دون فرناندو » وبثما يطبق ما اتفق عليه ، فكان هذا الامر موضوعا لسجدال في بلاد البرتغال بعد ابحار الاسطول البرتغالي في 17 اكتوبر ادى الى نقض العهد ، فنقل عندئذ فرناندو الى اصيلا ثم الى فاس حيث بقي اسيرا الى ان توفي في خامس يونيو 1443 .

المحاولـــة النهائيـــة

بينما كان يتربع على عرش المملكـة الفونـسو الخامس سنة 1438 اخذ انريكي يستحثه على شن حملة جديدة على الثغور المغربية ، فاستجاب له في 17 اكتوبر من سنة 1458 مجهزا اسطولا مؤلفا من 52 000 رجل لاحتلال القصر الصغير كمرحلة اولى للاستيلاء على طنجة من جديد .

وفي عام 1463 عاد الفونسو الخامس الى القصر الصغير يوم 17 نوفمبر ، وقضى به فصلي الشتاء والربيع يشن الغارات المتاولية على طنجة واسوار اصيلا فدبر له سكان الجبل كمينا يضحي فيه عامل البرتغاليين على القصر الصغير بنفسه لينقذ حيـاة مليكـه .

عاد ملك البرتغال متذمرا مما اصابه من الفشل ليعد هجوما جديدا على اصيلا في 20 اغسطس سنة 1471 فوقعت معركتان احداهما بالجامع والاخرى في القصبة فقد بعدهما ثغر اصيلا . فلم يبق امل في غير اخلاء طنجة امام الخطر الداهم الذي يهددهـا مـن جهتين : اصيلا والقصر الصغير .

ثم جلا السكان عن مدينة العرائش خوفا مـن امتداد نفوذ البرتغاليين اليها ، وفعلا فكر جوان الاول ابن الفونسو الخامس في امتلاك احدى الضواحـي الشرقية بمدينة العرائش لقطع المواصلات بين جنوب المغرب وشماله الغربي عن طريق القصر الكبير . ثم احتلوا العرائش سنة 1489 فضرب المغاربة الحصار عليها حتى ابحر الغزاة منها باسطولهم .

في هذا الوقت كان ظل الاسلام قد اخذ يتقلص في الاندلس امام هجوم مملكة اراغون ومملكة قشتالة المتحدتين ، واخذت كل من اسبانيـا والبرتغـال تتجهان بانظارهما الى التوسع فيما وراء البوغـاز ، ووضع مشروعات ادت الى نزاع بينهما على تحديد مناطق النفوذ في المغرب ، فاعترفت قشتالة حينئذ لمعاهدة صادق عليها البابا « سكستو السادس » في 9 يونيو 1491 بحقوق البرتغاليين في الشاطىء الشمالي يمتد من مليلية الى سبتة . ولكن الملكين الكاثوليكيين احتلا مليلية يوم 17 سبتمبر سنة 1497 (بعد سقوط غرناطة بخمس سنوات) مما دعا ملك البرتغال الى الاحتجاج واشتداد الخلاف بين المملكتين لاقتطاع تلك المدينة من منطقة اطلق يد البرتغاليين فيها بمقتضى الاتفاق المتقدم . ثم انتزعت من المغرب ايضا غزاة سنة 1505 وحجر يـادس عـام 1508 باعتبار انها مستقلة عن مملكة فاس !

توقع كل هذا موقعا سيئا في نفوس البرتغاليين مما ادى الى عقد معاهدة « سينترا » في 18 سبتمبر سنة 1509 تشطر القسم الشمالـي من المغـرب شطرين من حجر بادس بثلاثة وثلاثين كيلو مترا الى سبتة للبرتغاليين ومنها الى الشرق للاسبانيين .

توسع البرتغاليين نحو الجنوب

في عهد « مانويل الاول » — 1491 — 1521 — اي في سنة 1506 احتل « ديبكودي ازامبوجـا » الصويرة . واستغل خلافا وقع بعد سنتين بعد عامل آسفي على المنصب ، فاستولى عليها واقام ايضـا خلفه « نونيو فرناندت دي اتايدي » رجلا اسمه يحيى حاكما عليها . ومثل هذا حدث ايضا في ازمـور ؛ دخلها الكوندي دي براكانزا في 13 سبتمبر 1513 بسبب نزاع على الحكم فيهـا ولكـن البرتغاليين استبدلوها بالجديدة بعد ان اخلاها السكان مما جعل حياتها لا تطاق فضلا عن ان موقعها غيـر متوفـر الشروط . ثم حملته نشوة الانتصار ان يغير على مراكش لردع القبائل المناوئة لمراكز البرتغاليين ، فعاد من تلك الغارة سنة 1516 مقتولا ومني جيشه

بالهزيمة العظيمة . وقبله بعام أراد ان يتخذ من المهدية مركزا محصنا تأرغمه المجاهدون على ترك تحصيناته والجلاء عنها .

مقاومة الغزو

كان رأس المقاومة ومديرها الاول محمد القائم ابن الشيخ السعدي حينما فقدت اسبانيا قبل البرتغال مركزا بحريا بالجنوب كانوا يسمونه « سانتا كروث دي ماريكينيا » في فاتح اغسطس عام 1517 فجاءت النجدة من جزر كاناريا لاسترداده عبثا لان المغاربة استطاعوا سنة 1524 ان يحاصروه ويدمروا معالم الحصن كيلا يعاد استخدامه من جديد . ثم تعرضت اكادير سنة 1533 وازمور بعدها باربعة اعوام لهجوم أقلق راحة المحتلين البرتغاليين وعرضهم لاخطار ماحقة فسادت فكرة الانصراف عن المغرب الى امبراطوريتهم في الهند وامريكا ، وكان لا بد لجوان الاول أن يستأذن البابا في الجلاء عن المغرب وقبل ان يصل الاذن بعشر سنوات سقطت اكادير في يد المغاربة يوم 12 من ابريل سنة 1541 حتى وصل اذن البابا بالجلاء عن آسفي وازمور ، ولم يبق في يدهم من ثغور المغرب على المحيط الاطلسي سوى الجديدة ، فأراد ملك البرتغال أمام هذه الطعنات القاتلة في صدر الاحتلال البرتغالي أن يستنجد بالوطاسيين اصحاب فاس بصفتهم أعداء للسعديين ، فلم ينجدوه .

ومن اذكى روح الحماس في نفوس الناس للقضاء على الاجنبي ، المهاجرون الاندلسيون المستقرون بمطوان وشفشاون عقب سقوط غرناطة ، فازداد نفوذ السعديين قوة واستنجد الوطاسيون بملك البرتغال جوان الثالث سنة 1547 فحيلهم على كارلوس الخامس ، فلا يهتم هذا لانشغاله بمشاكل اوروبا ، فلم تمض سنتان حتى كان نجم الوطاسيين قد افل وقويت شوكة السعديين واصبح لهم من النفوذ ما لم ير معه البرتغاليون بدا من الانسحاب الى طنجة والجلاء عن اصيلا (1549) حتى لم يبق لهم في منتصف القرن السادس عشر غير سبتة وطنجة في الشمال والجديدة في الجنوب .

تمهيد لمعركة وادي المخازن

تعد هذه الواقعة حادثا دوليا ومن المعارك الفاصلة في تاريخ العالم . لان القتال فيها كان بين قوتين روحيتين فازت احداهما على الاخرى فوزا مبينا ساحقا .

وبينما كان سلطان المسلمين يضعف في اسبانيا ، اخذت امبراطورية اسلامية اخرى تنشر سيطرتها ويتسرب نفوذها الى المغرب عن طريق تلمسان وتسد طريق الملاحة في وجه السفن الاسبانية والبرتغالية في حوض البحر الابيض المتوسط والمحيط الاطلسي ، فاذا بئس البرتغاليون والاسبانيون من القضاء على اعدائهم العثمانيين فلا اقل من مهادنتهم وتجريد حملة صليبية على المغاربة جيرانهم .

تأسست دولة السعديين على اساس من الشعور باليفض الشائع وقتذاك بين المغاربة نحو البرتغاليين سادة الشواطىء المغربية في الغرب ونحو الاسبانيين المعتصمين بالمرافىء في الشمال خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، فقاوموهما معا كما قاوموا النفوذ التركي للمحافظة على استقلالهم الديني والسياسي .

نشأ ابو مروان عبد الملك المعتصم بالله ابن محمد الشيخ السعدي نشأة تركية وراى نفسه احق من ابن اخيه ابي عبد الله محمد بملك المغرب فدخل اليه على راس اربعة آلاف من الرماة الاتراك بالبنادق سنة 1576 وعهد لاخيه ابي العباس احمد المنصور بمطاردته حتى التجأ محمد الى باديس حيث يعسكر جنود فليبي الثاني فطلب ملك اسبانيا أن يعينه على استرداد ملكه من عمه دون جدوى لانشغاله بمحاربة البروتستانت ومن بقي من المسلمين في اسبانيا ، فانتقل الى طنجة يلتمس معونة دولة البرتغال فأصغت له وظهر لعاهلها سبستيان أن الفرصة مواتية للانقضاض على ما بقي من المغرب . اما عبد الملك فانصرف الى تنظيم قواته اداريا وعسكريا ساعيا الى مسالمة جيرانه ليتفرغ الى تدعيم ملكه وتثبيت اركان مملكته متخذا أسره الضابط « فرنسيسكو الدانا » رسولا يعرض على سبستيان استعداده للسعي في هدنة بين آل عثمان والبرتغال التي طالما تمناها ، وكان يعوق سبيلها الجزائريون والاندلسيون الناقمون ، ثم أرسل اليه مع « سونيكا » الضابط الاسير كتابا يحذره من الوقوع فيما لا تحمد عقباه ملتمسا تعيين مندوب عنه للمفاوضة ، ولم يكتف بهذا ، بل أوفد صديقا له اعتنق الاسلام اسمه « اندريا كاسيارو » فيقول لسبستيان أن عبد الملك يمنحك اثنين وعشرين

كيلو مترا لتوسيع مناطق النفوذ البرتغالي في سبتة وطنجة والجديدة اذا انت اعرضت عن مشروعك ، ولكن عاهل البرتغاليين أبى واستكبر وظن ان مطلب جاره نتم على ضعف ظاهر . وهذا ما أبداه لجدته كاطالينا ولعمه الكردينا انريكي وغير من المشارين في البلاط الملكي حينما حذروه نتيجة فشل المشروع اما جدته فماتت من شدة الغم ، وأما فيليبي الثاني فقد ارسل الدوق دي مدينة سالم يعزيه في جدته ظاهرا ولحمله على العدول عن تجهيز الحملة باطنا . فلم يبق أمام عبد الملك بعد هذا الا ان يعد التدابير الدفاعية اللازمة لمواجهة الخصم العنيد ومقاومة الغزو الخارجي . فجند في تلمسان قوات الناحية الشرقية وحشد اخوه احمد المنصور قوات الجنود فاجتمع له خلق كثير يبلغ تعداده مائة الف نفس جعل منها حاميات الثغور لمواجهة نزول الغزاة الى البر ، وكان على علم تام بحركات الاسطول البرتغالي بواسطة الجواسيس من البرتغاليين ، فان احدهم ابحر من ميناء لاكوس حاملا نبأ العمارة الكبرى ، وما ان بلغه خبر نزولهم حتى أمد جيش في القصر الكبير وارسل اخاه على رأس ستة آلاف فارس الى اصيلا لمناوشتهم دون ان يواجههم وجها لوجه .

جيش عبد الملك

امتاز جيش عبد الملك بممارسته للحرب مع العربيين أولا ثم الوطاسيين والاتراك والبرتغاليين من بعدهم ، وتنظيمه الدقيق المقتبس من جيرانه الاتراك في الجزائر . ولم يعد المغاربة في هذا الوقت يهابون الفرسان البرتغاليين بدروعهم الفولاذية .

وكان مؤلفا من المهاجرين الاندلسيين والعلوج وخلق كثير يدعى جند الروم وعدد لا يحصى من الفرسان المدربين على خيل الحرب جاءوا من سائر بقاع المغرب .

اما ابو عبد الله محمد فاستقر به المقام في سبتة مع مائة من أنصاره يتصل احيانا باصحابه القدماء ويعلق بأذيال سيستيان عن طريق حاكم سبتة « دوارتي دي منيزس » في كثير من الاحيان .

وفي هذه الاثناء سلم مدينة اصيلا وكان يحكمها احد رجاله الى حاكم سبتة لينفذ البرتغاليون منها الى الداخل . وكان 17 يوليو سنة 1578 يوم الاحتفال الرسمي في كاتدرائية لشبونة ، بارك فيه كبير الاساقفة العلم وسلمه سيستيان بعد ذلك الى القائد لويس دي مينزس ، ثم انتقل الملك وحاشيته بعد الاحتفال الديني الى حيث يرسو الاسطول ، وكان مؤلفا من ستمائة نقالة بقيادة « ديكو دي صوصة » وخمس سفن حربية وعدد آخر من العراكب يتراوح بين الاربعين والخمسين .

وقبل ان يتحرك الى ميناء لاكوس اتجه سيستيان الى قادس فوصلها في اليوم السادس والعشرين وقضى اسبوعا أكرمه فيه دوق مدينة شذونة حاكم الاندلس باسم الملك فليبي الثاني ولح عليه يريد ان يستبقيه عيشا ويسلم مقاليد الحملة الى القواد .

وفي اليوم الثالث من يوليو ابحرت قطع الاسطول محاذية للشواطىء المغربية حتى نزل سيستيان في طنجة في اليوم السادس ، ثم واصلت سيرها الى القرب من المنار حيث ينتظر ابو عبد الله محمد على رأس أربعمائة فارس وثمانمائة رام لحماية الاسطول برا الى اصيلا ، وفيها بقي الجنود ثمانية عشر يوما يضعون المخطط للاستيلاء على العرائش ، فبعضهم يرى دخولها من البحر والبعض الآخر يفضل اخذها من البر ، وفيها تقدم سفير ملك الاسبان « دون خوان دي سليبا » واهدى سيستيان الخوذة والقناع اللذين كانا لجده كارلوس الخامس في حروب تونس .

حالة الجيش البرتغالي قبل المعركة

بعد ان وزعت على كل جندي في اليوم التاسع والعشرين من يوليو مؤونة تكفيه ثمانية ايام ، تحرك الجيش مؤلفا من ثمانية عشر الف جندي من المشاة والف وخمسمائة فارس وثلاثين مدفعا يبحثون فلا يجدون ماء ولا ظلا في اشد ايام القيظ فضلا عن الغارات التي يشنها احمد المنصور على الجنود المحملين بالاثقال ممن لم يمارسوا فنون الحرب وضروب القتال ، وكان ابو عبد الله قد وعد البرتغاليين بثورة المغاربة جميعا في وجه عمه والانضمام اليه فزاد في ورطتهم واضعاف همتهم ان شيئا من هذا لم يتحقق ، فلم يبق الا ان يقسموا معسكرهم في ثاني اغسطس بالقرب من ضفة وادي المخازن ، فالف « الدوقي دي آفيرو » من ثلاثمائة فارس فرقة

للاستطلاع فوجد على الضفة الاخرى المغاربة بجيشهم العظيم يستعدون للساعة الفاصلة . وكان لكلا الجيشين مركز حربي مناسب ، يحمي مؤخرتهما وافد من روافد نهر لكوس ، وكل من اتخذ خطة الهجوم اضاع ذلك الامتياز ، الا ان مركز الغزاة كان اخطر لضعف فرسانهم ونفاذ المؤونة في خمسة ايام وانعدام الحماس فيهم واختلاف الاجناس وتباين اللغات بين صفوفهم . وكما أن المغاربة عرفوا نقصان المواد الغذائية لدى أعدائهم كذلك انتظر الغزاة وفاة عبد الملك بعد ان انتهى اليهم خبر مرضه لعل فيها مخرجا من المازق الذي وقعوا فيه .

الجيش البرتغالي

وفي الساعة العاشرة من يوم 3 اغسطس سنة 1578 خاض الجيش البرتغالي الميدان يساعده الايطاليون والفشنياليون والالمانيون ومن التحق من الخونة بابي عبد الله المخلوع بقودهم جميعا « وارتو دي منيزس » و « اركوليس » و « آكيلار » و « كودوى » و « توماس دي استرلنس » و « الدوق دي افيرو » و « مرتين دي بركونية » وكان سبستيان الى جوار حامل العلم لويس دي منيزس عن يسار القلب يحيط به سفير اسبانيا وعدد من ارهبان والنبلاء البرتغاليين .

الجيش المغربي

وهناك على الضفة الاخرى جيش اسلامي في شكل هلال يتحفز للدفاع يؤلف فرقة من ثمانية عشر الف من مشاة القبائل والاندلس والعلوج وثلاثة وستين الف فارس وثلاثين مدفعا وخمسة عشر الف من جند أتروم غير النظاميين بقودهم احمد المنصور وعلي ابن موسى والحسين الطج الجنوي وابي علي القتوري وسعيد الدكالي وابراهيم السفياني وحازم المقدوني ومحمد بن علي بن ريسون . وتوسط الجيوش عبد الملك محمولا على محفة يحيط به مائة من الاتراك ومائة من العلوج بقيادة مصطفى رضوان ومحمد ابي طيبة ، وهو على برتغالي ، ورفعت الاعلام في الامام وحمل الفقهاء المصاحف في الاطراف يتلون القرآن ، وبقي في المؤخرة رجال عهد اليهم بالتطبيل والتزمير .

التحام الجيش :

وقبل ان تحين الساعة العاشرة وقت ابتداء المعركة يوم الاثنين متم جمادى الاولى سنة 986 الموافق ليوم 4 اغسطس 1578 اشار سبستيان الى القسس اليسوعي البخاندرو فرسم هذا الصليب بيده وازاح الفرسان اقنعتهم وركع المشاة في صمت عميق رهيب ، ثم كان الصدام الاول افرغ المغاربة ما في جعاب المدافع من قنابل في وجه العدو الذي فزع لها . وكان الضحية الاولى قائد الحرس الملكي فتبعهم الفرسان باطلاق الرصاص من بنادقهم ، ثم اشتبك الفريقان بالسلاح الابيض دون استعمال المدافع وسلاح الفروسية استغلالا مطابقا للنظام العسكري . وفي عنفوان المعمعة امتطى عبد الملك صهوة جواده يلهب الحماس في نفوس المقاتلين حتى نقل عليه المرض وانحنى راسه على صدره فاقد الروح واصبعه على شفتيه كانه يوصي بعدم افشاء سر موته وكذا اخفاه قائده وصفيه مصطفى رضوان بادخال راسه في المحفة التي نقل اليها سيده موهما انه يتلقى التعليمات والاوامر منه الى ان يتم النصر النهائي للمغاربة .

اما سبستيان فقد قاوم حتى بدا وجهه ملطخا بالدماء من اثر الجراح وسقوط كثر من الجياد التي كان يمتطيها وكانت بوادر الهزيمة تظهر تدريجيا على الفرسان البرتغاليين اولا وعلى المشاة ثانيا بعد قطع خط الرجعة عليهم ، ثم سمعوا انفجارات اهوت بجسر على وادي المخازن فانتشر الذعر والفزع في الصفوف المعادية وارتفعت الاصوات وساد الضجيج ميدان القتال فحارب الجنود البرتغاليون المحنكون الى النهاية وأسر غيرهم ممن تنقصهم الخبرة وغرق نحو عشرة آلاف من الباقين .

وفي الساعة الرابعة كان كل شيء قد انتهى لمصلحة الجانب المغربي وسقط في الميدان ثلاثة ملوك استشهد عبد الملك وهو يدفع عن وطنه بلاء الغزو الاجنبي ، وقاتل سبستيان قتال الابطال ـ كعادة الفرسان ـ حتى غرق في الدماء المتبعثة من جروحه .

وعوقب ابو عبد الله محمد « المخلوع » بالموت غرقا جزاء غدره واستعانته بالعدو على غزو بلاده .

أحمد مدينة

المراجع :

(1) فرناندو كرانثا في عدد مارس من مجلة (افريكا) الصادرة في عام 1935 .

(2) اعداد من مجلة (موندو) 74 و 76 و 81 و 84 (941) و 18 و 95 (1942) .

(3) العدد 30 من مجلة (الانوار) الصادرة عام 1952 .

ابحاث ودراسات

- حلف الشيطان في وثائق التاريخ
- همسات ولمسات
- الزبرقان
- الشكوى في شعر ابن زيدون
- مقابلة مع ثروت اباظة
- مستقبل الشعر ذي الشطرين
- مع الشاعر الغزال
- ازمة فكر أم فكر ازمة ؟
- منهجية تدريس اللغة العربية ـ 4 ـ
- الوجادات

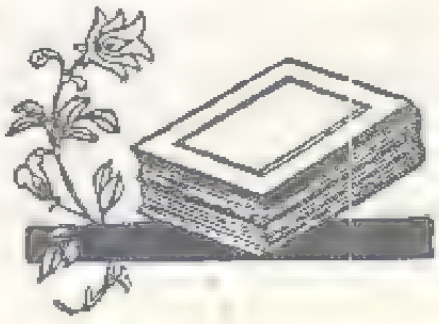

صاحب السوانح
في ذمة الله

توفي الى رحمة الله تعالى الشاعر المغربي الكبير الاستاذ ادريس الجائي احد رواد الحركة الادبية بالمغرب مخلفا تراثا شعريا غزيرا قليله منشور بين دفتي ديوانه الاول « السوانح » الصادر عن المطبعة الملكية بالرباط ، وكثيره مخطوط ومنشور في بطون الصحف والمجلات على مدى ثلاثين سنة او تزيد او مسجل بالاذاعة المغربية التي كان يعمل منتجا بها منذ ما قبل الاستقلال ، واستطاع بواسطة برامجه الادبية أن ينشىء أجيالا على حب الشعر العربي الفصيح والتعلق بالثقافة العربية الخالصة .

والشاعر ادريس الجائي ينتمي الى المدرسة الاصيلة في الشعر العربي المعاصر ، وهو الى جانب مساهمته في تجديد القصيدة العربية واثرائها بتجارب فنية ذات مفعول ظل دائما وفيا للبيت العربي وقواعد الخليل والثقافة الشعرية الضاربة في اعماق الوجدان العربي الاصيل .

وقد سجل شعره مختلف أطوار كفاح الشعب المغربي من اجل الحرية والانعتاق ، وقد انصفه الاستاذ عبد الله كنون في مقدمة ديوانه « السوانح » مبرزا مكانته الرفيعة في الادب المغرب المعاصر الى جانب كبار الشعراء .

ويتضمن ديوانه « السوانح » ثروة شعرية زاخرة بروائع المعاني والاخيلة والصور الجميلة المعبرة بصدق عن فحولة الشاعر وقدرته على الغوص الى اعماق النفس الانسانية .

و « دعوة الحق » اذ تنعي الشاعر الكبير الاستاذ ادريس الجائي الى عشاق الضاد ومحبي القريض في كل مكان من دنيا العروبة والاسلام تتقدم الى عائلته بالعزاء الصادق ومتمنياتها بالصبر والسلوان ، وانا لله وانا اليه راجعون

حلف الشيطان فى وثائق التاريخ

للدكتورة بنت الشاطئ

أتابع النظر من الموقع الفكري فى وجودنا التاريخي، التماسا لما يعوزنا من وضوح الرؤية لابعاد المأساة .. وضياع الرؤية التاريخية ، اذ كان عن جهل بأحداث ملقاة فى منطقة الظل . ليس اخطر علينا من خطأ الفهم وزيغ النظر وزيف التفسير ، تؤخذ فيه بتأويلات مدسوسة واوهام شائعة ، فيختل بها ادراكنا لواقع وجودنا ، وتضل أحكامنا .

وقد راجت فينا اقوال عن النحلة البهائية فى سعة افقها ورحابة المجال الانسانى لدعوتها .
فماذا تقول وثائق التاريخ ؟

اوثر هنا أن اقدم من وثائقه عن البهائية ، شهادة شهود من اهلها ، ليسوا مظنة اتهام بالتعصب ضدها أو الافتراء عليها والكيد لها ..

لقد وقفت طويلا احدق فى هذه النحلة التى حملها اليهود من شيراز الى جبل الكرمل ، تحف بها اسرائيليات الاحبار مبشرة بمبعث | لتبى الفارسى الجديد لتطهير القدس | وتحدد القرن التاسع عشر للميلاد ، موعدا لظهوره .

اليوم اطيل التأمل فى تفسير هذا الوقف الغريب الذى كلف بنى اسرائيل أموالا باهظة .
وجه الغرابة فيه ، أنه ضد الجبلة اليهودية فى وثنيتها المادية ، فكيف هان عليهم أن يفتحوا خزائن المال لبث الدعوة البهائية على النطاق العالمى ، وأن يبذلوا التبرعات السخية لبناء مؤسسات البهائية ودور عبادتها في اشيكاغو وشيكاغو وسان فرنسيسكو ، وتمويل بعثات اليهوديات الامريكيات | للحج الى جبل الكرمل والحظوة بلقاء النبى عباس افندى عبد البهاء ، ونيل بركته ، والتقاط درر الحكمة الالهية الموحى بها اليه | بنص عبارة المستشرق اليهودى « جولدتسيهر » ؟

غير معقول ان يبذل يهودى درهما او بعض درهم ، لوجه البر والخير وانما كان البذل والانفاق ، انفاذا لحلف الشيطان بين بنى اسرائيل ورؤوس البهائية :

يؤيدون نبوتهم المدعاة ، ويبثون الدعوة لنحلتهم فى المحافل الماسونية ودوائر الاستشراق والمؤتمرات الدولية للاديان ...

ويؤدى البهائيون دورهم المرسوم ، جنودا عملاء لخدمة مآرب بنى اسرائيل : يكيدون للاسلام ويظهرون بنسخ شريعته وكتابه ، وينبثون فى كيان امته ذرائع تخريب وتدمير ، ويبشرون بتطهير ارض الميعاد ، ويتنبأون بظهور مملكة بنى اسرائيل .

وكان « بهاء الله ، خليفة الباب » اول من باع نفسه علنا للشيطان . فدخل فى حلفه يؤازر الاستعمار الصليبى لحساب الصهيونية التى تواري خلف الستار تحرك اقطاب الغرب على المسرح الكبير ، تهيج المطامع الاستعمارية فى خيرات الشرق ، واستعباد شعوب امته التى اعزها الاسلام

فاخذت لدى قرون مركز السيادة والمنعة ، والقيادة ومن عليها بعقيدة التوحيد التى لا تدين بعبودية لاى مخلوق ، وحملها امانة الانسان وتكاليف حريته . لا يعبد الا خالقه وحده . وجمعها على قبلة واحدة يولى المسلمون وجوههم شطر المسجد الحرام حيثما كانوا ، فى تنزيه مطلق لا يلتبس باى مظهر بشوب التوحيد .

وجاء « بهاء الله » فدعا الى عبودية ذاته ، وحول القبلة الى حيث يقيم : [اذا تحرك من موضعه تحركت معه القبلة حتى يستقر] واعلن من تعاليم نحلته الناسخة للاسلام ، ابطال صلاة الجماعة ، واسقاط تكاليف الحرية ، وامانة الانسان ، فزين لاتباعه اصر العبودية لتهون عليهم اغلال الاستعمار . وزعم لهم ان الحرية السياسية التى تلهج بها شعوب الشرق الاسلامى فى مواجهة امواج الغزو الاستعمارى ، ظاهرة حيوانية لا تليق بالانسان الذى تطور وارتقى عن حيوانيته او بنص عبارته فى [كتابه الاقدس] :

ان كثيرا من الناس يتوقون للحرية السياسية ويمجدونها . ولكنهم فى ضلال مبين . اذ الحرية تحر فى ذيولها الفوضى التى لا يخبو ما تشعله من نيران الفتن والاضطراب واعلم ان الحرية بدا ظهورها فى عالم الحيوان . ولكن الانسان يجب ان يخضع للقيود التى تقيه شر همجيته وشر المفاسد التى يرتكبها الخونة والمجرمون . وفى الحق ان الحرية تقصى الانسان عن مقتضيات الاخلاق والنظام .

فى عهد ولده وخليفته « عباس أفندى عبد البهاء » كشفت اليهودية عن وجهها الصهيونى ورسمت فى مؤتمر بازل ، خريطة مملكتها من النيل الى الفرات . فدخل العبد خليفا للشيطان فى التآمر على « الرجل المريض » وسعى سعيه لاسقاط الخلافة الاسلامية مدخلا لليهودية الى ارض الميعاد .

وقد بدأت البهائية [جهادها المقدس] فى هذا الموقع ، منذ بث فيها عبد البهاء ما تلقى من نفث الشيطان فى [سورة الملوك] التى حمل فيها بأشد وطأة ، على سلطان تركيا لانه فرق بين طوائف السكان فى الحقوق والواجبات ، فجعل للمسلمين منهم ما ليس للهود !

وكان مقر البهائية فى جبل الكرمل ، وكرا لدعوس حلف الشيطان ، حيث استقبل عبد البهاء فى السنوات من 1909 — 1912 زعماء الصهيونية وعملاءها . وفيهم من تولوا المراكز القيادية عند قيام اسرائيل ، بشهادة [مجلة الاخبار الامريكية : لسان المحفل العالمى للبهائية] اذ نشرت فى عددها الخامس لسنة 1951 ما نصه :

[لقد عرف ايادى امر الله اعضاء المجتمع البهائى ، الى رئيس الجمهورية الاسرائيلية والسيدة عقيلته فى المركز العالمى . وقد ذكر جناب الرئيس وكذا السيدة عقيلته ، زيارتهم لمولى امر الله العزيز ، وطوافهم بحقول وبساتين جبل الكرمل فى سنتى 1909 ، 1911 واجتماعهم بحضرة عبد البهاء .] ثم كانت الحرب العالمية الاولى ، فرصة لولاء البهائيين الذين عينوا فى عكا وحيفا ، لاتهالك الرجل المريض وتفعه حثيثا الى ازمة الاحتضار . وتسجل وثائق المرحلة ، ان مراكز البهائيين فى فلسطين كانت اوكارا للجاسوسية .

ومع بوادر السقوط ، لم يعد البهائيون يبالون كتمان دورهم ، فكان ان قرر السلطان بمشورة « جمال باشا » صلب عبد البهاء واتباعه فى جبل الكرمل . لكن زعماء الصهيونية بادروا الى نجدته ، فضغطوا على القيادة الانجليز لانقاذ حليفهم وجنده . وهو ما اعترف به « شوقى أفندى » حفيد عبد البهاء ، فكتب فى المجلد الثالث من كتابه [البديع] :

« من المناسب أن ندرج هنا هذا الجهود التى بذلت عند محاصرة مدينة حيفا ، للحفاظ على حياة أهل البهاء . فعندما ظهرت بوادر الخطر ، ارسل اللورد كرزن على جناح السرعة ، تقريرا الى وزارة الخارجية البريطانية يلفتها الى اهمية حفظ حياة عبد البهاء المقدسة . ويوم وصول التقرير ، أوعز اللورد بلفور الى الجنرال اللنبى بوضع كل امكانياته وصيانة حضرة عبد البهاء ورفاقه . فابرق الجنرال بعد فتح حيفا الى لندن ، بطلب اعلان بشرى سلامة الذات المباركة .

ثم يعرب شوقى أفندى عن فرحة البهائيين بخلاص الاراضى المقدسة من الدولة الاسلامية ، وابتهاجهم بنور الاحتلال البريطانى الذى كفاهم على خدماتهم الجليلة . قال :

(وعلى أثر الاحتلال البريطاني للاراضي المقدسة، تمكنا من التخلص من المخاطر الجسيمة التي كنا نتعرض لها خلال 65 سنة من الحياة المنورة للشرع البهائي القدير وانجلى بدر الميثاق الذي كان مخسوفا بالمحن والبلاء ، وتجلى امر الله من جديد)

وأثر قيام اسرائيل بادر شوقي افندي حفيد عبد البهاء وخليفته الى نشر نبوءات حليف الشيطان ، في كتابه (التوقيعات المباركة) :

(لقد تحقق الوعد الالهي لابناء الخليل وورثة الكليم ، واستقرت الدولة الاسرائيلية في الاراضي المقدسة ، وأصبحت العلاقات وطيدة بينها وبين المركز العالمي للجامعة البهائية ، واعترفت بهذه العقيدة الالهية) .

وفي عدد شتنبر 1951 من (مجلة الاخبار الامرية) نص حديث لرئيس القسم العالمي للبهائية، في لقائه مع وزير امور الاديان في اسرائيل . قال :

(وقد كتب حضرة عبد البهاء ، قبل اكثر من خمسين سنة ، انه في النهاية ستكون فلسطين موطنا لليهود . وهذا الوحي طبع في حينه وانتشر)

وأتابع القراءة في وثائق قسمها مندوب ايران الى الندوة الاسلامية بمكة المكرمة قبيل موسم الحج لسنة 1392 ، قارئ الوثائق مشدودا بين البهائية وهذه المملكة التي تشاوا بقيامها . فمن سنة 1950 ، اخذت (مجلة الاخبار الامرية) تزود قراءها بجديد اخبارها السارة مع بني اسرائيل .

في العدد الخامس من سنة 1951 ، نشرت بعنوان : « امر يستحق الانتباه » أن خبر انعقاد الجمعية البهائية ظهر في جميع الصحف الاسرائيلية، واذاعته الاذاعة من تل أبيب عدة مرات ، مع تقديم التهاني الى البهائيين لمناسبة أعياد نوروز ورضوان :

(وقد عبر ممثلو البهائية العالمية عند اجتماعهم بالرئيس بن جوريون ، عن امتنانهم للمعاملات الودية للحكومة الاسرائيلية مع البهائيين) .

(ولم تقتصر اسرائيل في الوفاء بحق حليفها : انقذته من سيف الجلاد ، وايدت نبوة رسلها ببشريات من اسفار العهد القديم ، واعترفت باصالة واستقلال هذه العقيدة الالهية وأقرت بها لتسجيل عقد الزواج البهائي ، والغت جميع الاوقاف ــ الاسلامية ــ في مروج عكا وجبل الكرمل ، لبناء المقام الاعلى ، وأقرت بصورة رسمية الايام التسعة المباركة لمعتنقي الشرع البهائي القدير المتيسر) .

= * =

نصوص الوثائق ، في غنى عن التعليق ، فحسبي ان تكفي شاهدا على ما يعوزنا من وضوح الرؤية لابعاد المأساة .

وفي العدد الرابع لسنة 1953 ، امر الى جميع المحافل البهائية في العالم ، بتاسيس فروع لها في اسرائيل ، طبقا لخطة المحفل الاكبر .

ونشرت المجلة في العدد العاشر من السنة نفسها ، بعنوان : « بشارة عظمى » ، خبر اعتراف الحكومة الاسرائيلية بفرع المحفل البهائي الايراني .

(وقد قال الهيكل المبارك ان لهذا الامر اهمية كبرى : فللاول مرة في تاريخ هذه العقيدة ، يسجل فرع لها في بلد يعترف به رسميا ، مع ان اهل المحفل في مؤسسته المركزية (بايران) لم يعترف به ، ولم يسجل وليست له شخصية قانونية) .

وفي حديث صحافي لزوجة شوقي افندي وزعيمة البهائيين بعده « روحيت ماكسويل » تفسير لمنطق هذا الحلف بينهم وبين اسرائيل ، نشرته مجلتهم في العدد العاشر من سنة 1961 :

(فان كان من المقرر لنا الاختيار ، فمن الجدير أن تكون هذا الدين الجديد ، في احدث دولة يتنوزع نبيا .. وفي الواقع يجب ان اقول : ان مستقبلنا ودولة اسرائيل ، كحلقات السلاسل متصل بعضها ببعض) .

همسات ولمزات ..

للأستاذ محمد بن تاويت

اذكر ، ونحن طلبة بالسنة الرابعة من كلية الاداب بالقاهرة ، ان احدهم نبه استاذنا احمد امين ، رحمه الله ، وهو يحاضرنا في الادب العربي بالعهد الفاطمي ، ويتعرض للشيعة وفرقهم وعقائدهم ، نبهه – منفردا به – الى ان فينا طلبة شيعة من العراق . . .

فما كان من استاذنا ، وقد عاد بعد ذلك الى المحاضرة ، الا ان ذكر لنا هذا التنبيه ، بكثير من الاستغراب له ، قائلا في مبالغة ، لم تسرني آنذاك : «يجب ان تخلعوا عنكم مسوح العقيدة عند باب الكلية»

والحق ان هذا ما يجب للعلم وعلى المنتمين اليه ، فهو حق ، والله لا يستحيي من الحق ، وهو سلطان طاغ ، ولهذا قيل ، « ان للعلم طغيانا » فالكلمة الاولى له والاخيرة كذلك ، وما احرى رجاله ان يفصحوا عنه وبه ، فلا تاخذهم في حقه لومة لائم اقول هذا ، وقد اسر الى بعض الفضلاء من الاصدقاء ، بان فلانا – وهو منهم – نسر بعض الكتب ، ملحدا في كل كلمة تنتهي بالالف ، الالف المستطيلة ، من غير تفريق بينها وبين الممالة .

فقلت له ، لعله لم يراع مبدا الامالة التي رعاه السابقون ، او انه فاته كذلك ، فقال كلا ، انه ابن القرويين . وكأني كنت ساهيا ، فرجعت بي هذه الكلمة ، الى ذكرى مرت عليها اربعون سنة بل يزيد وانا اقتني كتابا كان مقررا باحدى سنوات الثانوي للقرويين ، وهو « دروس في التاريخ الاسلامي » للخياط ، رحمه الله .

فقد اشتريت هذا الكتاب، من المزاد الذي كان يقام اثر كل صلاة جمعة ، على الكتب بمصلى الجنائز من جامع القرويين ، وكان هذا الكتاب ، في ملك صديقنا التلميذ عبد الوهاب بن منصور ، الذي لاشك انه قد استغنى عن كتابه باجتيازه لامتحان هذه السنة (ونسلم فيه خمسة وعشرين فرنكا مني)

وعادت بي ذاكرتي ايضا ، الى سبع عشرة سنة ، حيث التقيت بصديقي على باب كلية الادب بالرباط ، فقلت له : ما ذا تصنع هنا ؟ فاجاب بالمثل المغربي « حتى شاب عاد علقولو الحجاب » مفسرا ذلك ، بقوله « جئت لامتحن » . . .

اعتقد ان الامتحان ، كان لنيل شهادة الاجازة العالمية ، وان الممتحنين ، كان فيهم المرحوم ، الحسين ابن البشير ، ومحمد ابن عبد الله ، مد الله في عمره .

واقول « اعتقد » بمعنى « اظن » لاني ما سالت ، فيم تمتحن ، ولا استعلمت ، من الممتحنون ، بل اكتفيت ، بقبول هدية « سيجار فاخر » ، قدمه الي الصديق ، بعدما سالني : اتدخن السيجار ؟ لانه لم يكن يدخنه ، وقدم اليه كما قال ، فاحتفظ به . . .

هذه ذكريات ، وقد صارت الذكريات تاخذني ، واميل اليها وانس بها ، وهي على كل حال ، لها حيزها ، الذي نامل ان لايضاق به ومنه صديقنا ، والا كنا له معتذرين .

ومضت ايام استطعت ان احصل على جل منشورات الاستاذ عبد الوهاب ابن منصور ، فكان فيها « الانيس المطرب » وابتهجت بالحصول عليها وما فتحت هذا الكتاب ، حتى علت ابتهاجي فترة من الغم والهم ، وهممت باعادة الكتاب الى صاحب المكتبة ولكن الفهارس ، التي اصبحت مفاتيح الكتب ، جعلتني اتريث ، على مضض مني . . .

فقد دهمني هذا الكتاب بالخاته الطويلة التي نزلت على راسي وكانها عصى قوية لنشر دماغي ، وكأني ما تصورتها يوم قبل لي عنها ، حتى داهمتني وجها لوجه ، فكانت مداهمة الصواعق والفواجع الكبار ، كما صورنا وما ادينا حق التصوير . . .

وزادنا هما وغما ، تكراره في منشورات اخرى مثل اخبار المهدي للبيدق ، وجذوة الاقباس لابن القاضي ، والذخيرة السنية وان الاستاذ ، اعتبر التفريق « لاخطاء لا موجب للاستمساك بها وان مضا (كذا) على العمل بها زمن طويل »

فقد اعتبر هذه التفرقة بين الالفين من تضليل « الاخطاء » التي وقعت الكتابة العربية فيها قديما ، كما قال ، بمعناه . . . وليس الامر كذلك ، فالكتابة العربية ، ما وقعت في خطأ بهذا ، بل انها كانت دقيقة في التفرقة بين الالفين ، حيث سمت احداهما ، بما لم نسمع تلقينه لنا في « المسيد » بانها الف « الامالة »

فالامالة اذن هي التي فرضت وجود هذه الالف في نحو «رمي » و « موسى » و « بلى » و « اولى » وامثلتها او ابتعدت عنها في نحو « رنا » و « عما » و « بلا » من البلاء ، و « اولا » اسم اشارة .

ولا اكتم القارىء الكريم ، ان ادراكي عجز ، عن فهم الشكاوي التي تقدم بها من يتظلمون من الكتابة العربية ، للغة العربية نفسها بينما لا يشكوها ، من يكتبون بها لغات غير عربية ، كالفارسية والافغانية والاردية وغيرها .

وغير الكاتبين بها ساكتون على بلواهم ، كما نرى ، سعداء بكتابتهم ، على الرغم مما تتعرض له من اختلال بين مختلف شعوبها واممها لنماخذ مثلا ، كلمة Singer التي تعيش معنا ، وتماسينا بها التلثزة ، فالكتابة واحدة ، ولكن الاسباني ينطقها « سنخير » والفرنسي ، ينطقها « سانجي » بامالة الالف ، حسب قاعدته المتبعة في كتابته،اما الانجليزي فينطقها « سينكر » بفتح الكاف المشددة ، والانجليزي هذا هو صاحب الكلمة التي سمي بها هذه الالة ، يعني بمعناها « المغني او المغنية » مشبها صوت الالة بالغناء

فالكلمة في كتابتها متحدة ، ولكنها في نطقها مختلفة تمام الاختلاف ، خضوعا للقاعدة المختلفة بدون مراعاة لمعناها الاصلي. كما حصل في نحو
Gasoil Mobiloil الانجليزيتين اللتين ينطقهما الفرنسي ، نطقا مختلفا عن اصله مراعاة للكتابة واهدارا للمعنى . . اما الكلمات التي اصلها واحد وتصرفت في نطقها والكتابة لها كل امة حسب ما رات ، فهي كثير في هذه الشعوب ، ونكتفي بكلمة « ابريل »

فالاسبانيه تكتبها Abril والفرنسية Avril والانجليزية April وكذلك الالمانيه Aprilis مع ان الكلمة في اصلها اللاتيني واحد

هذا ما يقع منه كثير في الكلمات فتختلف الكتابة ويختلف النطق تبعا لها ، او تتحد الكتابة ويختلف النطق تبعا لكل قانون يختلف في امة عنه في غيرها وقد يكون لغير هذا كله ، مثل الكلمتين
Measure, Tréasure
تنطق السين جيما عند الانجليز لانها تنطقت زايا عند اصحابها الفرنس والزاى قريب من الجيم في النطق وكذلك حصل في غير هاتين الكلمتين بالانجليزية.

اما النطق بالحرف الواحد المتحد والاختلاف فيه كثير كذلك ، مثلا الحرف V يختلف نطقا في الالمانيه عما هو به في باقي اللغات المذكورة فهو بالالمانية ينطق فا . والحرف W ينطق به فيها ، كما ينطق الحرف السابق في باقي اللغات كذلك ، والحرف Z ينطق في الالمانية تاء ملصقة بالسين ، بينما ينطق في الاسبانية ثاء ، وفي غيرها زايا ، والحرف J ينطق في الاسبانية خاء وفي الالمانية يا ، وفي غيرهم جيما وهكذا نجد S لها نطق خاص في الكلمة الفرنسية ، بحسب وضعها فيها وما يجاورها من حركات او سكنات .

يضاف الى هذا الاختلاف فيما نسميه بالحركات اذ نجد « A » في الانجليزية ، تنطق كسرة في نحو « MADE » فهذه الكلمة تنطقها الاسبانية « مادي » وينطقها غيرها « ماد » بينما هي في اصلها الانجليزي « ميد »

ولنقف هنا عند ذكرنا للانجليزية ، فلا نقتحم ناموسها ،والا فاننا سنجد انفسنا امام طوفان من الفوضى في كتابتها التي لا تخضع لقانون ، مما جعل اصحابها ينصون على النطق في كل كلمة كلمة منها، وركب في الانجليزي نقصا وعدم ثقة بنفسه في كتابة كل اسم يعرض عليه فلا يحتشم من ان يسالك « كيف يتهجى » هذا الاسم ، فاذا اتضحت في النطق به ليتمكن من كتابته ، اعاد عليك السؤال : كيف يتهجى ؟

ومع هذه الفوضى العارمة ، فانهم يحمدون الله على نعمة كتابتهم ؛ ولا يشكون ولا يشكون،ويعتبرون؛ من يتدخل في اصلاح طفيف فيها ، متنطعا ، لا يوثق بكتابته ثقة تامة ، بل لا يوثق حتى يلعته اساسا . وهي لغتهم ، لم يقع فيها الا طفيف انحراف كما قلنا عند الامريكان فهل سمعتم بجامعة في العالم ، عهدت بتدريس الانجليزيه الى امريكاني ؟

كلا ، اننا لم نسمع بهذا ، ولم نعرفه الا عند من لا يعرفون من المسؤولين . . .

وبعد فان صنيع صديقنا اضر على كتابتنا ، مما صنعه « اتاتورك » بها ، فهذا تركها وطردها من « حيزة » لغته ، ولم يعبث بها في شيء فكان منه ذلك تسريحا لها باحسان . . .

اما نحن ، فقد اسكناها ثم حرفناها ، وعبثنا بنظامها المحكم مطلقين لانفسنا الحرية التي ليست لنا فلم يكن تمسكنا بها امساكا بمعروف . وهكذا فهم الاستاذ صديقنا ان له من الحرية ما يكتب للنشر وكانه مذكراته الخاصة ، التي يحتفظ بها في درجه مع انه ليست له حرية ، ان ينشر كتابه لعموم القارئين بالعربية ، في غير نظامها المتبع عندهم وهم مئات الملايين من البشر وعشرات الامم من العرب والعجم ، وخصوصا ما كان من ذلك في الكتب التي لها مداستها الزمنية وممارستها المكررة عند اصحابها . .

فتصوروا ، او تجرأ فرنسي مثلا ، على نشر كتاب بالفرنسية ، متتبعا في نظام كتابته ، نظاما غير متبع لقرائها فماذا يكون موقف الفرنسيين منه حكومة وشعبا ؟ اظن انه اقل ما يتخذ في هذا الكتاب ، هو الاعدام . وان كنا لا نريد للكتب التي نشرها الاستاذ ابن منصور صديقنا اعداما ، علم الله منا ذلك ، فاننا حريصون على اقتنائها والاستفادة منها ، خصوصا منها ما كان بعيدا عن المتناول والاستاذ ابن منصور اقدم عن هذا تحقيقا للمشروع الذي كان قد تقدم به منذ سنوات لضبط الكتابة وتسهيل قواعدها للناس ولكن الانسان مهما حسنت نيته ، ومهما كان لا يريد الا الاصلاح ما استطاع ، فانه لا يستطيع ان يغير من خلقة الله التي فطر الناس عليها ، ومنها هذه الكتابة التي هي حق لشعوب يملاون نصف الدنيا . وحتى المجامع العلمية واللغوية ، فانها ما تجرأت حتى الآن لاتخاذ هذه الخطوة الجريئة التي خطاها صديقنا ، في صمت وسلام ، وهمس الناس بها في خوف لا معنى له ، ولا يحبه صاحبنا يقع للناس منه . فهذه الهمس اشبه ما يكون بالهمز، بل انه الهمز نفسه . وويل لكل همزة لمزة . . .

المجتمع له حرمة لا تنتهك ، ونظامه يجب اتباعه بما هو معهود . فكما لا يباح للانسان ان يخرج لشارع لابسا القميص فوق « الجاكط » والتبان فوق « البنطلون » والجورب فوق « السباط » فيعتبر بذلك مختلا يحمل الى مستشفى الامراض العقلية ، كذلك هذه الكتابة لها حرمتها لا تنتهك بين الناس . ولصاحب هذه الكتابة المعدلة ، ان يستعملها كما قلنا في مذكراته التي يحتفظ بها . كما ان للانسان ان يصنع ما يشاء في بيته الخاص ، فيلبس ، فوق ما يلبس تحت ، او يضع على راسه ما يجعل فيه قدميه . فهو حر في بيته يصنع ما يشاء وليس حرا خارجه يصنع في مجتمعه ما يشاء . . .

ولا كانت الفوضى والبلية ، التي اردتها « بلبلة » تكتب بلية . وعي حقا بلية ، وصدقوني اني سرعان ما ابتليت بها ، فقد فتحت احد هذه الكتب ، لا واجه بما جاء في نشرها من هذا القبيل ، قراءنا الكرام ، حتى يدركوا ما ادركني من الذعر ، فصار الامر يختلط على وضربت في امري كنائمة المتنبي التي شككتها الليالي . فاية بلية اذن ، هذه التي اصابتنا ، ولم يرد ذلك صاحبها ، عفا الله عنه وارشده لما فيه الخير الذي يريده ونريده جميعا ، ولا نريد غيره . علم الله اخلاص نيتنا وغيرتنا على صديقنا وعلى كتابتنا معا وقديما قيل « احب الحق واحب افلاطون ، ما اتفقا ، فان اختلفا فالحق اولى لي منه » والسلام على صديقنا الذي نحبه ولا نريد منه ان يظن فينا غير الاخلاص ،

الشكوى
في شعر ابن زيدون

للأستاذ عبد الرحمان الزياني

الحديث عن شاعر عظيم ، كابن زيدون بحتري الغرب ، وشاعره المفلق ، وبليغه المفرد ، ليس بالامر الهين الذي يستوعبه مقال واحد ، أو حديث عابر . . ذلك انه شاعر فحل صاحب مذهب شعري يتميز بسماته وخصائصه ، يحتل به مكانة مرموقة بين شعراء العربية ، وله اطاره بين باقي المذاهب ، او المدارس الادبية الاخرى . . فاذا اضيف الى ذلك ما لعبه ابن زيدون من ادوار مهمة على مسرح السياسة بالفردوس المفقود ، وما ملفحت به حياته من احداث جسام . . وما شغل قلبه الكبير من قيام عارم بولادة . . ازداد الموضوع تشعبا ، وامسى من العسير على المتحدث عن هذه الشخصية الفذة ، ان يدعي الالمام بكل جوانبها في صفحات او بوفيها حقها من الدرس والتحليل في ساعات معدودة ، بل ان ذلك يتطلب الدراسة المستأنية ، والتفرغ الكامل لدراسة الموضوع ولذا فقد آثرت حصر الموضوع في جانب واحد من شعره ، وهو الجانب الوجداني ، الذي عنونته بالشكوى لان الشكوى في شعر ابن زيدون تمثل — في نظري — اروع واصدق ما جادت به قريحة شاعرنا العبقري ، من رائع القول وصادق البيان . . ومع هذا فلا اجرؤ على القول ، او الادعاء بأنني قد استوفيت الموضوع حقه من الدراسة ، او المعت به من كل جوانبه ، وانما هي صور خاطفة ، او سمها — ان احببت — جولة عابرة في رياض ابن زيدون المتمثل في ديوانه ، سوف ننعم خلالها بشذى آسها وياسمينها ، ونتسق من مختلف مشموماتها باقة عطرة الاريج ، فواحة الشذى تنعش منا الافئدة ، وتذكي الوجدان . ! وقبل القيام بجولتنا ، عبر ديوان ابن زيدون ، لا بأس من القاء نظرة خاطفة على حياته ، نتخذ منها مدخلا يساعدنا في موضوعنا ، وينير أمامنا السبيل .

**

فشاعرنا ابن زيدون ينمي الى قبيلة بني مخزوم العربية الاصيلة ، التي أنجبت سيف الله المسلول : خالد بن الوليد ، فهو أبو الوليد احمد بن عبد الله بن غالب المخزومي ، الاندلسي ، القرطبي مولدا ، الاشبيلي وفاة ، عاش تسعا وسبعين سنة ، كانت كلها حافلة بالاحداث الجسام . . تلقى المعارف على كبار علماء عصره ، وظهر نبوغه مبكرا في العلوم الادبية والتاريخية ، كما تنصح عن ذلك رسلتاه : الجدية والهزلية ، اللتان أودعهما خلاصة معارفه في التاريخ والادب ، مما لفت اليه الانظار ، وجعل اسمه يتردد على كل لسان . .

عاش ابن زيدون في عصر انجسار الوحدة الاندلسية ، وعاصر انهيار صرح الخلافة الاموية — 422 — وتقسيم الاندلس الى امارات ودويلات صغيرة ، اصطلح على تسميتها بدول الطوائف ، حيث اصبح على كل قرية امير ، وبكل مدينة ملك ، كلهم يتهافتون على الرئاسة ، ولو لم يتوفروا على مؤهلاتها ! وجميعهم يستهويهم الحكم ولو وصلوا اليه عن طريق الدس والاحتيال ؛ وهمهم جميعا الكيد لجيرانهم ، والدس لحلفائهم ، والوقيعة بالقريب والبعيد من

شركائهم فى اختلاس كراسى الامارة من اصحابهـــا الشرعيين . . مما اضعف قواهم ، واطمع فيهم عدوهم الذي لم يجد ادنى صعوبة فى ضرب بعضهم ببعض . . تمهيدا لابتلاعهم على ممالكهم . . وقد وفق الوزير الخطير ابن الخطيب السلماني ، حيث رسم لهم فى منظومته التاريخية : « رتم الحلل » هذه الصورة الكاريكاتورية الســـاخـــرة :

حتـــى اذا ملـــك الخلافـــة انتشـــر
وذهب العـــين جميعـــا ، والاثـــر

قـــام بكـــل بقعـــة مليـــك
وصـــاح فوق كـــل غصن ديـــك . !

بل ، وابلغ من قول ابن الخطيب هذا ، واروع منه تصويـــرا قـــول ابن رشيـــق :

مـــا يزهدنـــى فى ارض اندلـــس
اســـماء معتمد فيهـــا ، ومعتضـــد !

القـــاب مملكـــة فى غيـــر موضعهـــا
كالهر يحكي ـ انتفاخا ـ صولة الاسد !

نعم ، فى هذا العصر عاش شاعرنا ابن زيدون ووسط هذا الخضم من التطاحن والتكالب ، استعجالا لتقويض اركان البلاد ، والقضاء على ما تبقى بايدي المسلمين منها ، نجده يدلي بدلوه بين الدلاء ، ويضلع بسهمه فى زرع بذور البلاء ، فقد ساهم ـ عمليا ـ فى تقويض اركان الخلافة الاموية ، واضطلع بمنصب الوزارة بقرطبة ، فى دولة ابى الحزم بن جهور ، الذي عهد اليه ـ لكفاءته ـ فى السفارة بينه وبين جيرانه من ملوك الطوائف ، فينجح فى مساعيه ، وتزداد حظوته عند سمد البلاط الجهوري وعميده ، مما يؤلب عليه خصومه ـ وما اكثرهم ـ وعلى راسهم الوزير ابن عبدوس ، منافسه الخطير فى حب « ولادة » وتؤدى السعاية ـ ولو بعد حين ـ اكلها ، وتعطى نتيجتها ، فاذا بابن زيدون الوزير اللامع ، لا فى قرطبة وحدها ، وانما فى الاندلس جميعها ، يتحول من الرفعة الى الضعة ومن العز الى الهوان . . يتحول من ابهة البلاط الى غياهب السجن ، الذي قضى بين جدرانه قرابة السنتين كما يفصح عن ذلك قولـــه :

مئـــون من الايـــام خمس تطعتهـــا
اسيرا ، ولن لم يبد شـــد ولا تمـــط .

ولقد صدر علة فى محبسه هذا من حر الكلام ، شعره ونثره ، فى استعطاف سيده واسترحامه ، ما يلين الفولاذ ، ويذيب الاكباد ، دون ان يشفع له شيء من ذلك عند سيده ، الذي قسا ـ والحق يقال ـ كثيرا فى معاملته ، الشيء الذي جعل ابن زيدون يدبر للفرار من محبسه . . ثم ظل مستخفيا بقرطبة مدة ، عـــاد بعدها الى الظهور بعد وفاة ابى الحزم بن جهـــور ـ 443 ـ واسناد الامر لابنه ابى الوليد ، الذي كـــان يقدر ابن زيدون ويكبر مواهبه ، حيث انسح له فى البلاط ، وأوسعه بـــرا وتكريما ، غير ان ابن زيدون لم يستلم لشيء من هذا ، ولم تطب نفسه بالعـــودة الى حياة ذاق مرارتها ، وخبر بلواها ، فعاف حيـــاة البلاط التى لم تجلب عليه الا الشرور ، وضاق بهذا الجو المفعم مكايد ودسائس ، وآثر النجاة بحياته ، ولذلك فقد دفعته الخشية على نفسه الى الالتجاء الى اشبيلية ، مملكة بنى عباد ، حيث فسح له اميرها المعتضد عباد فى بلاطه مكانة تليق بامثاله من النابهين وذوى المواهب ، وظل فى خدمة الدولة العبادية تسعة عشر عاما كاملة ، لم ينج خلالها من عنت الحاسدين ، ولم يسلم من كيد الكائدين ، وعلى راسهم الوزير الداهية ابن عمـــار .

وما ان انتصف شهر رجب من سنة : 463 حتى انطفات شعلة حياة شاعرنا العظيم ، حيث شيع الى مرقده الاخير باشبيلية ، فى محفل رهيب ، تاركا وراءه سجلا حافلا بالامجاد لعشاق البيان الرفيع . .

**

وهكذا قدر لشاعرنا العظيم ان يتجرع الغصص ويعاني الآلام ، وهو لم يطـــو برد شبابه بعد ، لكن كم من نعمة فى طيها نعمة ، ـ كما يقال ـ فقد فجـــرت الآلام ينابيع وجدانه ، حيث وجد من احزانه واهواله مصدرا ثـــرا لشاعريته الخصبة ، وبيانه الرفيـــع ، مخلدا لنا مأساته المحزنة ، وانفعالاته الحزينة فـــى قصائد ومقطعات ممتعة ، يندر ان تعثر على الكثير من امثالهما فى ديوان شعرنا العربى ، على امتداد عصوره ، ولا عجب فى هذا ، فان المصائب والشدائد كثيرا ما تاتي بأروع النتائج ، وخاصة اذا صادفـــت نفسا مرهفة حساسة كنفس ابن زيدون ، الـــذي اعتصرت المحن قلبه ، وصقلت الشدائد شاعريته ، لكن . . لم يكن السجن هو المصدر الوحيد الذى استقى منه ابو الوليد مادة فنه ، بل لقد تعاون السجن والحرمان

على صهره في بوتقة الالم ، وامداده بكل رائع وجميل من القول . . واي حرمان هو .. ؟ انه حرمانه من الخطوة بمجالسة مالكة رقه ، والمستحوذة على لبه ؛ ولادة ، وما ادراك ما ولادة ؟ . تلكم الفتاة الحدب ، التي كان بيتها صالونا كبيرا ، يضم نخبة الادباء ، وعلية الوزراء ، وكانت — هي — مصدر الهام وينبوع وحي لكثير من الشعراء من رواد صالونها ، وعلى راسهم شاعرنا الذي كانت — بالنسبة اليه — مثار ما تحمله من كوارث ومصائب .

الم يكن على حق حينما وصفها بهذه الابيات الرقيقة : (1)

ربيبة ملك ، كان الله انشاه
مسكا ، وقدر انشاء الورى طينا

اوصافه ورقا محضا ، وتوجه
من ناصع التبر ابداعا وتحسينا

اذا تأود آدته — رفاهية —
تروم العقود ، وادمته البرى لينا !

كانت له الشمس ظئرا في اكلته
بل ، ما تجلى لها الا احايينا

كانما اثبتت في صحن وجنته
زهر الكواكب ، تعويذا وتزيينا

ما ضر ان لم تكن اكفاءه شرفا ؛
وفي المودة كاف من تكفينا !

افلا يحق لمتيم فارق حبا نال بعض اوصافه ان يظل موصول الانين ، دائم الشكوى والحنين . . ؟ ناقما على الدهر الذي تجهم له ؟ حانقا على شانئيه وحاسديه . . ؟ معللا النفس بعودة ايام الوصال والمرور ؟ فان كنا في ريب من هذا ، فلنستمع الى شاعرنا في هذه الزفرات الملتهبة :

من مبلغ الملبسينا بانتزاحهم
حزنا مع الدهر ، لا يبلى ويبلينا :

أن الزمان الذي ما زال يضحكنا
انسا بقربهم — قد عاد يبكينا

غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغص . ! فقال الدهر : آمينا !

وقد نكون ، وما يخشى تفرقنا ،
فاليوم نحن ، وما يرجى تلاقينا

يا ليت شعري ، ولم نعلب اعاديكم ،
هل تنال حظا من العتبى اعادينا !

ما حقنا ان تقروا عين ذي حسد
بنا ، ولا ان تسروا كاشحا فينا

لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ،
ان طالما غير النأي المحبينا

والله ما طلبت اهواؤنا بدلا
منكم ، ولا انصرفت عنكم امانينا . !

فاي نفس كبيرة هذه ؟ واي وفاء عظيم ، هذا الذي جعل ابن زيدون يبعث بهذه التحية العبقة ، بل بهذه الانات المضطرمة الى حبيبه النازح ، ورغم ما يكمن صفو سمائه من غيوم ، ورغم ما يلقاه من تجهم الدهر وعبوسه . . ؟ والعراقيل ، ويجعل المرء يستهل في سبيله كل ما يلقاه من عنت الدهر وارهاقه . . ! لقد كان ابن زيدون وفيا في حبه الى ابعد غايات الوفاء ، مخلصا في غرامه الى اقصى درجات الاخلاص . . ، فكم كان يطرق سمعه ان « ربيبة الملك » قد سلت عنه واطرحت هواه . . ونبذت حبه من قلبها نبذ النواة . . لكنه مع كل ذلك لم يكن ليياس ، وما كان ليتسرب اليه القنوط ، وماله ولليأس ، وهو ما يزال يعلل النفس بالآمال ، ويامل ان يجود عليه الدهر الضنين بلقيا الوصال . . ؟ (258)

يا نازحا ، وضمير القلب مثواه
انسنك دنياك عبدا انت مولاه !

للهتك عنه فكاهات تلذ بها
نفيس يجري — ببال منك — ذكراه !

هل لليالي تبتغيني الى امل ،
الله يعلم والايام معناه !

ثم ماذا ؟ ثم ، لقد يبرح الجوى بشاعرنا ، ويشتد عليه الهيام ، فيعيل صبره ، وتذهب به الظنون في حبه مذاهب شتى ، فاذا به يتنفس الصعداء ، فيرسلها صيحة مدوية ، ممزوجة بانفاسه المحترقة ، مشوبة برقيق الاستعطاف . . وهذه نفحات من تلك الانفاس : — 271 —

1) الديوان ص : 6 و 7 وسوف اكتفي فيما بعد بالاحالة الى ارقام صفحات الديوان .

اغالبة عني ، وحاضرة معي :
اناديك — لماعيل صبري فاسمعي !

افي الحق ان اشقى بحبك ، او ارى
حريقا بانفاسي ، غريقا بادمعي ؟

الا عطفة تحيا بها نفس عاشق
جعلت الردى منه بمرأى ومسمع !

صليني بعض الوصل ، حتى تبينني
حقيقة حالي ، ثم ما شئت فاصنع

وهكذا اتخذ ابن زيدون من الهجران والحرمان مادة خصبة ، وينبوعا ثرا للتعبير عن آلامه واشجانه ، مخلفا لنا تلك الصور الشعرية الساحرة التي استمتعنا بقراءتها ، وانتشينا بشذي ، والتي لم اتعمد — شهد الله — اختيارها ، لان ديوان ابن زيدون كله غرر ، وكل صفحاته تطفح بمثل هذه الاخذ والروائع . . ولئن صح لنا ان نجاري ابن زيدون في تواضعه حين استخذى تجاهها ، فاعلن ، في غير ما مواربة ، انه لا يضيره ان يكون غير كفء لها ، ما دام يضمر لها بين جانحتيه حبا عارما ، ويحلها من جنانه السويداء . ! وهذا مما يضمنه هذا البيت :

ما ضر ان لم تكن اكفاء شرفا ،
وفي المودة كاف من تكانيها

. . اذا جاريناه في هذا ، افلا يحق لنا القول بانه بز حبيبته في الشرف ، وتفوق عليها في المجد والجاه . ؟ والا . . انما كان من الممكن ان يعنى التاريخ على ذكر ولادة ، كما عنى على ذكر الكثيرات غيرها ، فلا تتفرج بذكرها شفتان ، ولا يجري اسمها على لسان . ؟ لكن ارتباطها — لحسن حظها — بابن زيدون ، خلدها ابد الدهر ، واضفى على اسمها حلة زاهية من المجد ، ما كانت لتطمع فيها ، لولا ما سيره فيها من بدائع وروائع . . ؟ افلا يكفي هذا لان يجعله — على الاقل ندا لها ، وكفئا لمخالطتها . . ؟

***

تلك ناحية من فن ابن زيدون في الشكوى ، كان الحرمان الوجداني مصدرها كما رأينا ، وقد انتضبت فيها القول انتضابا ، لان روائع ابن زيدون في ولادة كثيرة ، وكلها غرر ودرر ومن أراد المزيد من ذلك فليرجع الى الديوان .

والآن انتقل الى الجزء الثاني من الموضوع ، والذي سيكون مصدر الشكوى فيه — هذه المرة — هو الاضطهاد والبؤس والشقاء ، فقد صهرت الآلام شاعرنا العظيم في بوتقتها ، فذاقته من القصص والارصاب اشكالا والوانا ، وجرعته من لاوائها انواعا وفنونا ، فجهمت له الايام ، وتنمر عليه خصومه العقربه والسياده ، فصوبوا سهام كيدهم نحوه ، واختلقوا عليه الاباطيل والاراجيف ، واعانهم هو على نفسه بما كان عليه من حب الشموف والظهور ، وبما كان يقابل به دسائسهم من لا مبالاة مفرطة ، فلم يهنأ لهم بال ، ولم يغمض لهم جفن ، ولم يرتح لهم خاطر ، حتى أودعوه غياهب السجن كما رأينا . ! ومن الناس يسلم من كيد الحاسدين ، ودسائس الحاقدين . ؟ ولا سيما من كان ذا مكانة اجتماعية ملحوظة كابن زيدون . . ؟ بل ، من من الناس يستطيع ارضاء اعدائه جميعا ؟ او يقدر على الاعراض عنهم جملة ؟ او يحاول استلال ما يغلي في صدورهم من سخائم وحزازات . . ؟ هذا ما يجيبنا عنه ببيته السائر : — 112 — :

ولو انني استطيع كي ارضي العداء ،
شريت ببعض العلم حظا من الجهل !

واجل ، لقد تدب شاعرنا حظه ، واستدر العبرات الحرار مستعطفا سيده تارة ، متنصلا مما رمى به — زعم — من انك وزور تارة ، معرضا بخصومه وحساده حينا ، ناقما على دهره حينا آخر . . لكن هيهات هيهات . ! فاني له ان يسعفه الدهر الجائر الضنين ، فتجد اناته وتوسلاته سبيلها الى قلب مولاه . . ؟ اليس : (179)

هو الدهر ، مهما احسل العمل مرة
فعن خطأ ، لكن اساءته عمد !

اليس هو الذي قال معاتبا ابن جهور ، بعد أن ادرك ان سعايّة خصومه على وشك ان تؤتي اكلها ، اذ رأى آماله تتبخر شيئا فشيئا ، واحلامه تتبدد رويدا رويدا ، ومكانته لديه مخدومة تسير باستمرار نحو الحضيض . . فكلما ازداد منه قربا ، ازداد هو منه نفورا ، وكلما ازداد اخلاصا له ، كلما ازداد منه حيطة وحذرا ، ولمعن في جنانه والاعراض عنه ، وهاذا ما يعرب عنه قوله : (60)

لا تله عني ، فلم أسألك ، معتسفا ،
رد الصبا بعد ايناء على الكبر !

واستوفر الحظ من نصح وصاغية ،
كلاهما العلق لم يوهب ، ولم يعر

هبني جهلت ، فكان العلق سفيئة
لا عذر منها ، سوى أني من البشر !

وكذلك قوله ، ويلاحظ أنه قد تنازل بعض الشيء عن كبريائه : (115 . .)

أما الحزم . ! اني في عتابك مائل
على جانب نأوى اليه العلا سهل

أي العدل أن وافتك تترى رسائلي ،
فلم تركن وضعا لها في يدي عدل ؟

أعدك للجلي ، وأمثل أن أرى
بنعماك موسوما ، وما أنا بالغفل . !

وما ذاك وعد النفس لي منك بالمنى ،
كأني به قد سمت بأرقة المحل

أئن زعم الواشون ما ليس مزعما
تعذر في تصري ، وتعذر في خذلي . ؟

ولو انني واقعت — عمدا — خطيئة
لما كان بدعا — من سجاياك — أن تملى

فلم أستثر حرب الغجار ، ولم أطع
مسيلمة اذ قال : اني من الرسل ..

ومثلي قد تهفو به نشوة الصبا
ومثلك قد يعفو ، وما لك من مثل . !

وأني لتنهاني نهاي عن التي
أشاد بها الواشي ، ويمتلئ عقلي

هي النحل زلت بي ، فهل انت مكتب
لقيل الاعادي : انما زلة النحل ؟

وأرق من هذا قوله في بائيته الرائعة مطلعها : (40)

أما علمت أن الشفيع شهاب ؟
فبقصر عن لوم المحب عتاب

وهي قصيدة طويلة في مدح ابن جهور ، ولست أشك في أنه عارض بها الشاعر القائد : أبا فراس الحمداني في رائعته البائية التي مطلعها :

أما لجميل عندكن ثواب ،
ولا لمسيء عندكن متاب ؟

وأني منها هذه الابيات المرتعشة التي تعبس حكما وعبرا ، وتصور في نفس الوقت نفسية ذلك البطل المغوار ، الذي فلت الثائبات من غربه ، واشماخ الخلان والصحاب عنه وجوههم ، بعدما تنكر له الدهر ، وتجهمت له الأيام ، ولم الاطلة في التحليل ؟ فلنترك فارس بني حمدان يتحفنا بروائع الحانه :

اذا الخل لم يهجرك الا ملالة
فعندي لاخرى مزمة وركاب !

اذا لم اجد في بلدة ما اريده
فعندي لاخرى مزمة وركاب

.. بمن يثق الانسان فيما ينوبه ؟
ومن أين للحر الكريم صحاب ؟

وقد صار هذا الناس — الا اقلهم —
ذئابا على اجسادهن ثياب !

تغابيت عن قومي ، فظنوا غباوتي
بمفرق أغبانا حصى وتراب !

ولو عرفوني حق معرفتي بهم ،
اذن علموا اني شهدت ، وغابوا

وما كل فعال يجازي بفعله ،
ولا كل قوال لدى يجاب !

ورب كسلام مرفوق مسامعي
كما طن في لوح الهجير ذباب . !

وليس عجيبا أن يعارض ابن زيدون أبا فراس فكلاهما قد صهرته الاحداث ، فذاق الم السجن ، وعانى من زمانه الامرين ، وتجرع الصاب والعلقم من كيد الخصوم ، وشماتة الحساد . . وقد استمعنا الى نفثات أبي فراس ، فلننظر — الآن — الى أي حد جاراه ابن زيدون حين قال : (47 . .)

نديتك . ! كم القى النوافر من عدى ،
فراهم لنيران الفساد لتاب !

عفا عنهم تدري الرفيع ، فاهجروا ،
وبابنهم خلقي الجميل ، فعابوا

وقد سمع الليث الجحاش نهيقها ،
وتعلى الى البدر النباح كلاب !

اذا راق حسن الروض ، او فاح طيبه
فما ضره أن ظن فيه ذباب

فلا برحت تلك الضغائن . . انها
افاع لها بين الضلوع لصاب .

يقولون : شرق ، او فغرب صريمة .
الى حيث آمال النفوس تهاب

فانت الحسام العضب اصدىء منه
وعطل منه مضرب وذباب

وما السيف مما يستبان مضاؤه
اذا حاز جفن حده ، وقراب

وان الذي أملت كدر صفوه
فأضحى الرضى بالسخط منه يشاب

وقد اخلفت ، مما ظننت ، مخايل ،
وقد صفرت ، مما رجوت ، وطاب

فمن لي بسلطان مبين عليهم ،
اذا لح بالخصم الالد شغاب ؟

ليخزهم أن لم تردني نبوة
بساء الفتى من مثلها ، ويراب . !

وان ابن زيدون ليبلغ قمة البلاغة ، ويبدع كل الابداع ، عندما يتخلص الى مقطع « الاعتذار » من قصيدته العصماء هذه ، فلنعش — اذن — معه هذه اللحظات : (48)

سأبكي على حظي لديك ، كما بكى
ربيعة ، لما ضل عنه ذؤاب

واشكو نبو الجنب عن كل مضجع ،
كما يتجافى بالاسير ظراب

فثق بهزبر الشعر ، واصفح عن الوري ،
فانهم — الا الاقل — ذئاب

ولا تعذل المثنين بي ، فانا الذي
اذا حضر العقم الشوارد غابوا

وردت معين الطبع اذ ذيد دونه
أناس لهم في حجرتيه لواب

. . فعد بيد بيضاء يصدع صدقها
فان أراجيف العداة كذاب

وحاشاك من ان تستمر مريرة
لعهدك ، او يخفى عليك صواب

***

وحقا ، فان ابن زيدون قد نصح لمولاه ، فاخلص له النصح ، وافنى شبابه في خدمة الدولة الجهورية بصدق وأمانة ، وانه كان النجم اللامع بين خدام البلاط والبلبل المغرد ، المشيد بمحاسن الدولة ، الراصد لاحداثها ، ومع كل هذا ، فأنى لشكاته المريرة تلك ان تنفذ الى سمع سيده . ؟ وأنى لزفراته الملتهبة ، وتحسراته الموجعة ، أن تخترق شغاف قلبه ، او تحظى بلفتة من عطفه ؟ خصوصا وقد لعبت الدسائس دورها في تشويه صورة ابن زيدون لدى سيد البلاط حيث جعلته يتصوره في هيأة المجرم الجاحد للنعمة المنكر للجميل . . ؟

ولذا ، فقد كانت تعترى ابن زيدون نوبات حاده من الالم ، تجعله يستسلم لليأس ، ويفقد كل أمل في النجاة ، فتضيق جدران السجن عن ايوائه ، ويكفهر الوجود في ناظريه . . ولم لا يتبرم من هاته الحياة التعسة ، وهي ما برحت تعاكسه وتناوئه ، غير مدخرة جهدا ولا وسعا في مناهضته ومحاربته . . ؟ وقد اجاد التعبير عن هذا الجانب المؤلم من حياته حيث قال : (94 . .)

لا يهنىء الشامت المرتاح خاطرة ،
أنى معنى الاماني ، ضائع الخطر

هل الرياح بنجم الارض عاصفة ؟
ام الكسوف لغير الشمس والقمر ؟

ان طال في السجن ايداعي فلا عجب
قد يودع الجفن حد الصارم الذكر . . !

. . ما للذنوب التي جاني كبائرها
غيري ، يحملني أوزارها وزري ؟

. . قد كنت احسبني والنجم في قرن ،
ففيم أصبحت منحطا الى العفر . ؟

احين رف على الآفاق من أدبي
غرس له من جناه يانع الثمر . ؟

وسيلة سببا ، ـ الا تكن نسبا ـ
فهي السواد صفا من غير ما كدر

وهذه نفحات اخرى من نفس المعين : (134 . .)

. . ان الالى كنت من قبل افتضاحهم
مثل الشجى فى لهاهم ليس ينزع

لم احظ ـ اذ هم عدى باد نفاقهم ـ
الا كما كنت احظى اذ هم شيع

ما غاظهم غير ما سيرت من مدح ،
فى صائك المسك من انفاسها فنع

كم غرة تلثمتها قلوبهم
كما تلقى شهاب الموقد الشمع

اذا تأملت حبى غب غشهم
لم يخف من غلق الاصباح منصدع

ومن هذه البابة ايضا هذه القنئات المشجية التى تعتبر من ارق ما قيل فى الشكوى : (112 . .)

الم يان ان يبكى الحمام على مثلى ؟
ويندب ثأري البرق منصلت النصل ؟

وهلا اقامت انجم الليل مأتما
لتندب فى الآفاق ما ضاع من نثلى ؟

ولو انصفتنى ، وهى اثكل هبتى
لالقت بايدي الذل ، لما رات ذلى

ولا فترقت سبع الشر ، وغضها
بمطلعها ، ما فرق الدهر من شملى !

لعمر الليالى ! ، ان يكن طال نزعها ،
لقد قرطست بالنبل فى موضع النبل

تحلت بآدابى ، وان ما آربى
لمانحة فى عرض اينية عطل !

اخص لقبى بالتلى ، وكأنما
يبيت اذي الفهم الزمان على دخل

واجنى على نظمى لكل قلادة
مفصلة السمطين بالمنطق النحل

ولو اننى استطيع كى ارضى العدا ،
شريت ببعض الحلم حظا من الجهل

وهكذا يسترسل ابن زيدون يعزف على اوتار مخيلته هاته الانغام الشجية ، لكنه سرعان ما يثوب اليه رشده ، فاذا هو وجها لوجه امام التدر الذي لا تطيش سهامه ، فهل هو اول من نكب . . ؟ وهل فى استطاعته تحويل دفة المقادير . . ؟ واذن ، فلنستمع اليه وهو يسلى نفسه ، ويقدم لها العزاء بما وقع لامثاله ، ومن هم اسمى منه مكانة وارفع جاها . . (113) :

امقتولة الاجفان ، مالك والهوى ؟
الم ترك الايام نجما هوى قبلى . ؟

اتلى بكاء ، لست اول حرة
طوت بالاسى كشحا ، على مضض الثكل

وفى « ام موسى » عبرة ، ان رمت به
الى اليم فى التابوت ، فاعتبري واسلى !!

ولله فينا علم غيب ، وحسبنا
به ، عند جور الدهر ، من حكم عدل !

على ان شاعرنا كثيرا ما كان يقلع من البكاء ، ويتجلد للنائبات ، كما ينبىء عن ذلك قوله : (80)

من مبلغ عنى البلاد اذا غبت ،
ان لست للنفس الالوف بباخع ؟

ايما الهوان فصنت عنه صفحتى
اغشى بها حد الزمان الشاسع

فليرغم الحظ المولى ، انه
ولى ، فلم اتبعه خلوة تابع . !!

ان الغنى لهو القناعة ، لا الذي
يشتف نطفة ماء وجه القانع

. . مالى وللدنيا ؟ غررت من المنى
فيها ببارقة السراب الخادع

وقمين بنا ، ونحن ندرس الشكوى فى شعر ابن زيدون ، الا نغفل الوقوف عند طائيته الرائعة ، التى احتفل فى نظمها ايما احتفال ، حيث سكب فيها عصارة فنه ، وأودعها نفثات قلبه الجريح ، وصبغ كلماتها وابياتها بومضات بيانية هى السحر الحلال ، والعذب النمير الزلال . . وقد قالها وهو مختف بقرطبة عقب فراره من السجن ، وهذه مقتطفات منها : (14)

الحبابنا ، الوت بحادث عهدنا
حوادث ، لا عقد علينا ولا شرط

فلعمركم ، ان الزمان الذي قضى
بشت جميع الشمل منا لمنحط

. كان فؤادي ، يوم أهوى مودعا ،
هوى خافقا منه ، بحيث هوى القرط

اذا ما كتاب الوجد اشكل سطره ،
فمن زفرتي شكل ، ومن عبرتي نقط

الا هل أتى الفتيان ان فتاهم
فريسه من يعدو ، ونهزة من يسطو

وان لحسام العضب شاو بجفنه ،
وما ذم من غربه قد ، ولا قط

هرمت . ! وما للشيب وخط بمفرقي ،
وكائن لشيب لهم في كبدي وخط !

وطاول سوء الحال نفسي ، فأذكرت
من الروضة الغناء ، طاولها القحط

مئون من الايام خمس قطعتها
اسيرا ، وان لم يبد شد ، ولا فمط

أتت بي كما فيض الاناء من الاذي ،
واذهب ما بالثوب من درن مسط

اتدنو قطوف الجنتين لمعشر ؟
وغايتي السدر القليل ، أو الخمط ؟

وما كان ظني أن تغرني المنى
وللالغر في العشواء من ظنه خبط

ولم يفت ابن زيدون أن يعرض في قصيدته هذه خصومه ، وينتحل المعاذير لفراره من السجن ، وذلك حين يقول : (17 -)

عدا سمعه عني ، واصغى الذي عدى ،
لهم في اديمي — كلما استكنوا — عط

بلغت المدى اذ قصروا ، فقلوبهم
مكامن اضغان ، اساودها رقط

يولونني عرض الكراهة والقلى
وما دهرهم الا النفاسة والغمط

وقد وسموني بالتي لست اهلها
ولم يمن امثالي بأمثالها قط

فررت ، فان قالوا الفرار ارابة
فقد فر « موسى » حين هم به القبط

***

ولنجعل مسك ختام هذا الفصل قول ابن زيدون في موشح رائع ، له مسيس علاقة بالشكوى التي مدار كلامنا ، وهو في ذكرى قرطبة وأيام وصاله بها :

خليلي ، ان اجزع فقد وضح العذر ،
وان استطع صبرا فمن شيمتي الصبر

وان يك رزءا ما أصاب به الدهر

ففي يومنا خمر ، وفي غدنا امر ،
ولا عجب ، ان الكريم مرزا

رمتني الليالي عن قسي النوائب
فما اخطأتني مرسلات المصائب
افضي نهاري بالاماني الكواذب

وآوي الى ليل بطيء الكواكب
وابطأ سار كوكب بات يكلا

***

وأما بعد ، فهذا هو ابن زيدون في شكواه وبلواه في شوقه وحنينه ، في آلامه واشجانه ، ارجو أن اكون الممت ببعض جوانب الموضوع ، اما الاحاطة والدراسة المستوعبة ، فلها مجال غير هذا ، وحسبي ، الله ونعم الوكيل .

مقابلة مع الكاتب

ثروت أباظة

أجرى المقابلة : الأستاذ علي محمد القاعود .

يعتبر الاستاذ ثروت اباظة من ابرز كتاب الرواية المعاصرة في مصر والعالم العربي ؛ وهو الآن واحد من كبار كتاب صحيفة « الاهرام » القاهرية ، حيث يطالع القراء صباح كل ثلاثاء بمقال سياسي أو اجتماعي على درجة ملحوظة من الاهمية ، لتركيزه على قضية الحرية والاصالة الفكرية ، وانتقاد مظاهر الطغيان الفكري والسياسي والاجتماعي . وبالاضافة الى هذا فانه يرأس تحرير القسم الادبي بالاهرام أيضا، كما انه يرأس تحرير مجلة « القصة » الفصلية التي تصدر عن نادي القصة بالاشتراك مع الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ومما هو جدير بالذكر ان ثروت اباظة من عائلة ادبية فوالده هو الاستاذ ابراهيم الدسوقي اباظة — رحمه الله — وكان اديبا معروفا بجانب نشاطاته السياسية في الوزارة والمجلس النيابي . كما ان عمه ووالد زوجته « عزيز اباظة » كان من أشهر الشعراء المعاصرين ، قبل أن ينتقل الى رحمة الله — .

وينتمي الاستاذ ثروت اباظة الى الحس الاسلامي الاصيل ، ويبرز في ادبه ميل واضح الى القيم الانسانية العليا ، التي حض عليها الاسلام ، وأمر بها .

وفي هذا اللقاء الذي استمر حوالي ساعة نحدث الاستاذ ثروت اباظة عن اكثر من قضية ، واكثر من موضوع . . وقد بدأ حديثه قائلا :

« الاسلام هو الدين الوحيد الذي يستطيع أن يواكب الحضارة العالمية مهما تتقدم ، فليس هناك دين كرم الانسان واحترم التفكير عنده كما كرم الاسلام الانسان، والتفكير الانساني. فمن حقنا نحن المسلمين أن نشرف دائما اننا مسلمون ، واننا نقف تحت هذا اللواء الشامخ الذي يصل السماوات العلا بارض الحياة . . »

ولقد سألته ، هل تعتبر نفسك كاتبا اسلاميا ، او معبرا عن التصور الاسلامي في رواياتك ؟

فاجاب قائلا :

« اعتبر نفسي كاتبا اسلاميا في رواية « لقاء هناك » وكذلك في رواية « شيء من الخوف » على اساس أن الانسان عند الاسلام هو « الحرية » ، واعتبر نفسي ، في كل ما كتبت كاتبا مسلما ، وان لم اكن كاتبا اسلاميا . . »

وهنا سألته :

— ما الفرق اذا بين الكاتب المسلم والكاتب الاسلامي ؟

« الكاتب المسلم هو الذي يصدر في كل ما يكتب عن روح الاسلام ، ولا يخرج عن الاطار العام الذي يحدده الدين القويم . اما الكاتب الاسلامي فهو الذي يرصد نفسه لتفسير الدين وشرح تعاليمه . ولست ذلك الرجل للاسف » ؟

ومن هنا طرحت عليه سؤالا آخر :

— كيف ترى الرواية المعاصرة عندنا داخل الاطار الاسلامي ؟ والى اين مدى استطاعت التعبير عن المفهوم أو المفاهيم الاسلامية ؟

قـــال :

« أرى هذا التعبير عند نجيب محفوظ في رواياته التي افردها لفكرة البحث عن الايمان والتي بـــدات « بأولاد حارتنا » ، واستمرت حتى اعلن ايمانه في رواية « الطريق » . ثم اعلن ايمانه الاسلامي في روايـــة « الشحاذ » . واعتقد ان نجيب يمثل وجها من اهـــم وجوه الرواية في العالم العربي . واعتبر كتب « مصطفى محمود » الاخيرة من اهم الكتب الاسلامية التـــي استطاعت أن تتحدث الى شباب الجيل . فقد وصل مصطفى محمود الى اللغة المشتركة بينه وبين الشباب . واعتبر أيضا أن المرحوم عبد الحميد جودة السحار اهم قصاص اسلامي ، وخاصة فيما كتبه عن حياة النبي عليه الصلاة والسلام ، والذين معه ، في اجزائها العشرين ، وقد كان العرض فيها مرضا قصصيا . اما محمد عبد الحليم عبد الله ، فهو كاتب مسلم في كل ما قدم من روايات ، وهو كاتب اسلامي في روايته : « الباحث عن الحقيقة » . هذا عن الجيل الثاني والثالث اما جيل العمالقة ، فلا نستطيع أن نوفيه حقه مـــن التقدير في هذا المضمار ، وبحسبنا ان نذكر أعمـــال الدكتور محمد حسين هيكل ، وعبقريات العقاد ومحمد لتوفيق الحكيم ، واسلاميات طه حسين ، وهذا علـــى سبيل المثال لا الحصر . ولا أرى في الاجيال التالية ـــ بعد الجيل الثالث ـــ شيئا يستحق الذكر » .

وانتقلنا بعدئذ الى تناول قضية الساعة في مصر ، حيث يدور الصراع حول الاسلام والماركسية البعض يعتقد بسوء نية أو بسذاجة انه من الممكن أن يكون المرء مسلما وماركسيا في آن واحد ! ولكن ذلك وفق التصور الاسلامي مستحيل بالطبع . وقد تحـــدث الاستاذ ثروت فقـــال :

« الواقع أن الماركسية في العالم العربي ، تاخـــذ اكثر من حجمها بعاملين . العامل الاول : أن الهاتفين بها يتمتعون بصفاقة معدومة النظير ، والعامل الثاني : أن لهم اصواتا نكيرة مرتفعة ، ولكن هذا او ذاك لا يستطيع أن يغطي الحقيقة التي تظهر دائما في كـــل انتخابات سواء كانت انتخابات عامة أو انتخابات خاصة لاتحادات نقابية أو مهنية ، ومن ادلة صفاقتهـــم محاولتهم التمسح بالاسلام ، وهم يعرفون أن مذهبهم ينكر الاديان جميعا ، وفي مقدمتها الاسلام ، ولصورتهم النكير المرتفع . وجدوا قوما بلا ثقافة ، ويريدون أن يدعوا الثقافة ، وهؤلاء موجودون للاسف في بلاد عربية ويلبسون شباب الشيوعية ظانين أنها تكسبهم مظهرا ثقافيا . ولو تعمقوا ثقافتهم لعرفوا اي ثوب مهلهل يرتدون . . وحسبي وحسبك ما حدث في الاحـــزاب الشيوعية الغربية . لقد تنازلوا عن اهم مبـــادىء الشيوعية ليحصلوا على اصوات كثيرة في الانتخابات، وهو مبدأ حكم البروليتاريا الذي انكره الحزبان ايضا . واريد ان اعرفه : ماذا بقي بعد هذا من المذهـــب الشيوعي ؟ فهم اذا في احزاب اوربة الشيوعية يحتضنون الديمقراطية ليحصلوا على اصوات اكثر للشيوعية . وفي روسيا لجأوا الى امريكا والى فرنسا لاقامـــة منشآت هناك . لان سياسة الحزب الشيوعي فشلت اقتصاديا . فالمذهب الشيوعي اذا افلس افلاسا تاما ، ولم يبق له معقل الا الصين التي يمكن فيها ان يقبـــل مذهب يجعل الانسان آلة . لان الانسان في الصـــين اقل من آلـــة . . »

ثم استطرد الاستاذ ثروت اباظة قائلا :

« وهذا المذهب ايضا في الصين في سبيله الـــى التحلل بعد موت ماوتسي تونج ، فانت في كل يوم تقرأ عن الانتفاضات التي يكيد بها بعضهم لبعض ، ومـــا ظنك بمذهب لا يستطيع الاستمرار الا لوجود شخص معين ؟ فان قارناه بالاسلام وكبرت هذه المقارنة، فانت تعلم أن الدين الاسلامي ازدهر وانتشر بعد موت النبي عليه الصلاة والسلام ، لانه دين حق يخاطب العقـــل والقلب . اما هذه الفقاعات فلم تتحمل امتحان ستين عـــامـــا » .

وفي نهاية لقائي معه سألته عن اخباره الادبيـــة ، فقـــال لـــي :

« انتهيت من رواية « أوقات خادعة » التـــي تنشر مسلسلة الآن بمجلة اسبوعيـــة . واكتـــب رواية جديدة اسمها ـــ خائنة الاعين » ناظرا فيها الى قوله تعالى ـــ يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور » ولكنها ليست رواية اسلامية » .

وقد وجهت له الشكر باسم « دعوة الحق » على تفضله بهذا اللقاء والاجابة على الاسئلة التي طرحت عليـــه .

القاهرة : حلمي محمد القاعود

حول مستقبل الشعر في السطرين

أمام الشعر الجديد

حركات التجديد تقابل دوما بالانكار، ويعتبر ماتدعو اليه بدعة وخروجا عن المألوف الذي تقبله الناس ، فأصبح من الصعب التفريط فيه بعد ان تشبعت به افكارهم ، وتعلق به قلوبهم ، وهذا الموقف من الحركات التجديدية يخلق صراعا حادا بين الطرفين : القديم والجديد ، يؤدي عادة الى ظهور ثالث يميل الى الاعتدال ، ويحاول التوفيق بين المتناقضين ذلك ما تثبته مسيرة البشرية في كل الواجهات التي تحتمل ظهور مثل هذه الحالة .

غير ان هذه العملية لاتتم بسهولة ولا بسرعة ، بقدر تشبث اصحاب القديم (المحافظين) بمبادئهم وافكارهم وقيمهم ، وبقدر اخلاص اصحاب الجديد (المجددين) لجديدهم ، وعيهم ، بمقوماته ، وتكامله وعمقه وجديته وقيمته ، بقدر كل ذلك يشتد الصراع بين الطرفين .

واذا كانت الحياة الفكرية من بين اهم المبادين الحيوية التي تشهد مثل هذا الصراع على الدوام ، فانه يغنيها بدون شك ، لانه دليل حيويتها وتفاعلها ، اذ بدون هذا الصراع تغرق في الخمول والجمود والكسل مما يؤدي بها الى التقهقر والتأخر ، لانعدام ملامح التجديد والابتكار ، وهو كل فكري تتفشى آثاره السلبية في حياة الامة فيهددها بخطر الجمود وشبح الانحطاط ، ومن ثم فان هذا الصراع ، يعتبر في الواقع مظهرا من مظاهر صحة الحياة الفكرية ، يؤدي الى نشاطها وحركتها ، اذ تظهر المؤلفات العديدة التي تعتمد المنطق والتفكير العميق ، بعيدا عن العاطفة والحماس التقليدي ، لان الموقف موقف دفاع عن مقومات ومبادىء ، وبالتالي دفاع عن الشخصية ، فيعود المحافظون الى قديمهم يراجعونه ويعيدون فيه النظر لابراز مظاهر الجودة والاصالة فيه ومحاولة اغنائه وتطويره ليساير العصر ، ويبتعد عن الجمود ، وبقدر ما توفرت ذلك المظاهر فيه وقابليته للتطور يكتسب صفة الخلود ليصبح من الآثار الانسانية الخالدة الرفيعة ، التي تعتبر جزءا من ماضيه المجيد الذي يجمع صاحبه لبناء مستقبل امجد يتناسب مع ذلك الماضي او يفوقه ، وتلك هي مهمة التراثيين ومسؤوليتهم تجاه التراث من جهة ، وتجاه امتهم من جهة اخرى .

ومثل تلك المهمة ، ان قام بها اصحابها على الوجه الاكمل ، تضع الطرف الثاني ، المجدد ، في موقف صعب ، ومن ثم يكون لزاما عليه أن يعمق جذور قضيته ويضعها في اطار واضح اصيل يكسبها التقدير والاحترام ، وبالتالي يزيد من عدد الانصار الذين يتجاوبون مع هذا الجديد ، غير انه من الواجب أن نشير هنا ، الى ان الجديد ، اي جديد ، لا ينزل فجاة من السماء ، دون سابق ارهاص ، اي انه ليس متقطوع الصلة بما هو كائن او بما كان ، الذي يعتبر الاساس المتين ، وان كان خفيا لحيائنا ، الذي يشيد عليه ذلك الجديد . وقد يبتعد ويختلف عنه فيما بعد ، ولكن في البداية ـ لينجح الجديد ـ يجب ابراز تلك الروابط التي تربطه بالتراث الاصيل الذي صاغت الامة عبر الاجيال والقرون في بنائه ماخلص ، ليكون ابنا شرعيا له ، وكلما وفق المجدد في ابراز ذلك ، لقيت دعوتهم مزيدا من التقبل والرضى ، فالنفس الانسانية تألف من الجمود ، وتميل الى التجديد ، غير انها نادرا ما تتقبل هذا الجديد بدون روية او تفكير ، بل تحتاج الى وقت كاف للتفكير والتمحيص قبل اتخاذ موقف .

ويمكن القول ، ان تشبث المحافظين بتقديمهم دليل على شخصيتهم ، اذا كان هذا التشبث ايجابيا ، يقوم على الفكر والمنطق والتأمل العقلي ، ويعمد الى التطوير والتجديد ، ولا يكتفي بالاجترار والترديد ، كما يمكن القول أن نجاح الدعوة الى الجديد تتوقف على مدى جديته وعمقه من جهة ، والى وعي اصحاب الجديد واصالة رؤياهم ووسائليهم وطرقهم في طرح قضاياهم من جهة اخرى .

ومن عرف الشعر العربي هذا الصراع منذ القديم ، منذ القرن الثالث الهجري حين تبلور هذا الصراع في الخصومات التي ظهرت حول كل من ابي تمام والبحتري ، وانقسم النقاد والدارسون الى محافظين يفضلون طريقة البحتري ، وآخرين مجددين يفضلون طريقة ابي تمام ، وقد كان هذا الصراع وما تلاه فيما بعد من اهم البواعث التي ساعدت على ازدهار الحركة الادبية بصفة عامة والنقد بصفة خاصة في القرنين الثالث والرابع الهجريين حيث ظهرت اهم الكتب النقدية الناضجة عند العرب . . .

ويعرف الشعر العربي في هذا القرن ـ القرن الحالي ـ هذا النوع من الصراع بين قديمه وجديده ، منذ اواخر الاربعينات ، وقد يكون الرجوع من جديد الى ابراز جوانب من هذا الصراع شيئا متجاوزا ، لان الكثير قد قيل فيه ، واصبح الشعر الجديد الآن ظاهرة تفرض نفسها ، ولكن على كل حال ، فان الصراع ما زال قائما ، ولا سيما ان بعض أعلام الشعر والنقد من الطرفين ما زالوا يرددون بعض الاراء والاقوال في مناسبات عديدة ، مما يدل على ان الصراع لم يفقد بعد ، مما زالت هناك كثير من التساؤلات التي تحتاج الى مزيد من ابداء الرأي ، ومنها على سبيل المثال التساؤل عن واقع ومستقبل الشعر ذي الشطرين وآفاقه امام حركة الشعر الجديد . وللاجابة عن ذلك يمكن ان نستعرض آراء بعض اعلام الشعر ذي الشطرين انفسهم من المعاصرين ، ونكتفي برأي شاعرين كبيرين : احدهما الشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري . وثانيهما الشاعر المصري المرحوم صالح جودت ، ومعلوم انهما يمثلان قطبين كبيرين مخلصين للشعر ذي الشطرين .

فالشاعر العراقي محمد مهدي الجواهري حين يتحدث عن الواقع والمستقبل يعلن انه « لا قمة في الشعر من بعدي » ، ففي ندوة عقدتها الاذاعة والتلفزيون في العراق ، ونشرت في مجلتها (عدد 176 ، السنة السابعة 15 شباط 1975 ، ص : 42 وما بعدها)

يدلي شاعر العربية الجواهري برايه بكل جرأة وحرية في الشعر ، وبقصد الشعر التقليدي ، فيرى بان هناك تشويها للحرف العربي ، وان هناك فراغا لا يوجد من يسده الآن على الاقل ، اما عن المستقبل ، فهو يرى من خلال رؤيته للواقع . انه لا قمة في الشعر من بعده ، فهل معنى هذا ان هذا الشعر يعرف ازمة ، او هو على الاقل مقبل عليها ؟ يرى الجواهري ان الشاعر بدر شاكر السياب ، وهو من العراق ايضا ، بدأ حياته الشعرية كما هو معروف ، على الطريق التقليدية الكلاسيكية ثم تحول الى النهج الجديد ، يرى الجواهري ان هذا الشاعر كان هو المنتظر لان يسد الفراغ . . . ولكن ، لم يسد احد الفراغ الذي تركه السياب .

ومن خلال ذلك نستنتج : ان الجواهري كأنه يتأسف على مستقبل هذا الشعر ، فهو لا يجد من بين الشعراء ، على المدى القريب على الاقل ، من يستطيع ان يواصل مسيرة هذا الشعر على مستوى جيد ليكون قادرا على الصمود والتحدي ، قد يكون هذا الرأي قابلا للنقاش ، ولكنه على كل حال يمثل وجهة نظر معينة لصاحبها ذوق ودراية ، الى جانب شاعريته الفذة التي يقدرها الجميع ، مما يجعله واحدا من اكبر شعرائنا المعاصرين على الطريقة الكلاسيكية في الوطن العربي .

لقد كان السياب في نظر الجواهري شاعرا يعد بالكثير ، غير ان تحوله الى الطريقة الجديدة ، جعله من كبار رواد هذه الحركة في العالم العربي ، وهذا التحول ، جعل الشعر العمودي يفقد ، في نظر الجواهري ، شاعريته فذة لم تعوض لحد الآن . ومع ذلك يمكن ان نتساءل هنا عن مدى شمولية هذه النظرة وانسحابها ؟ اليس هناك ، في باقي اجزاء الوطن العربي شعراء يمكن ان يكونوا في المستوى الفني المطلوب لسد هذا الفراغ ؟ بالنسبة للسياب ، هل ترك هذا الفراغ بعد تحوله من الشعر العمودي ، ام بعد موته ؟ من المعروف ، ان بدر شاكر السياب قد فرض نفسه سواء كشاعر عمودي في بداية حياته الشعرية ، او على الطريقة الجديدة التي اصبح رائدا من روادها وما يزال تأثيره واضحا في الاجيال التي تلته من شعراء الموجة الجديدة .

اما الشاعر المرحوم صالح جودت فيعلن ان « المستقبل للشعر ذي الشطرين » . ففي حوار مع الشاعر نشره الاستاذ عبد العال الحمامصي في كتاب « الهلال » ـ مارس 1976 ـ بعنوان (هؤلاء يقولون : في السياسة والادب) يقول ان المستقبل للشعر ذي الشطرين بعد ان يعود الشعراء الجدد الى الصواب بعد استكمال ادواتهم الشعرية بالسن والطلاقة ، « ان المستقبل للشعر العربي الاصيل باوزانه التي ارساها الخليل ، مع التجديد فيها ـ كما فعل المجددون والاندلسيون ـ في حدود اطار معين لا تسبب فيها ولا انحدار » .

ونلاحظ من خلال هذا القول ، ان الشاعر صالح جودت مطمئن على مستقبل هذا الشعر ، لانه يرى اسماء شاعرة من جيل الشباب توسم فيها القدرة على حمل راية هذا الشعر والمضي به نحو اجيال قادمة ، ومن هذه الاسماء التي يرشحها المجد للمستقبل ـ على

حد تعبيره ـ ممن لا يقربون الشعر الجديد : سعد درويش ، عبد المنعم الانصاري ، الحساني عبد الله ، علي البازّ ، فؤاد طمان ، يس الفيل ، وابراهيم التلواني . . . ومعظم هؤلاء من بين الشعراء الذين ينشرون قصائدهم في (مجلة الهلال) التي كان صالح جودت رئيسا لتحريرها قبل التحاقه بالرفيق الاعلى ويسلم الروح لباريها على اثر مرض كان يعاوده بين الفينة والاخرى لم ينفع معه علاج .

وصالح جودت في نظرته لمستقبل الشعر ذي الشطرين يختلف كما راينا عن الجواهري في نظرته لهذا الشعر في المستقبل ، لان صالح جودت يرى ان هذه الموجة الجديدة مرحلة من مراحل الشعر سيعود اصحابها الى الشعر الاصيل بعد نضجهم ، ومن ثم فهو يحمل على اولئك الذين يتمادون في حركتهم دون ان يظهر منهم مايدل على استعدادهم للعودة الى الشعر ذي الشطرين ، والتخلي عن تلك المرحلة التي يعتبرها مجرد مرحلة من مراحل التمرن والتجربة ، ويتجلى هذا الموقف واضحا في قصيدته اليتيمة التي نظمها على تلك الطريقة الجديدة للمرة الاولى والاخيرة ، كما يقول ، يهاجم فيها اصحاب هذه الطريقة بسلاحهم نفسه ، وهي التي يقول في اولها :

انظم بالشعر الجديد هذه القصيدة .

لان من انظمها من اجلهم

من ثقتي بجهلهم

لا يعرفون اللغة القديمة

للامة العظيمة

لايحسنون ابحر الخليل

. . . الخ .

وهذا الموقف المتشدد من الشعر الجديد ، وجدناه ايضا عند كثير من الادباء والنقاد ، مثل عباس محمود العقاد ، وعزيز اباظة وغيرهما ، وهو موقف يظهر من خلاله ما يقابل به الجديد عادة من عنف ، غير ان هذا العنف قد يقوى وقد يضعف ، بحسب هذا الجديد وممثليه من جهة ، وتغلغل القديم في النفوس وتمكنه ومدى قدرة اصحابه وتساهلهم او تشددهم من جهة اخرى .

ولو حاولنا المقارنة بين رأيي كل من الجواهري وصالح جودت ، لوجدنا انهما يتفقان في نقط التي مؤداها ان الشعر ذا الشطرين هو الشكل الاصيل للتعبير في نظرهما ، وقد اخلصا له في عملهما الشعري كما اخلصا له في موقفهما ضد الشعر الجديد الذي خرج عن هذا الشكل ، غير ان صالح جودت قد اتسم موقفه كما رأينا بنوع من الشدة والعنف ، وهو واثق من العودة الى مسار الشعر العربي المتعارف عليه منذ القديم بعد المراس ونضج التجربة . وقد يكون من الصعب الاتفاق مع الشاعر صالح جودت لاول وهلة ذلك ان كثيرا من التجارب على الطريقة الجديدة قد فرضت نفسها واشتد نضجها عند كثير من شعراء هذه الحركة امثال بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتي وصلاح عبد الصبور واحمد عبد المعطي حجازي ومحمد الفيتوري وغيرهم من الشعراء العديدين الذين تصدر لهم الدواوين والمجموعات المتوالية ، التي اثبتت نفسها واحتل البعض منها في ديوان الشعر العربي الحديث منزلة لاتقل اهمية عن عيون الشعر العربي التقليدي وروائعه .

واذا كانت هناك تجارب ناضجة واصيلة على الشكلين ، افلا يكون هذا الصراع حول الشكل المناسب للتعبير مجرد مظهر خارجي شكلي لا يصل الى عمق القضية التي تتصل بالمضمون قبل الشكل ؟ مما قد يدفع الى طرح سؤال قد يكون الخوض فيه من الامور البسيطة والثانوية ، وهو هل نريد المضمون الجيد ام الشكل الجيد ؟ مع العلم ان المضمون الجيد لا يمكن ان يطرح الا في شكل جيد ، والشكل هنا لا يمكن ان يقتصر على هذا البناء الهندسي للقصيدة ، فهو يشمل الكلمة وتوظيفها والصوره والرمز وما يحمله من ايحاء ، الى غير ذلك . غير انه في الوقت الذي نجد فيه شعراء الحركة الجديده ينظرون الى البناء القديم بتقاليده واصوله على انه يحد من حرية الشاعر ورغبته في الوصول الى غايته المقصوده ، نراهم يغرقون في ضبابية وغموض يجعلان من العمل الشعري لغزا معقدا في كثير من الاحيان تتشابك فيه الرموز والاساطير التي يستلهمها الشاعر ، فيصعب فهم التجربة الا بعد جهد من طرف الشاعر في وضع الهوامش لقصيدته ، ومن طرف القارىء لربط ذلك بمسار القصيدة ، وهذا يجعل القصيدة الشعرية الجديدة غالبا لا تتجاوب مع اكبر عدد ممكن من القراء ، مع ان هذا التجاوب شرط من شروط الادب الاصيل ، ومعنى هذا ان على شعرائنا الجدد ان يعيدوا النظر في لغتهم ووسائل تعبيرهم حتى تكتسب تجاربهم ما يتوخاه القارىء من قيم في الشكل الى جانب المضمون الانساني الرفيع الذي يصل اليه القارىء من اقرب الطرق . ولا سيما في هذه الظروف التي نحتاج الى السرعة والبعد عن اللف رغبة في كسب مزيد من الوقت ـ ولكن دون اغراق في السطحية والسذاجة في نفس الوقت . وبرغم ما لهذا الغموض في الشعر الحديث من جوانب ايجابية في كثير من الاحيان ـ والغموض نجده ايضاحتي في بعض شعرنا القديم ، عند ابي تمام والمتنبي مثلا وعند غيرهما ، كذلك ـ حين يتميز بالاصالة كما يقول الدكتور عز الدين اسماعيل ، فان هذه الظاهرة قد تصبح حاجزا بين

القراء والعمل الشعري ولاسيما بالنسبة لمن اعتادوا قراءة الشعر القديم ، لانهم يجدون صعوبة كبيرة في التجاوب مع الشعر الجديد وربما رفضوه من اجل هذه الصعوبة . وقد استأثرت هذه الظاهرة وغيرها من الظواهر الفنية في هذا الشعر الجديد باهتمام العديد من النقاد ، بل والشعراء انفسهم من رواد هذه الحركة مثل الشاعرة نازك الملائكة في كتابها (قضايا الشعر المعاصر) ، وما تزال تثار في كثير من الاحيان مثل تلك القضايا ولا سيما عند شعرائنا الشباب الذين يدفعون دافع التقليد الحماسي في بعض الاحيان مما يجعل تجاربهم تقابل بنوع من عدم الاهتمام والصمت .

واذا كان الشعراء ينقسمون على انفسهم الى قدماء وجدد ، او تقليديين ومتحررين ، فانه ليس من المفروض ان ينقسم القراء والدارسون ايضا ، فيقبل بعضهم على هذا النوع وبعضهم على غيره حسب الميول والاهواء ، ذلك ان القارئ او الدارس ، سواء كانت الدراسات عادية او اكاديمية ، مطالب برصد التيارات الفكرية المتنوعة ، ومسايرة الحركة الثقافية المتعددة الاتجاهات ، رائده في ذلك ما يتوفر عليه العمل الفني من جودة واصالة ، ومدى تعبيره عن قضايا الانسان وهمومه تطلعاته وطموحه ورغبته في الحياة الاسعد والمجتمع الافضل . والاديب الملتزم يدخل في حسابه ذلك كله ، لانه لا يكتب لنفسه فقط ، والا لما اقدم على اذاعة ما يكتب ونشره في الناس ، فهو ينقل تجاربه لاخرين ومن ثم كان عليه ان يراعي الجانب الآخر ، المتلقي ، قارئا عاديا اودارسا ناقدا . ومن ثم فانه بالنسبة للشعر ، لا يمكن القول بأن هذه القصيدة مثلا رديئة لانها تسير على طريقة القدماء ، او لانها تثور على طريقتهم وتتبع طريقة جديدة ، حسب نظرة كل فريق ، بل يجب ان ينظر الى جودتها سواء من حيث المضامين التي تطرحها ، او من حيث اللغة التي يصب فيها الشاعر تلك المضامين ، بعيدا عن كل تحيز او تعصب وهكذا فان الجيد او الرديء من الشعر يعتمد على مدى ثقافة الشاعر الفنية وصدق احساساته وانفعالاته ومعانقته لقضايا اخوانه وامته ، وقضايا الانسان بصفة عامة ، ومدى قدرته على نقل كل ذلك في صورة واضحة بليغة الى الآخرين .

مكناس : علي لغزيوي

مع الشاعر الغزال

للأستاذ محمد بن أحمد اسماعو

في لوح المجد العربي بالاندلس ، وفي عصر ازدهار الحضارة الاسلامية ، واثناء رسوخ قوائم العرش الاموي بالعاصمة قرطبة ، نبغ علماء وحكماء وشعراء وكتاب وفنانون مبدعون وصناع متفننون مبتكرون ، بشكل عجيب سارت بخبره الركبان وتناقلته الالسن ، وبذلك جاء الاقوام من البلدان المجاورة ليتعلموا ويتحضروا ويطلعوا على ما عند الاندلسيين من علوم وفنون وعجائب وطرائف ...

كل هذا كان ، وعلى مستوى يقصر عن وصفه اللسان ، ويعجز عن ادراكه التصور . لكن خصوم هذه الحضارة والحاقدين عليها عملوا - بعد انتهاء حكم المسلمين - على تحطيم الجانب المادي منها ، وتدميره ، الا القليل النادر ، وارتكبوا جريمة فظيعة بطمس الجانب المعنوي المتمثل في المؤلفات بالاحراق (1) والتمزيق والمسخ ، فلم يسلم منه الا القليل ، القليل الذي كان منسوخا او منقولا ، ورغم أن هذا التراث وقع في يد من يعرف قيمته ، وفي يد من لا يعرفها ، فانه على كل حال نجا من الضياع ، ومكن الباحثين من الحصول عليه حينا بعد حين .

كثيرون هم هؤلاء الافذاذ من أهل البحث والدراسة الذين صرفوا همهم ، وواصلوا جهودهم لاكتشاف آثار اهل العلم والحكمة والادب الاندلسيين ، ولم يبخلوا بالجهد والمال والوقت لهذا الغرض الكبير ، وبذلك تيسر لنا أن نعرف جانبا من التراث الفكري لديار حضارتنا الاندلسية المجيدة . ويستحق الذكر والتقدير في هذا المجال الاساتذة الكرام : عنان ، واحسان ومكي ، ومؤنس ، والعبادي ، والابياري ، والسحار ، وعلي عبد العظيم ، وع. ع. سالم ، وكنون ، وابن تاويت والوريا كلي ، واعراب ، وزمامة ، وبنشريفة ، والكتاني ، والكعاك ، وبروفنصال وبنثيا ، وكوميز ، وغيرهم .

فمن العدم ، او شبه العدم أخرجت الى النور ووضعت بين أيدينا دواوين بعض شعراء الاندلس ، وانعم به شعرا يولد في ديار الفن والرقة والجمال ، حتى انه لدينا منها - الان - دواوين : ابن خفاجة ، وابن زيدون ، والمعتمد ابن عباد ، وابن هانيء ، وابن الخطيب ، والاعمى التطيلي ، وابن شهيد ، وابن خاتمة الانصاري ، وابن درّاج ، وحازم القرطاجني ، وابن الاحمر ... هذا بالاضافة الى الكتب الادبية الجامعة ، مثل (نفح الطيب) و (المطرب من اشعار اهل المغرب) و (جذوة المقتبس) و (المقتبس) و (الذخيرة) و (التشبيهات) وغير ذلك ... وكل هذا جميل ومفيد ، ونتطلع الى المزيد منه ، والى تكميل ما هو منه مبتور .

بقي محروما من هذا الحظ السعيد ، الذي وافى الاخرين ، شاعرنا الرقيق الحاذق ابو بكر محمد الغزال . فهو احد الذين ما تزال دواوينهم مفقودة ، او محفوظة في احد الاماكن ، ولا يدري احد هل يكتب لها ظهور في يوم من الايام ، أم ان الاختفاء سيكون نهائيا - لا قدر الله - بالنسبة اليها . غير ان ديوان الشاعر ان كان قد اختفى ، فان نتفا

(1) ذكر المؤرخون ان المتعصبين احرقوا من كتب المسلمين الف الف كتاب ، أي والله مليون كتاب . فيا للجريمة النكراء !

ومقطوعات منه قد ضمنها بعض الادباء مجموعاتهم وامالیهم ... وهكذا ضاع الديوان وتقيت المقتبسات!

نعترض قارىء الادب الاندلسي مقطوعات لهذا الشاعر الاريب ، ولفت نظره فيها سهولتها وعمقها وبراعتها في تناول الاحداث ، واطوار الزمن ، وتقلبات عواطف الناس ... وانه لمما يثير العجب حقا ، ان الباحث الاسباني (بالنثيا) حين يرى هذه المزايا متوفرة في شعر (الغزال) زعم زعما مضحكا قائلا : ان براعة الشاعر الغزال ترجع الى اصله الاسباني ! وهذا مثل قولهم ان العمران الاندلسي لا يختلف اصله قوطي ، وان الموسيقى الاندلسية تابعة من الالحان الكنائسية ، الى غير ذلك من دعاوي التنكر !

انه عند استعراض هذه الحصيلة من اشعار (الغزال) بالبحث والتحليل والتذوق يتجلى ان المقطوعات تشتمل على المواضيع الآتية :

- غزل ، وميولات وجدانية .
- تعفف عن المغريات ، والتزام خطة توقير الكهولة والشيخوخة .
- شعور بالاستياء من تصرفات بعض الناس .
- التصدي لبعض هؤلاء الناس بالسخرية والتهكم .
- تأملات في شؤون الحياة واطوارها .
- الزهد في متاع الحياة ، والتطلع الى النهاية العادلة .

وهناك فنون معروفة في الادب العربي ـ شرقا وغربا ـ يفتقدها الباحث في هذه الاشعار ولا يجدها: اما لان المقيسين لم يروا فائدة في اقتباسها ، واما لان الشاعر اصلا لم تكن له ميول نحو هذه الفنون ، وذلك مثل :

- مدح الامراء والوزراء والسراة .
- الفخر بالحسب والنسب والامجاد الوطنية والقومية .
- مشاهد الطبيعة الجميلة .
- المشاعر الودية نحو الاهل والولد والاصدقاء والعشراء ...

والواقع انه ما دام الديوان برمته مفقودا فالحكم الصحيح لا يمكن اصداره ، فنحن لم نتعرف على الشاعر وشعره ، الا من خلال ما اختاره المختارون (2) . وعلى هذا قد يكون هذا الذي اختير احسن ما في الديوان ، وقد لا يكون افضل ما فيه ، وقد يكون نموذجا فقط لما في الديوان ، وممثلا لاقسامه كما هي في الحقيقة ... والاحتمالات الثلاثة معقولة ، وغير بعيدة .

وعلى ذكر الاختيار لاحظت شيئا عجيبا ، ذلك ان قصيدة غزلية متركبة من ستة عشر بيتا ، تختلف اختلافا كبيرا ـ في ثلاثة عشر بيتا منها ـ بين راويين فاضلين هما : (ابن دحية) و (المقري) ، فالمطلع للقصيدة عند الاول :

لم انس اذ برزت الي لعوب
طربا ، وجيب قميصها مقلوب

بينما هي عند المقري كما يلي :

خرجت اليك ، وثوبها مقلوب
وقلبها ، طربا اليك ، وجيب

القصيدة عند الاول يبداها الشاعر بضمير المتكلم ، بينما الثاني يوردها بضمير المخاطب ، وان كانت روح الشاعر الغزال اظهر في رواية ابن دحية ، وابن دحية اقرب الى عصر الشاعر ، لانه من العصر الاموي بينما راوينا التلمساني من العهود الاخيرة للعرب بالاندلس ، انما يلاحظ كذلك ان المقري كتب مجموعته الادبية (نفح الطيب) مستندا على حافظته ومراجعه ، بينما كتب ابن دحية كتابه من حافظته فقط ، فعند من يكون النص الحقيقي ؟

ان الاهتمام بهذه القصيدة يأتي من عدة نواح :

- انها اطول قصيدة من القصائد التي رويت للشاعر ..

---

(2) مجموع المقطوعات الشعرية المعروفة للشاعر الغزال 37 مقطوعة ، عدد ابياتها نحو 230 بيتا ، وهي مبثوثة في اهم المراجع القديمة مثل : نفح الطيب للمقري ، والمطرب من اشعار اهل المغرب لابن دحية ، والمقتبس لابن حيان ، والتشبيهات لمحمد بن الكتاني .

— انها ذات موضوع غزالي طريف ، ذاك الذي تتمثل في أقراء فنية للشاعر ، بينما يجد المغربي نفسه عاجزا عن الاستجابة !

— ان الوصف فيها دقيق للموقف الذي حدثت فيه (المشكلة) ، بجميع الحركات والسكنات والاقوال والافعال ...

وليس في الامكان ايراد القصيدة بأحد تعبها . خصوصا نص ابن دحية لان فيها ما يخدش الحياء ؛ ولو ان ابن دحية قال عنها انها ذات (شعر حسن في الغزل ، جزل في معانيه ، دون فحش فيه) (3) .

هذا ، وقد نال الشاعر الثناء من جميع الرواة القدماء والمحدثين ، أثنوا على حذقه ورقته وبراعته الشعرية ، وكادوا يجمعون على ذلك ، الا الراويسة (ابن حيان) الذي وجه اليه تهمة (هتك الاعراض) في كتابه المقتبس ، غير ان محققي هذا الكتاب ذكروا عن هذا المؤرخ انه كان شديدا في احكامه ، وعلى هذا فقد يكون شاعرنا ممن أصابهم شرر من تلك الاحكام . وفي أشعار صاحبنا ما يبرئه من هذه التهمة ، فلنقرأ متمهلين هذه القطعة القصيرة :

وسليمى ذات زهد
في رهيف من وصال

كلما قلت : صليني
حاسبتني بالخيال

والكرى ، قد متعته
مقلتي اخرى الليالي

وهي أدرى ، فلماذا
دافعتني بمحال ؟

أترى أنا اقتضيتها
بعد شيئا من نوال ؟

الحقيقة ان هاتك الاعراض لا يتسبب ، ولا يتمنى تمنيات أقرب الى اليأس ، وانما يسير الى غاياته بوسائل غير الاشعار ، بل هو يسخر من أسلوب يسمى الشعر والعواطف ، لانه يأنس من نفسه انه عملي اكثر مما هو نظري .. اللهم الا اذا كان يقصد بهتك الاعراض هتكا معنويا ؟

وليس معنى هذا أن شاعرنا كان ذا أحلام مجردة ، بل انه كان يرى مقاييس معينة في الجمال الانثوي :

فارعة الجسم ، هضيم الحشا
كالمهرة الضامر لم تركب

او درة ساعة استخرجت
لم تمتهن بعد ، ولم تثقب

مشربة اللون ، متنوع الضحى
حمراء بالاصال كالمذهب

ان شاعرنا من المحظوظين الاقلاء الذين انعم الله عليهم بعدة مزايا قد لا تجتمع لغيره ، فهو وسيم في رجولة متماسكة ، وهو حاذق أريب لا تمل معاشرته ، وهو جليس الامراء والكبراء ، وهو محل الثقة للقيام بالمهام السامية لدى الدول الاجنبية ، التي تتطلب السفارة اليها مؤهلات خاصة . وهكذا أوفد الى بلاد الدنمارك سفيرا ، فنال ثقة الملك ؛ ونال اعجاب الاميرة (تود) ، وعندئذ أبى الا معايشتها شعرا ، وان كنا لسنا متأكدين بأنه عايشها بغير الشعر ! :

كلفت يا نفسي هوى متعبا
غالبت منه الشيم الاغلبا

اني تعلقت مجوسية
تأبى لشمس الحسن أن تغربا

اقصى بلاد الله ، من حيث لا
يلقى اليه ذاهبا مذهبا

يا (تود) يا رود الشباب التي
تطلع من أزوارها الكوكبا

يا بأبي ، الشخص الذي لا أرى
أحلى على قلبي ، ولا أعذبا

ان قلت يوما : ان عيني رأت
مشبهه ، لم أعد أن أكذبا

قالت : أرى فوديه قد نورا
دعابة ، توجب ان ادعبا

---

(3) يراجع الجزء الثالث من كتاب (نفح الطيب) ص 22 والمطرب من أشعار أهل المغرب ص 149 .

قلت لها : يا بابى انه
قد ينبح المهر كذا اشهبا

فاستضحكت عجبا بقولي لها
وانما قلت ، لكي تعجبا !

مضى الشاعر فى مهمته عشرين شهرا ، انجز رغبة الامير الاموي فى كف هجومات الدنماركيين على الحواضر الاندلسية ، وكسب عطف الملك الدنماركي (هوريك) ، كما احيط باعجاب زائد من الاميرة (نود) ، ولعل ذلك الانحراف من هذه المراة هو الذي جعله يكون هذه الفكرة السوداء عن المراة ، وما عهدناه الا معجبا محبا متوليا :

يا راجيا ود الغواني غلة
وفؤاده كلف بهن موكل

ان النساء لكالسروج حقيقة
فالسرج سرجك ، ريثما لا ننزل

فاذا نزلت فان غيرك نازل
ذاك المكان وفاعل ما تفعل

او منزل المجتاز اصبح غاديا
عنه ، وينزل بعده من ينزل

او كالثمار مباحة اغصانها
تدنو لاول من يمر فياكل

اعط الشبيبة ، لا ابالك حقها
منها ، فان نعيمها متحول

واذا سلبت ثيابها لم تتفع
عند النساء ، بكل ما يستبدل

ورغم تقلبه فى رعاية رب القصر الدانمركى ، وانغماره فى رعاية حاملة التاج فان الذكرى ـ مع ذلك ـ حركت نفسه ، واهاجت خاطره نحو ديار الاهل والاحباب فانشد :

ربع قلبي لما ذكرت الديارا
وتنورت بالنخيلات نارا

وازدهتنى ذات السنا ببروق
من لظاها ، فما اطيق اصطبارا

والقريح الفؤاد يزداد للنا
ر ، وميض السعير منها استعارا

وعاد الشاعر تاجحا موفقا ، فاستقبل احسن استقبال ، ونال الحظوة فى كل مكان ، ووصلت اخباره الى اسماع الغيد الحسان ، المعجبات عادة بالرجولة الموفقة ، الحائزة على الشهرة والمجد ، ويظهر ان احداهن صرحت له باعجابها ، فتقبل ذلك منها بتحفظ وعدم مبالاة :

قالت : احبك . قلت كاذبة
غرى بذا ، من ليس يتقد

هذا كلام لست اقبله
الشيخ ليس يحبه احد

سبحان ، قولك ذا وقولك ان
الريح تعقدها ، فتنعقد

او ان تقولي النار باردة
او ان تقولي : الماء يتقد !

حقق الشاعر النجاح الباهر فى سفارته ، وصان مقامه من الابتذال ، ونال رضى الخليفة وجعل الستة الدانماركيين تلهج بحذقه وبراعته ... وكل هذا ليس هينا على ذوي القلوب المريضة ، التي يغشيها الحسد ويحرقها الحقد ، فاخذوا يضايقون منه ، ويهونون من شانه فارتجب لذلك عواطفه الرقيقة .. فكتب :

الناس خلق واحد متشابه
لكنما تتخالف الاعمال

ويقال حق فى الرجال وباطل
اى امرىء الا وفيه مقال !

ولكل انسان بما فى نفسه
عن عيبه عن غيره اشغال

يستثقل اللمم الخفيف لغيره
وعليه من امثال ذلك جبال !

وينام عن دنياه نومة فاتع
بنعيم دنياه ، وذلك خيال

ورايت السنة الرجال افاعيا
طورا تثور وبارة تغتال

فاذا سلمت من المثال غدر ما
تجني ، فانت الاسعد المفضال !

لم يستكن الخصوم ـ من غير خصومة ـ الى المسالمة ، وانما مضوا ينقصون ويعيبون ويختلقون الاكاذيب ، بدون هوادة ، فاكتفى بأن اطلق فى وجوههم هذا النقد الساخر :

لا ، ومن اعمل المطايا اليه
كل من يرتجى اليه نصيبا

ما أرى ههنا من الناس الا
ثعليا يطلب الدجاج وذيبا

او شبيها بالقط القى بعينيـ
ـه الى فارة ، يريد الوثوبا !

وظنوا أن السنتهم اصابت مكانا حساسا فى مكانة الشاعر ، وان الامير التي لا تخفى عليه اشاعة او خبر ، قد بلغته اشاعاتهم واكاذيبهم ، ولذلك سكت عنه وتناساه ، ولكنه عاد ـ كما يفهم ـ فاستدعاه وجالسه بشكل زائد عن الحد ، فلم يسع الشاعر العنيد الا أن يسجل وينشر ذلك فى قصيد جميل ، بين الاصدقاء والاعداء على السواء ، وهكذا تسامرت الاندية بهذه القصيدة :

قال الامير مداعبا بمقالـ
ـه جاء الغزال بحسنه وجمالـ
ـه

اين الجمال من اربى على
متعدد السبعين من احواله ؟

اين الجمال له ؟ الجمال من امـ
ـرىء القاه ريب الدهر فى اغلالـ
ـه

واعاره من بعد جدته بلى
وأحال رونق وجهه عن حالـ
ـه

لقد افتخر فى المقدمة ، افتخر بالوسامة وطول العمر ، وحاول أن يطفىء من غل واحقاد خصومه ، فاتى بكلام عن ذهاب أيام الشباب ، وانعاب الدهر... لعلهم يكفون من غوائلهم لكنهم اصروا على موقفهم ، ومضوا يشنعون وينقصون ، وهنا جاهرهم بأنه ، وهم ، على مستوى واحد من الضعف البشري :

اذا اخبرت عن رجل بـرىء
من الآفات ظاهرة صحيـ
ـح

فسلهم عنه هل هو آدمـي
فان قالوا : نعم ، فالقول ريح !

ولكن بعضنا اهل استتار
وعند الله اجمعنا جريـ
ـح

ومن انعام خالقنا علينـا
بان دوننا ليست تفـ
ـوح

فلو فاحت لاصبحنا هروبـا
فرادى بالفلا ، ما نستريـ
ـح

وضاق بكل منتحل صلاحـا
لتتن ذنوبه البلد الفسيـ
ـح

ويا ليت المضايقات جاءت فقط من الافلاذ الاكفاء ، فحتى الخصي (نصر) المقرب جدا من الامير بل المتطاول عليه فى بعض الاحيان ، فهل يتردد صاحبنا فى مجابهته ، لا :

ايا لاهيا فى القصر ، قرب المقابر
يرى كل يوم واردا غير صادر

كأنك قد ايقنت ان لست سائرا
غدا بينهم فى بعض تلك الحفائر

يراهم ، فتلهو بالشراب وبعض ما
تلذ به من نقر تلك المزاهـ
ـر

وما انت بالمغبون عقلا ولا حجى
ولا بقليل العلم عند التخابـ
ـر

وفى ذاك ما اغناك عن كل واعظ
شفيق ، وما اغناك عن كل زاجر

وكم من نعمة يعصى بها العبد ربه
ويلوى عدته عن ركوب الكبائـ
ـر

سترحل عن هذا ، وانك قادم
وما انت فى شك ، على غير عاذر

ولم يطل الامر بهذا الخصي ، فقد انكشف امره الخطير للامير (عبد الرحمن بن الحكم) الذي كان يخصه بمعاملة فريدة ، لقد حاول هذا الخصي أن يسم هذا الخليفة فى كأس الدواء فما كان من الخليفة ـ وقد علم بالامر ـ الا أن الزم الغادر بالشرب

من نفس الكأس ، فانتهى بذلك أمره . وعندئذ تبعه بهذه القطعـــة :

أغنى ابا الفتح ـ ما قد كان يأمله
من التسابيع ، والتشويب للدور

وكل فرض وعرض كان يجمعـه
ـ حفيرة ، حفرت بين المقابير

ولم يالها القوم تضييقا ، ولا وقعت
فيها الكرازين الا بعد تقديـــر

فصار فيها كأشقى العالمين وان
لفوه بالنفع في مسك وكافـــور

ما العرف ؟ لو أخبرونا بعد ثالثة
الا كعرف سواه في المناخيـــر

وكان أزمع شيئا لم تكن سبقت
به من الله أحكم المقاديـــر

اذا اراد الله شيئـــا كونـــه
فلن يقصرك فيه سوء تدبيـــر

وتابى الحوادث الا ان تتوالى ، فقد فاجأه خبر انعام الامير على الفنان (زرياب) بقصر الخصـي المتوفى ، وذلك تقدير منه لهذا الرجل الغريـب ، الذي جاء من الشوق فاستولى على الالباب ، واحتل مكانة كبرى ، وكاد يقضي على المقامات الاخـرى ، ولذلك كتب هذه القصيدة تحت تأثير الانفعال من هذا الانعام الكبير ، وليس في وسعه الا أن يكتب قصيدة من هذا النوع ، فلقد كتبه ـ ذات يوم ـ قصيـدة هزلية في حق زرياب فكان جزاؤه الطرد من الاندلس ، وهو الآن ليس مستعدا لارتكاب مثل هذه الحماقة ، فليكتف بهذه القصيدة ، التي يتداخل فيها التشفـي مع الموعظة والتعجب مع التحذير :

ذكر الناس ، دار (نصر) لزريا
ب ، واهل لنيلها زريـــاب !

هكذا قدر الاله وقد تجـــ
ـــري بما لا تضنه الاسبـــاب

اخرجوه منها الى مسكن ليـــ
ـــس عليه الا التراب حجاب

لا يجيب الداعية فيه ولا يـر
جع اليه منـــه جـــواب

وتفاتت تلك المراكب عنـــه
وأميلت الى سواه الركـــاب

ليس معه من كل ما كان قد جم
ـــع الا ثلاثة أثـــواب

وتلاشى جميع ذاك ، فلمـــا
يبق الا ثوابه او العقـــاب

عسكر جندوا فليس مـــأذو
ن لهم عنه أن يكون حســـاب

قرأيت الرقاب من اهله ذلـــ
ـــت وعزت من آخرين رقاب

وكذلك الزمان يحدث في تصـ
ـــريفه الذل والبلا والخراب

لتعجبت والذي منه أعجبـــ
ـــت اذا ما نظرت شيء عجابه

لكأن الذي تولى الـذي كـا
ن عليه مخلـد لا يـــراب

فعله بعده كفعل امرىء ليـــ
ـــس عليه بعد الممات حساب

ولعقل الفتى صحيح ، ولكن
حيرتـه الاوراق والاذهـــاب

وضاقت نفسه من ماجريات الامور في هـذه الحياة ، وخروج الامور عن سيرها الطبيعي وارتفاع شأن الاوباش وخمول ذكر الاماجد .. فلم يجد أمامه من حل ومخرج سوى أن يسخر ، وكانت سخريات فنيـة لاذعـة :

تقال في عجوز خبيثة الحرفة :

جرداء صلعاء لم يبق الزمان لها
الا لسانا ملحا بالملاهـــات

لطمتها لطمة طارت عمامتهـا
عن صلعة ليس فيها خمس شعرات

كأنها بضة النارى اذا برقت
بالمازق الضنك بين المشرفيات

لها حروف توات في جوانبها
كقسمة أرض ميزت بالتخومات

وكاهل كسنام العيس جرده
طول السقاع والحاح التقودات

وقال في قاض ذي مستوى فظع من الجهالة يسمى (يخامر) :

لقد سمعت عجيبا
من آيات (يخامر)

قرأ عليه غلام
(طه) و (سورة غافر)

فقال : من قال هذا ؟
هذا لعمري شاعر !

اردت صقع قفاه
فخفت صولة جائر

اتيت يوما بتمر
مستعيرا منحاسر

فقلت قوموا اذبحوه
فقال : (اني يخامر) !

وقال في عدلين لا يتورعان عن التلاعب بمهمتهما المقدسة :

اتاك أبو حفص ، ويحيى بن مالك
فاهلا وسهلا بالوغى والمعامع !

رجال اذا صبوا عليك شهادة
حكت فيك وقع المرنهات القواطع

اقول لديكي اذ رأيت وجوههم :
تعز ، فقد جاءتك احدى الفجائع

رنا ، واستهلت عند ذاك دموعه
وقال : كثيرا ما أفاضوا مدامعي

وليس عاديا ان تبدل الحياة سنتها ، ولا أن يبدل أهل الدنيا سنتهم هم أيضا ، فما على شاعر فنان رقيق الشعور سوى أن يركن الى ظل ظليل ، بين خميلة وارفة ومياه متدفقة صحبه دواوين أشعار ، أو في صحبة أفراد الاسرة ، الذين يبقون وحدهم على العهد مهما تقلب المتقلبون وتلون المتلونون ، وطال العهد به في هذه الحياة أيضا ، فاخذ الكلل والملل يسري :

ألست ترى الزمان طواني
وبدل خلقه كلي وبراني

تحيفني عضوا فعضوا فلم يدع
سوى اسمي صحيحا وحده ولساني

ولو كانت الاسماء يدخلها البلى
لقد بلي اسمي لامتداد زماني

ومالي لا أبلى لتسعين حجة
وسبع أتت بعدها سنتان !

اذا عن لي شخص تخيل دونه
شبيه شباب أو شبيه دخان !

فيا راغبا في العيش ان كنت عاقلا
فلا وعظ الا دون لحظ عيان

المصير محتوم ، والنهاية الابدية تتراءى على هيئة شبح أسود ، أسود فاحم ، يلوح بذراعيه العاتيتين عبر الفضاء الواسع ، فتحجب النور البهي والشم المتعش وهما أحسن ما تتميز به الحياة الدنيا ، ولذلك همس مودعا :

اصبحت والله محمودا على أمد
من الحياة قصير غير ممتد

حتى بقيت ـ بحمد الله ـ في خلق
كأنني بينهم من خشية وحدي

وما أفارق يوما من أفارقه
الا حسبت فراقي آخر العهد

انظر الي ، اذا أدرجت في كفن
وانظر الي اذا أدرجت في اللحد

واقعد قليلا ، وعاين من يقيم معي
ممن يشيع نعشي من ذوي ودي

هذه حياة شاعر لبيب أديب ، مر بدنيا الاندلس الزاهرة الراقية الفاتنة السعيدة فترك بصماته النورانية في الاوساط ، الاوساط الفكرية والفنية والديبلوماسية ـ بلغة العصر ـ والاجتماعية ، اثر فيها واثرت فيه نال منها ونالت منه ، وما غادر الحياة بعد نحو قرن ـ من الزمان ، حتى كان قد ارتوى من كأسها حتى الثمالة .

سلا : محمد بن أحمد الشماع

أزمة فكر أم فكر أزمة

للأستاذ أحمد تسوكي

— 1 —

في الحياة الثقافية والادبية والفكرية التي نعيشها ـ مبدعين او متلقين ـ غالبا ما تجد الاقلام في مناخ هذه الحياة وجوها ـ الصافي منها والكدر ـ فرصا عديدة لتناول بعض جوانب هذه الحياة نقدا وتحليلا ، فحصا وتمحيصا ، دراسة تنصع لهذه الحياة بما رحبت به ، او تضيف لها او تتطلع الى آفاقها تستشرفها وتحاول أن تتحسس الطريق اليها ـ كل قلم بأسلوبه الخاص ، ثم تحاول بعد ذلك أن تصل الى هذا الافق او ذاك وتتلمس وحها من وجوهه ، لتقضي فيه بعد ذلك كله قضاءها الفكرى وتقول فيه الكلمة الفاصلة : هل فيه ما يصلح للحياة حقا والبقاء والاستمرار ام ينعدم او يكاد ينعدم فيه كل بصيص من الضوء ، فتستبدل صدرا ، او تجد فيه شيئا من تلك الحياة وشيئا من ذلك البصيص من الضوء ... وتعود النظرة التي كانت من قبل متأملة شاخصة الى منطلقها معاودة المسير او موترة التوقف حتى تجلي ما يتراكم على الافق من غبار وتعتيم ، أو موتره التوقف لتقيم رؤية تقييمية لما مضى ، تاركة رؤية تقييم ما يأتي الى فرصة من الفرص او مناسبة من المناسبات .

في جو هذه الحياة ومناخها لا تعدم الاقلام وقفة من ضرب آخر ، هي وقفة السؤال او التساؤل وقد تكون لديها رصيد من الاحكام والآراء والفروض :

هل هناك أزمة فكر ام هناك فكر ازمة ؟ ! ويلح هذا السؤال او هذا التساؤل على هذه الاقلام ـ او على اصحابها ـ حتى يصبح او يكاد يصبح هو القضية وهو المسألة ، فيستبد بها حتى تكاد لا تجد نفسها هذه الاقلام قادرة على السير او التوثب الا اذا وجدت جوابا او اجوبة عن ذلك السؤال المرهق المضني ، ولكني اوتر ـ مع من يوثر ان يسميه قضية ، وهي قضية فعلا ، وكم من القضايا في حياتنا الثقافية والادبية والفكرية تطرحها أسئلة على انفسنا وهي قضايا ملحة !

ويشفي الا تخدع انفسنا فنقول انها قضية عابرة بامكان الزمن أن يمحوها ويطمس معالمها من الطريق ويزيح عبأها عن كاهلنا ، فهي ليست من تلك القضايا التي تنطوي على مثل هذه الطبيعة ، ولا يتعين علينا كذلك ان نهول منها حتى تصبح شغلنا الشاغل في حياتنا الثقافية والادبية والفكرية بصفة عامة ، فنضعف امامها وتحتوينا حتى تصبح غير قادرين على ادارة رحى هذه الحياة ، وبالتالي ننشغل بها حتى تكاد تصبح لدى بعضنا ضربا من اللهو والعبث الثقافي والادبي ـ وما اكثر هذا اللهو والعبث في حياتنا الثقافية والادبية ! ـ وتصبح لدى البعض الآخر حاجزا زجاجيا سميكا يحول بيننا وبين رؤية ما مضى وما يأتي رؤية سليمة واضحة ، خالية من الشوائب والوان الكدر القاتم .

ومـــع ذلـــك ...

تظل القضية ملحة على افهامنـــا واذهاننـــا ، مستبدة بها ، مقيدة اليها بسلاسل النظـــر والفكـــر والتدبير ، حتى يوجد لها جواب يشفي غليـــل ذوي الافهام والاذهان ، ويكون عندها قناعة بصواب الجواب على السؤال ــ القضية : هل هناك أزمة فكر أم هناك فكـــر أزمـــة ؟

— 2 —

لولا خشيتي ــ واكاد اقول خوفي ــ لقلـــت بداهة ان ما يتجلى لنا ونحن نعيش ونضطرب في جو الحياة الثقافية والادبية ومناخها ــ الصافي حينـــا والكدر حينا آخر ــ هو دليل على وجود فكر ازمـــة اكثر من دلالته على وجود أزمة فكر . ولاضيف بداهة ايضا : ان هذا حكم جاهز امسك به بداية هذا المبحث خلافا لما جرى به العرف والتقاليـــد في المجـــال النقدي أن يوخر صدور الحكم الى خاتمة المبحـــث والقضية ؛ ولكني آثرت ذلك حتى لا اضـــع القارىء امام اشكالية المصطلحات والمفاهيم النقدية الغامضة التي تختلف وتتشابك وتتعقد باختلاف وتشابـــك وتعدد اصحاب المصطلحات والمفاهيم التي تستخدم الآن في حياتنا الثقافية والادبية استخداما شنيعـــا يفرغها من محتواها ويجهض امكانياتها الذاتيـــة في البقاء والتاثير ، وتوظف في المجال النقدي توظيفـــا يسيء الى هذه المصطلحات والمفاهيم ثم يسيـــىء مرة أخرى وبشكل فادح الى حياتنا الثقافية والادبية، وهما اساءتان بالغتا الخطورة لو تمعنا قليلا في اجواء حياتنا الثقافية والادبية وتفاعلها مع هذه المصطلحات والمفاهيم التي تمت حينا الى النقد بصلة من الصلات، وتنتفي هذه الصلة احيانا اخرى وكثيرة ، فكثير من هذه المفاهيم والمصطلحات والمقاييس التي نسميها نقدية ونحاول تطويع ثقافتنا وادبنا الحديث أو القديم، تستمد روحها من العقائد والايديولوجيات والمذاهب المستوردة ــ نفسية كانت او اجتماعية او سياسية أو ادبية وحتى اقتصادية اذا صح القول ، وهو قول ليس غريبا ولكن له شواهد ودلالات قبما نقرا وفيما نعيش فيه من جوانب حياتنا الثقافية والادبية .

واظن اننا وضعنا ايدينا على نقطة حساسة جدا في طريق دراسة وتحليل الموضوع الـــذي نحـــن بصدده ، ما دمنا قد عرفنا وادركنا المنـــع الـــذي تنطلق منه الاصوات التي تزعم اننا نعاني ازمة فكـــر وتدعي اننا اسرى هذه الازمة بشكل او بآخر ، فهؤلاء الذين يزعمون ويدعون اننا نعاني ازمة فكرية منطلقون من مفهوم واضح صريح يلغي من حياتنا الثقافيـــه والادبية كل قيمه اصيلة لا تتطابق ولا تنسجم مـــع القيم والافكار التي يوللونها من قاموس اصطلاحاتهم ومفاهيمهم ومقاييسهم النقدية المشتقة بدورها من روح العقائد والمذاهب والايديولوجيات التي يتبنون مواقفهم النقدية منها ويأخذون منها ما يطابق احكامهم على حياتنا الثقافية والادبية ثم يخضعون اجواء هذه الحياة ومناخها الادبي والفكري لمقاييسهم الخاصة ؛ وهي مسالة نعتبرها جناية على هذه الحياة الادبيـــة فوق اعتبارنا اياها مغالطة تنطوي على ضرر كبيـــر واكاد اقول على شر كبير . ومما يزيد الطين بلـــة ــ كما يقال ــ أن تلك الاحكام وتلك المقاييس تختلط فيها وتداخلها النزعة الشخصية الخالصة ومضاعفات هذه النزعة العميقة وهذا الجنوح المرامي الى هيمنة الاتجاه الانطباعي الذي تعرف جميعا العيوب التـــي ينطوي عليها حين تتخذه قاعدة من قواعـــد نظرتنـــا النقدية والتحليلية الى الفكر والى ازمته في حياتنـــا الثقافية والادبية .

حين قلت ان ما يتجلى لنا في حياتنا الثقافية والادبية هو فكر ازمة اكثر منه ازمة فكر قلت ذلـــك وتحت يدي (مشجبان) نعلق عليهما مشاكلنا الثقافية والادبية والفكرية وكل ما يتصل عندنا بالنشاط العقلي والذهني المعبر ، وهما : ثقافتنا المعاصرة وعلاقتنـــا بالتراث ومشكلة المضمون في انتاجنـــا الثقافـــي والادبي . وهما مشكلتان اسالت الاقلام الغزير مـــن الحبر عنهما وحولهما ، وذهبـــت في تفسيرهمـــا وتحليلهما مذاهب شتى لا نرى ضـــرورة لعدهـــا وحصرها ، ولكننا نقصر القول على اتجاهين فيهمـــا نرضا انفسهما على الادباء والكتاب والقـــراء وعلى بعض صور الكتابة الادبية .

● الاتجاه الاول يرى أن (ثقافتنـــا المعاصرة) ينبغي أن تعزل نفسها عن التراث حتى تكون ثقافتنـــا ثقافة معاصرة حقا ، وهو موضوع آخر قد نخصص له دراسة خاصة عن معنـــى المعاصرة في الثقافـــة والادب ، واصحاب هذا الاتجاه يقولون به ويذهبـــون الى هذا الرأي بدعوى أن التراث جزء من الماضـــي وعنصر منه لا يجب أن « يقحم » نفسه في الثقافـــة المعاصرة اذا اردنا ان تكون هذه الثقافة معبرة عـــن عصرنا ، ومعبـــرة عن همـــوم الناس في حياتهـــم اليوميـــة !

وهو اتجاه متطرف ـ كما راينا ـ في رؤيته الى التراث ، لانه ينظر اليه على انه عنصر سلبي ليس له اي دور في اغناء واثراء حياتنا الثقافية والادبية المعاصرة ، وليس لديه ما يضيفه الى هذه الحياة . فالاحرى هنا ـ عندهم ـ ان نحكم على هذا التراث بالموات ما دام ليست له صلة بهذه الحياة الثقافية المعاصرة . وخلافنا مع اصحاب هذا الاتجاه خلاف يمتد الى الجذور العميقة المكونة لحياتنا الثقافية والادبية ، لانه يمس بفكرنا من اساسه ويحاول ان يهدمه او على الاقل ان يلحق به شوبها ؛ ويكفي للرد على هذا الاتجاه ان نستشهد بمثال واحد فقط هو ما يسمى عند الاوروبيين بعصر النهضة : هل كان عصر النهضة هذا وليد الصدفة أم كانت له اسبابه الذاتية والموضوعية ؟ هل قام الاوروبيون ـ بمحض الصدفة كذلك ! ـ بخلق ادب وثقافة لهم دون ان تكون لهذا الادب ولتلك الثقافة جذور بالفكر والثقافة الاغريقية القديمة ؟ اليس من مصادر هذا الادب وتلك الثقافة استمدوا عناصر نهضتهم الادبية والفكرية والثقافية والعلمية والفنية ، حتى شبت عندهم هذه الثقافة ونمت وامتدت اغصان شجرتها في الاجواء وسرى ماء الحياة فيها واخضرت ثم ازهرت ثم اعطت اكلها وثمارها ، ولو انهم أشاحوا بوجوههم عن الفكر الاغريقي وثقافته العقلانية الخلاقة لما تغيرت حياتهم الثقافية والادبية والفلسفية والفنية ، ونضيف لاصحاب هذا الاتجاه المتطرف في رؤيته الى تراثنا الفكري والادبي فنقول ان جزءا ضخما من التراث الاغريقي الذي استعان به الاوروبيون في خلق نهضتهم وصلهم عن طريق العرب والمسلمين الذين كانوا سباقين الى ترجمته والاستفادة منه في انطلاقتهم الحضارية الزاهرة التي امتدت من أقصى حدود آسيا الى الاندلس ؟ !

● أما اصحاب الاتجاه الثاني فلا يقل حظه من التطرف في رؤيته الى التراث من اصحاب الاتجاه الاول ، فيقولون ان التراث الادبي والفكري هو علاقة مقدسة يجب ان يمتد اثرها وتاثيرها الى حياتنا الثقافية والفكرية حتى تصبح هذه « القداسة » هواء تتنفسه هذه الحياة وتعيش به ، مهما كانت وبلغت حدة العوامل المتجددة التي تفرض نفسها على حياة الشعوب والامم . ونحن نقول ان في هذه الرؤية الى التراث نصيبا من الخطأ ينبغي علينا أن نعالجه ، فالتراث الادبي والثقافي ـ شأنه شأن أي تراث آخر ـ اشبه بوعاء محدود اتسع في وقته وعصره لشتى الوان الابداع والخلق والابتكار حتى امتلأ وفاض أو كاد ؛ ولا يتعين علينا أن نحمله أكثر مما يحتمل ويطيق ؛ هو وعاء خليق بنا ان نأخذ منه بالاسباب الكفيلة بضمان اضافة جديدة لا ان نحوله الى عبء على حياتنا الثقافية والفكرية يثقل هذه الحياة ويثقل على أصحابها حين يريدون الابداع والخلق . ويكفينا من هذا التراث انه يمثل ويجسد ظاهرة صحية ودلالات أصيلة وناضجة ، وبرهان على النمو والاكتمال ، واخذه المأخذ الذي يريد اصحاب الاتجاه الثاني فهو يشبه عندي أن نمضي الى الوراء لنجر عربة لقي حصانها حتفه الى حياتنا المعاصرة ونحاول ركوبها من جديد على علاتها !

ولعل المحاولات التوفيقية التي قام بها بعض مفكرينا ومثقفينا قمينة بان تضع حدا فاصلا بين مفهوم اصحاب الاتجاه الاول ومفهوم أصحاب الاتجاه الثاني في رؤيتهم وتفسيرهم لمعنى التراث ومدلوله والمدى الذي يمكن أن يصله في التأثير على حياتنا الثقافية والادبية والحضارية بصفة عامة .

اما المشكلة الثانية وهي مشكلة المضمون في انتاجنا الادبي والثقافي فهي في اعتقادي « مشكلة انتماء » بالدرجة الاولى . ذلك ان الاشكال الادبية تختلف وتتغير ، وتغير من الوان جلدها باختلاف وتغير الاجيال التي تتبنى وتتخذ هذه الاشكال أدوات للتعبير الادبي ، أما مسألة المضمون فرهينة بموقف الاجيال مما يقع في عصرها من متغيرات وطوارىء ؛ وقدرة انتماء هذه الاجيال الى صميم مجتمعاتها وطاقتها على استيعاب وامتصاص الدلالات الجديدة التي تطرحها وتفرضها المرحلة الجديدة التي يمر بها المجتمع الذي تعيش فيه هذه الاجيال وتحسب نفسها معبرة عنه وعن حركته وهمومه وآلامه وآماله، واضطرابه أو سكونه ، وتطلعاته أو جمود افراده عند نقطة معينة لا يريدون أن يتجاوزها اما لضعف تحس به وتستشعره أمام التحديات المطروحة واما لصعوبة تقييم الاختيارات الاساسية .

ولا اعتقد مطلقا انني قمت بحل عقدة المضمون ومشكلته في انتاجنا الادبي والثقافي ، ولكني اظن انني لمست هذه العقدة من خلال محاولتي ربطها بالعوامل والرواسب المؤثرة والفاعلة فيها .

— 3 —

فكر أزمة ؟! كيف ولماذا ؟!

من تلك المنطلقات الاساسية التي سبق لي ذكرها ، نستطيع أن نلمس أكثر طريقتنا نحن فكر الازمة وليس أزمة الفكر كما يشاع ويقال ويتردد في هذا المنبر أو ذاك من منابر التعبير الادبي والفكري.

ان الذين يزعمون أن في حياتنا الثقافية والادبية أزمة فكر مخطئون لسببين أساسيين .

أ — استعبادهم واسترقاقهم بروح النظريات والعقائد والايديولوجيات الواردة أو المستوردة على حد سواء واغترابهم المذهبي والعقائدي في هذه الروح الدخيلة وانتماؤهم الفكري والوجداني لخصومها الضيقة انتماء يبلغ عند بعضهم درجة التعصب الاعمى وما يصاحبه من قصور الرؤية وغموضها .

ب — انغلاقهم وانكماشهم في دائرة ذلك الانتماء والاغتراب دون محاولة الاقتراب من ضمير ووجدان امتهم وتراثها الادبي والفكري والحضاري ، وحتى اذا حاولوا الاقتراب منه نظروا اليه نظرة ازدراء واستعلاء تصل احيانا الى درجة الاستخفاف بهذا التراث واهانته وتجريحه ... وكل شيء يجوز !

فاذا كان الواقع الثقافي والادبي عندهم لا يمثله الا ذلك الاستعباد المطبق عليهم لروح فكرية حضارية غريبة عن هذا الواقع وعن مناخه الاصيل ، ولا يمثله الا انغلاقهم وانكماشهم في دائرة الانتماء والاغتراب لهذه الروح الدخيلة ... ... فلماذا ننتظر او نتوقع ان يصدر عنهم الا ما يشير ويمثل دلالات ذلك الاستعباد والانتماء والاغتراب والانكماش ؟!

لقد قلنا انهم اسرى رؤية فكرية ضيقة الى تراثنا أولا ، ثم الى حياتنا الثقافية والادبية ثانيا ، ونستخرج من ذلك أنهم يعيشون في الواقع فكر ازمتين لا ازمة واحدة ! وليس من الشعب أن نقنعهم بأنهم يعيشون ويعانون من فكر ازمتين حادتين ، ولكن الاقناع عندنا مشروط بقاعدة اساسية يجب ان تتوفر لديهم ، قاعدة فكرية تمثل وضوحا في الرؤية وانفتاحا معقولا ومقبولا يطبع عقولهم واذهانهم ، وطرحا كاملا وشاملا لاشكالية التعقيد القائم بين ايمانهم بوجود ازمة فكر او فكر ازمة .

اما نحن فنقول انه لا وجود لازمة فكر في واقعنا الثقافي والادبي ، فحياتنا الثقافية والادبية في هذا الواقع ، نابضة ، ملموسة نتائجها ، سواء شئنا ان ننظر اليها من زاوية مفهومنا للتراث او من زاوية مفهومنا للمضمون ، ولكي لا نخدع انفسنا لا نقول ولا نزعم أن هذا الواقع الفكري الذي نعيشه مقنع بالنسبة لنا ، فلا زلنا نطمح ونتطلع الى ما هو اجود واقضل محاولين تجاوزه بما يصدر عنا من الوان الابداع والخلق والاجتهاد — على قلة هذه الالوان — ولكنه — اي ذلك الواقع — لا يمثل لنا ولا يجسد لدينا اي شعور بوجود ازمة فكرية . ولا نحاول مطلقا افتعال واختلاف ازمة فكرية في واقعنا اذا رأينا هذا الواقع يبطيء في خطوات مسيرته او يقتر نشاطه لسبب من الاسباب .

بالاضافة الى ذلك ، فاننا نرى أن هذا الواقع الفكري الذي يمثل قناعتنا بأن التراث — أولا — عنصر ايجابي من عناصر النهضة والدفع — وان المضمون — ثانيا — باب مفتوح على مصراعيه يستقطب ويستوعب الاشكال التعبيرية الجديدة — اقول ان هذا الواقع الفكري هو تجسيد حي على مستوى الفكر بايماننا بالعقيدة والقيم والمثل النابعة والصادرة من وجدان هذه الامة الروحي والفكري ، ومن ضميرنا الوطني والقومي اليقظ ، لا نخشى على انفسنا من ضياعه بقدر خشيتنا من تفككه وفتته ، لان القوى الروحية الكامنة في هذا الواقع تشدنا اليه شدا عنيفا وفي نفس الوقت تتيح لنا ان نجابه التحديات الفكرية والعقائدية المتشابكة بايمان وثقة لا يتزعزعان، آخذين بعين الاعتبار التطورات التي يشهدها عصرنا في مختلف المجالات والحقول ، نواصل السير لنرمي بهذا الواقع ونسمو به الى آفاق ارحب واوسع، مستمدين طاقة السير من اشعاع فكرنا المغربي الاصيل .

— 4 —

ان كل أمة تريد أن تبني لنفسها حياة جديدة ، او تنهيا لتبدأ مرحلة جديدة من هذه الحياة ، تستهل — بادىء ذي بدء — مقومات البناء والاستمرار مما يكمن في ضميرها الوطني ووجدانها الفكري ، والاستفادة من العناصر الايجابية الكامنة فيهما لارساء قواعد هذا البناء واستمراره وتهيئتهما لتهييء حياة جديدة ، خصبة ، نامية ، حتى تضمن لنفسها

البقاء والوجود ؛ واخطر التحديات في اعتقادي التي تجابه امة في مثل هذه المرحلة الجديدة الدقيقة في حيابها هو خطر الازدواجية في التفكير ، والختلاق واصطناع ازمات مفتعلة في الفكر الوطني والقومي ، ومحاولة تمييع مصادر الفكر الوطني الاصيل وتفتيته حتى تتفسخ شخصية الامة ، ومحاولة عزل هذا الفكر الوطني الاصيل وابعاده عن الحياة اليومية للفرد ، حتى يتلاشى التفاعل الايجابي بين الفرد وفكره ، وخطر افتعال ازمة فكرية في الحياة الثقافية والادبية ؛ وهو خطر لا يهدد فحسب شخصية الفرد ولكنه يهدد كذلك شخصية الامة المتطلعة المتوثبة ، ولا يستهدف وجدان وضمير الفرد ولكنه يستهدف ضمير ووجدان الامة بأكملها ؛ لان الفكر مثل الغذاء المشاع بين الناس ولهم يجب ان يراقب شأنه شأن الافكار تماما ، وكما يعزل الغذاء الفاسد والخبيث من حياة الفرد والامة حتى لا ينشر السموم ، كذلك ينبغي عزل الفكر الفاسد والخبيث من حياة الفرد والامة ، حتى لا ينشري فساده وخبثه ، فتنهار شخصية الامة وتتحلل كما يتحلل الطين في الماء على حد تعبير ابن سينا !

احمد تسوكي

من أبحاث العدد التاسع

- تحريف التاريخ والعقيدة . . . . الدكتور ابراهيم حركات
- القاضي ابو بكر بن العربي (11) . . . للاستاذ سعيد أعراب
- كتاب مناهج البحث في اللغة . . . . تعليق للاستاذ محمد بن تاويت

منهجية تدريس اللغة العربية
في الشعب العلمية

اللغة الرابعة

للأستاذ محمد طمزة

ان تعلم اللغة انما يجيء عن طريق معالجة اللغة نفسها ، ويتأتى بمزاولة عبارانها ، ويظهر أن تعلم اللغة العربية للشعب العلمية انما تكمن غايته في مساعدة التلميذ على اكتساب اللغة ، وانماء رصيده منها ، وتفهم أسرارها لتكون له أداة طيعة تمكنه من نقل افكاره ، والتعبير عن مكنونات نفسه ومحصوله العلمي ، وبث ذلك في غيره بلغة سليمة قويمة . تضمن لما تلقاه وبلقنه البقاء والانتشار والذيوع في الناس ، فيستفيدون من تجاربه ، ويفيد مما قد يعارضونه فيه.

ان العربيين يدرسون اللغة بمطلق لغة وتعاليمها واستعمالها . ويطعمون العلوم باللغة ، ولا ينظرون الى كل منها نظرة جزئية انفصالية لان كل شيء في الدنيا يتقوى بقوة الروافد التي تصب فيه . والثقافة الصحيحة هي التي تسعى الى التكامل في جميع مناحي الحياة . والغرض من تدريس اللغة العربية للشعب العلمية هو نشر الذوق والمتعة بالنصوص التي تختلف من نثر وجنس العلوم .

ويبدو ان النص العلمي يمكن ان يؤدي دوره علما ولغة لو توفرت له شروط يتلخص بعضها فيما يلي:

1 — الا يكون طويلا ، فكلما طال النص ملّه العقل ومجته الاسماع « واحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره ، ومعناه في ظاهر لفظه ، وكان الله عز وجل قد البسه من الجلالة ، وغشاه من نور الحكمة على حسب نية صاحبه ، وتقوى قائله ، فاذا كان المعنى شريفا واللفظ بليغا ، وكان صحيح الطبع ، بعيدا من الاستكراه ، ومنزها عن الاختلال مصونا عن التكلف ، صنع في القلوب صنيع الغيث في التربة الكريمة ، ومتى فصلت الكلمة على هذه الشريطة ، ونفذت من قائلها على هذه الصفة ، أصحبها الله من التوفيق ومنحها من التأييد ، ما لا يمتنع معه من تعظيمها صدور الجبابرة ، ولا يذهل عن فهمها عقول الجهلة » . وقد قال عامر بن قيس : « الكلمة اذا خرجت من القلب وقعت في القلب ، واذا خرجت من اللسان لم تجاوز الاذان » (1) .

2 — الا يكون حديثا مرتجلا ثم يكتب كما ارتجل؛ لان الارتجال شيء والكتابة شيء آخر . ففي الارتجال تكرار ومعاودة للمعاني والالفاظ . وهذا مما ينبغي السلوك العام للعلم ومناهجه ، والحديث المرتجل ينتقد كثيرا من مقوماته بعد نشره مكتوبا ، فهو ينتقد التبويب والتنغيم ، والحالة العاطفية للمرتجل وهو يلقي كلامه ، كالزفرات والحركات الاشارية . « وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الاشارة ، وحسن الاختصار ، ودقة المدخل ، يكون اظهار المعنى . وكلما كانت الدلالة

1) البيان والتبيين للجاحظ ج 1 ص 83 بتحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط 3 — 1388 — 1968 . مكتبة الخانجي بالقاهرة .

اوضح وافصح ، وكانت الاشارة ابين وانور ، كان انفع وانجع . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعو اليه ويحث عليه . بذلك نطق القرآن ، وبذلك تفاخرت العرب ، وتفاضلت اصناف العجم.. فاما الاشارة فباليد، وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب ، اذا قاعد الشخصان ؛ وبالثوب والسيف ، وقد يتهدد رافع السيف والسوط ، فيكون ذلك زاجرا ، ومانعا رادعا ، ويكون وعيدا وتحذيرا ، والاشارة واللفظ شريكان ، ونعم العون هي له ، ونعم الترجمان هي عنه ، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ ، وما تغني عن الخط . وبعد فهل تعدو الاشارة أن تكون ذات صورة معروفة وحيلة موصوفة ، على اخلافها في طبقاتها ودلالاتها . وفي الاشارة بالطرف والحاجب وغير ذلك من الجوارح مرفق كبير ومعونة حاضرة ، في امور يسترها بعض الناس من بعض ، ويخفونها من الجليس وغير الجليس . ولولا الاشارة لم يتفاهم معنى خاص الخاص ، ولجهلوا هذا الباب البتة. وقد قال الشاعر في دلالات الاشارة :

اشارت بطرف العين خيفة اهلها
اشارة مذعور ولم تتكلم

فأيقنت ان الطرف قال مرحبا
واهلا وسهلا بالحبيب المتيم

وقال الآخر :

وللقلب على القلب
دليل حين يلقاه

وفي التعاس من الناس
متابيس واشباه

وفي العين غنى للمبر
ء أن تنطق انواه

وقال الآخر :

العين تبدي في نفس صاحبها
من المحبة او بغض اذا كانا
والعين تنطق والافواه صامتة
حتى ترى من ضمير القلب بيانا

هذا ومبلغ الاشارة ابعد من مبلغ الصوت . والصوت هو آلة اللفظ ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع ، وبه توجد التاليف ، ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما موزونا ولا منثورا الا بظهور الصوت ، ولا تكون الحروف كلاما الا بالتقطيع . والتاليف» (2) اذن، فالاحاديث المرتجلة غالبا ما تكون في التثقيف العام ، ولا تفيد كثيرا في غرس الاساليب اللغوية وتعليمها ، ولعل الجاحظ قد رصد هذه الظاهرة اذ يقول : « وكان ابو شمر اذا تازع لم يحرك يديه ولا منكبيه ، ولم يقلب عينيه ، ولم يحرك رأسه ، حتى كان كلامه انما يخرج من صدع صخرة ، وكان يقضي على صاحب الاشارة بالانتقال الى ذلك ، وبالعجز عن بلوغ ارادته ، وكان يقول : ليس من حق المنطق ان تستعين عليه بغيره ، حتى كلمه ابراهيم بن سيار النظام عند أيوب بن جعفر فاضطره بالحجة ، وبالزيادة في المسالة ، حتى حرك يديه وحل حبوته ، وحبا اليه حتى اخذ بيديه ، وفي ذلك اليوم انتقل أيوب من قول ابي شمر الى قول ابراهيم ، وكان الذي غر ابا شمر ومرد له هذا الراي ، ان اصحابه كانوا يستمعون منه ، ويسلمون له ويميلون اليه ، ويقبلون ما يورده عليهم، ويثبته عندهم ، فلما طال عليه توقرهم له ، وترك مجاذبتهم اياه ، وخفت مؤونة الكلام عليه ، نسي حال منازعة الاكفاء ومجاذبة الخصوم ، وكان شيخا وقورا ، وزميتا ركينا ، وكان ذا تصرف في العلم ، ومذكورا بالفهم والحلم » (3) .

3 — في حالة ترجمة النص ، يستحسن ان لا يقوم بها الا شخص ضليع في العربية ، ومتشرب لروح اللغة العربية ، ومدرك لاسرارها ومفاهيمها وبيئة اصواتها وملاظها ، لما في ذلك من تحد هائل يفرضه فهم المقامات المختلفة من علاقات اجتماعية ، ومقلية وذوقية ، وعاطفية دقيقة متشعبة ، لا يبتليها ولا يفهم مراميها ، ولا يحيط بها خبرا ، ولا ينفعل بها الا ابناء البيئة ذاتها . ويظهر انه من تضييع الوقت « البحث عن الالفاظ بدلا من الترجمة راسا من قبل اختصاصيين في الموضوع ممن عرفوا لغتهم جيدا ، ولو ان سلفنا في

2) المصدر السابق ج 1 ص 77 .
3) المصدر السابق ج 1 ص 91 .
4) مجلة اللسان العربي ج 7 ص 60 .

العبد العباسي عمل ما عملنا لما ترك لنا تراثا شامخا أدرك العالم المتحدث اليوم أهميته وقيمته » (4) . وتعلم مفردات اللغة يتم وفق قانون معين لا عن طريق وضعها وضعا تاثرا لا يخضع لقانون أو عرف . ان تعلم مفردات اللغة « ليس عملية مستمرة فحسب خلال ايام الطفولة ، بل خلال الحياة كلها . فاللغة تتسع باستمرار ويغير الاستعمال مدلول الكلمات ، ويضيف العلم باستمرار في اكتشافاته حقائق جديدة عن عالمنا ، كلمات جديدة في اللغة » (5) والمعركة الجديدة معناها كلمات جديدة ، والملاحظة الدقيقة تستلزم ما هو أكبر من ملاحظة التفاصيل ، انها تعني ايضا ادراك الصورة الكلية والقدرة على ربط التفاصيل بعضها ببعض لايجاد مدلول لها وتفهم ما بينها من علاقات . ان الترجمة علم تسبب فيه كثير من العلوم ، وقد يحدث اقل خطأ في الترجمة اعظم خطر في تاويل الاشياء وفهمها ، « وقبل تسعين سنة فقط ، اكتشف العالم الفلكي الايطالي « جيوفاني فيرجينيو سكيا برلي » ، رئيس مرصد ميلان ، وجود خطوط على سطح المريخ سماها «كنالي» وترجم هذا الاسم الى اللغات الاوربية الاخرى خطأ بمعنى « قنوات » بدلا من « خطوط » ، وقد تسبب هذا الخطأ في اثارة اهتمام العالم فجأة بالمريخ ، فطلع البعض من الناس بنظريات تقول بان المريخ مأهول بمخلوقات ذكية شقت تلك « القنوات » لري الكوكب الجاف ، وادت الاثارة برجل امريكي الى اقدامه على بناء مرصد في ولاية « اريزونا » خصوصا لدراسة تلك « القنوات » المزعومة ، وبالفعل تم تخليط 400 « قناة » منها ، بلغ طول بعضها 5000 كيلو متر . ورغم ذلك فشل بعض الراصدين في مشاهدة « القنوات »، وتوقف الامر عند هذا الحد ، وظل متوقفا الى ان اطلق الامريكيون في شهر نوفمبر عام 1964 أول سفينة لهم لسبر اغوار المريخ وهتك اسراره ، هي السفينة « مارينر 4 » قمرت في شهر يوليو عام 1965 على بعد يقرب من عشرة آلاف كيلو متر منه ، وفي اثناء ذلك ارسلت الى الارض 22 صورة سطحية غيرت الكثير من النظريات القديمة التي وضعت حوله ، ولم تظهر الصور الاولى اية دلائل او اثبانات توحي بوجود تلك « القنوات » التي اكتشفها العالم الفلكي الايطالي « جيوفاني فيرجينيو سكيا برلي » ولكنها اظهرت

عوهات براكين وعمما واخاديد» (6) يقول ماريان بيسر: ان العلماء لا يحصلون غالبا « على تعليم كاف في المهارات اللغوية ، ولذلك فهم يفشلون احيانا في التعبير لغيرهم عن اكتشافاتهم وملاحظاتهم بوضوح وجلاء .

وهدف التعبير العلمي هو الكشف عن المعاني وايضاحها ، وعرضها في الفاظ واضحة الدلالة ، بتفصيل الافكار الاساسية للموضوع ، وعرض جزئياتها ، والمام بالعناصر التي تتالف منها ، ثم بلورة هذه العناصر بعد ذلك في صورة كلية عامة تتجلى فيها وحدة الموضوع وتفصح عن وجودها ، ومهما يكن من شيء، فالعلوم لا تعيش وحدها بدون لغة ، بل ان للعلوم فضلا كبيرا واثرا ظاهرا في تنمية اللغة وتطويرها مادة واسلوبا لما تكسبها العلوم من دقة وجلاء وقوة ووضوح، والعلم يضيف باستمرار كلمات جديدة لتعبر عن الحقائق العلمية المستحدثة ، واللغة تقوى بقوة علوم اصحابها وحسب مدى سيرهم في معارج الحضارة ، والعلم والادب يتفاعلان ويحيلان ويلدان، شأن كثير من ظواهر الكون ومظاهر الطبيعة ، وبقدر تفاعلهما وتآزرهما تكون قوتهما وقوة اصحابهما ، فقد امتاز الاغريق بالادب والفلسفة والعلم والرياضيات في آن معا ، وعرف ذلك عند العرب في ايام ازدهارهم وعزهم ، ونرى مثل ذلك عند امم الغرب المتقدمة اليوم ، وليس ذلك مجرد صدفة ، بل لعدم استطاعة الانسان الجاد الاستغناء عما ينتجه غيره في شتى وجوه الحياة ، فالتجار يصنع بيتا ، والمخترع آلة ، والطبيب قد يكتشف دواء لمرض عضال اعيا غيره من الاطباء ، والمنطقي يضع مقياسا منطقيا والشاعر ينظم قصيدة ، فالافادة والاستفادة موجودتان الا ان اوجه الشبه لا تدرك اذا لم تدرك الفروق .

وعليه فللثقافة الادبية اثر ملموس ، وللمعرفة اللغوية ميزاتها في الاسلوب العلمي ، ويظهر بعض ذلك فيما يلي :

1 ـ الثقافة الادبية واللغوية تيسر التعبير عن الحقائق العلمية الدقيقة .

---

5) التنشئة العلمية ص 93 ، تاليف ماريان بيسر ، ترجمة احمد محمود سليمان ، الدار المصرية للتاليف والترجمة .

6) هنا لندن ، عدد 256 ص 23 ، فبراير 1970 .

2 ـ تتجلى الحاجة اليها حين يتصدى الكاتب للترجمة أو العالم للحديث ، فانها تعينهما على اختيار انسب المصطلحات ، ونقل المعارف في دقة وجلاء .

3 ـ تساعد على سلامة الاسلوب وخلوه من الاخطاء النحوية واللغوية التي تشينه وتحط من قدره .

4 ـ تمكن الكاتب في المسائل العلمية والنفسية والفلسفية والاجتماعية ونحوها من ترضيح المعاني ، وتيسير التعبير عن الافكار الغويصة المعقدة .

5 ـ لا شك ان ازدهار الحياة الادبية يؤثر في التعبير العلمي ، فالاساليب جافة عديمة النسغ والمائية في عصور الانحطاط والتخلص الفكري ، رقيقة جيدة في عصور الازدهار ، وفي تاريخنا ـ نحن العرب والمسلمين ـ عبرة وذكرى للذاكرين ! فالعلم والادب متكاملان ولا يجوز الفصل بينهما . وكل دعوة الى هجران الادب واهماله والعكوف على العلم المادي وحده ، ان هي الا حجة داحضة ، وقول للغو الرجيع في الانسان التي تدفعه الى كشف السر في نفسه وفي الكون ، بل هي واد للفكر وما يحوطه من تصور ، او يصنعه من تخيل او هي غفلة بالانسان في مهامه التحجر العقلي والانقباض الذهني كالرأس لا صحة فيه ، بل كلوم وحبط وجراحة طريئة لم تعصب ولم تعصب ولم تلين بدهن ، فالادب حلاوة الاذواق الرفيعة ، وبلسم القلوب الكليمة والعلم لا يعوته الادب ، بل يلطف جوه ويقويه . ومن منا يجهل اسرة بني زهر في الاندلس ـ مثلا ـ وقد لمعت في الطب ، والعلوم ، والكيمياء ، والطبيعة ؟ ! وكانت الى ذلك بارعة في الحديث ، والادب ، واللغة ، وقالت الشعر ، ولماذا نذهب بعيدا ونحن نعلم ان ابراهيم ناجي كان شاعرا وطبيبا ، وان أحمد زكي ابا شادي كان شاعرا ومربي نحل ، وان علي محمود طه كان شاعرا ومهندس مباني . ونجد عند الغرب اعلاما عرفوا بالعلم والادب على السواء ، منهم براتراند راسل الذي كان رياضيا وفيلسوفا ، وعالم اجتماع ، والبرت شفايتزر الذي كان قسيسا ، وعالم لاهوت ، وباحث موسيقيا ، وعازف أرغن ، وطبيبا ، ويظهران بليزباسكال لا يغيب عن الاذهان عند كل من يتحدث عن تفاعل العلم والادب .

فالعبرة ليست بالعلوم وحدها ، ولا باللغة وحدها منفصلة منزوية ، ولا بأي فرع من فروع المعرفة معزولا بعيدا عن الحياة ، وانما العبرة بمآتي نتاج العقل البشري في هذا الحقل او ذاك وبالجد وحسن الاختيار لطرق الاداء والايصال . لان حسن الاختيار دليل على لباقة العقول ، وقد يتم لنا التوفيق بين العلم والادب عن طريق النصوص التي نقدمها للناشئة ، ويحسن أن تكون مثل هذه النصوص مزيجا مما كتبه قدماء علماء العرب ومحدثوهم ، ولا عبرة بالكثرة ، فالقليل الجيد المحكم ، خير من الكثير المفكوك السعري والقديم لا يضيره قدمه اذا كان معبرا موحيا ؟ والكشف عن القديم وتقديمه للنشء في معرض يهي يرضي عنه نفوسهم يجعل أبناءنا يقبلون على علوم اسلافهم ولغة أجدادهم ، وينتفعون بها ليربط حاضرهم بماضيهم ، وليدركوا أن قومهم لم يقصروا وان رماهم القياس بالتقصير ، ولا يتم ذلك الا بمعاملة التراث والتوجه نحو المستقبل في شجاعة وعدم تردد . ولا ننسى أن التقدم في الحضارات التي يعتز لها وجه التاريخ كان انسانيا ومادما في آن معا في شتى العهود والاحقاب ، قديمها والحديث .

ان الحضارة كل لا يتجزأ ، هي تربة واحدة تنتج زهورا مختلفة لكنها متسقة متكاملة ، فالفكر يغذيها . والعلوم الاجتماعية تحفظ لها طابعها ، والتكنولوجية ترعاها ، ولا يتصور قيام حضارة عرجاء ، او مدنية هتماء تدور في المرعى ولا ترعى فتعتمد عنصرا واحدا دون سائر العناصر التي تعطي للحضارة مظهرها الاجتماعي الانساني الشمولي ؟ يقول المتاد : « انني انظر الى الدنيا نظرة فيها من الشمول اكثر مما فيها من التفصيل وان الحياة والزمان والعالم كلها عندي جملة واحدة متماسكة ، ليست المظاهر الفردية فيها الا اجزاء عارضة تنال قيمتها بقدرما تحتويه من ذلك الكل العظيم ، وكان الاشخاص والشخوص الفردية في هذه الصفة عملة الورق التي لا قيمة لها بذاتها ، ولا بالذهب الذي تمثله ، ولكنها قيمتها الصحيحة بالجيد الحي الذي تساويه والثروة العينية التي تدل عليها » .

ان جهود العلماء ورجال الفكر متساوية الى حدما ، بل ان اطار الفكر الانساني هو اكثر شمولا واتساعا ، وربما كانت سرعة التغير في العلوم التطبيقية هي التي طمست على هذه الحقيقة ، لان مثل هذه العلوم السريعة التغير مستعدة لها اكثر من غيرها مما ينتجه العقل البشري . فقد ينسخ بعضها البعض الاخر ، وقد يحل محله ، وقد يلغيه فيستغني عنه ، كما وقع في الانتقال من السفينة الشراعية الى السفينة البخارية ثم الى السفينة التي تسيرها الطاقة الذرية .

لذلك يجب الاحتفاء بالفكر الانساني ورعايته حتى لا يظل كالبذرة البعيدة عن تربتها ، عطشى لا يلقى اليها اهتمام . والتعامل مع الفكر من اهم الخطى الحضارية ولذلك نجد الغربيين يعتنون حتى بالافكار الساذجة البسيطة العفوية التي تصدر عن اطفالهم ، على حين اننا لا نفعل ذلك نحن ، بل نسخر من ذلك ناسين او متناسين ان تراثنا يقول : « خذ الحكمة ولو من افواه الصبيان » او « تعلموا الحكمة ولو من افواه المجانين » او « الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها » . فالفكرة ايا كانت ، ومهما كان مصدرها ، تعتبر صورة لتجربة او تعبيرا عن خبرة او جزءا من المعرفة ، موضعها من العلم كموضع القطرة من النبع ، او الماء البكيء من النهر .

ان كثيرا من المصطلحات العلمية وارد في كتب اسلافنا توفر علينا كثيرا من عناء البحث لايجادها من جديد ، وان ما كتب او قيل عن العلماء العرب القدماء لا يكفي ، فانه لم يزل في البحر من السمك اكثر مما اخرج منه ، والاكتفاء باللقمة الجاهزة تزيد من ضراوة الجوع ، والمحمود ان تنهل من معين قدمائنا ، وتقرأ ما كتبوه باقلامهم وخطوه ببراعهم ، فكتاب الحيوان مثلا للجاحظ ، وحياة الحيوان للدميري ؛ وعجائب المخلوقات للقزويني ، وغير ذلك من الكتب العربية القديمة ، تجمع الى جمال العبارة حسن الوصف ، وروعة السرد ، وبها عبارات تعبيرية بديعة ومصطلحات تعوزنا الحاجة اليها اليوم في عصرنا الحاضر المتسم بالنهضة الشاملة في شتى حقول المعرفة زيادة على ما في ذلك من احياء للتراث وبعث له ، وانه ما من امة رغبت في الخير ، وحرصت على ان تنال حظها من الحياة ثم سلكت لذلك مسلكا يقطع صلة ما بينها وبين ماضيها الا ضاع سعيها وتنكرت بها الاسباب

ومما لا شك في اهميته ورجحانه أن تجمع النصوص المتررة مما كتبه علماء العرب وخصوصا المتأدبون منهم ، في القديم والحديث ، ومما ترجمه الذين اتفق الناس على فضلهم وعلمهم ، للقدوة والاقتداء ، وتجير مكامن الابداع ، لان في مثل هذا العمل ما يجعل النشء يستشعرون الامجاد،ويطعمون الاساليب ويتفاعلون بماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم ، ويتعرفون على أرومتهم واصولهم فيدركوا ادراكا عميقا ان الانسان كلما زاد معرفة بتاريخه زاد معرفة بنفسه ، وكلما زاد فهمه لماضيه زادت قدرته على تصور مستقبله ، وليدركوا أيضا أننا لا نخرج من ابقاعنا احجارا متحجرة لا تستطيع التعبير عما تلقته من علوم ، او تنظر الى اللغة على انها وزر ينقض الظهر او الى الادب على انه ترفيه ثقافي .

محمد حمزة ــ الرباط

اقرأ في العدد التاسع

- نظرية الاصلاح الاجتماعي عند تاج الدين السبكي . . . . . للاستاذ فاروق حمادة
- مع الشاعر احمد الصافي النجفي . . للاستاذ محمد بن محمد العلمي
- نشأة المسرح المغربي . . . للاستاذ محمد العلمي حمدان

نماذج من الدعاة :

أبو حامد الغرناطي

د/ حماد اسماعيل الخطيب

انك لتعجب بعد ما تقرأ رحلة ابى حامد الغرناطى وتطلع على ما قام به هذا الرجل ـ كيف انه ظل الى الان غير معروف الا عند الباحثين والمتخصصين وجمهور محدود من القراء بينما هو لا يقل عن غيره من الرحالة المغاربة من حيث الاطلاع وسعة الرحلة بل هو يزيد عليهم ، اذ لم يكتف بالفرجة والسياحة بل كان قبل ذلك داعيا اسلاميا من طراز فريد .

ورحالتنا هو محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع التيمى الغرناطى ، ولد بها سنة 473 هـ وبها نشأ ودرس على مشايخ عصره وبلده وقد عرف بالذكاء والتدقيق فى الملاحظة ، ولم يصل الى سن السابعة والعشرين حتى غادر بلاده الاندلس فى رحلته الطويلة فى المشرق الاسلامى والذى لم يعد منه حتى وافاه الاجل .

رحل حوالى سنة 500 هـ واتجه نحو المغرب الاقصى ودخل سجلماسة ثم انتقل الى تونس وركب البحر منها الى الاسكندرية ، وبها اخذ عن أبى عبد الله الرازي وابى بكر الطرطوشى ، ومنها رحل بعد عام الى القاهرة وظل بها حتى عام 515 ثم اتجه الى دمشق واسمع بها الحديث ، ثم رحل الى بغداد التى سمع بها من ابى صادق مرشد بن يحيى المدينى وابى عبد الله محمد بن احمد الرازى .

وبعد اقامة استمرت أربع سنوات ببغداد انطلق فى رحلته الى هضبة ايران وبلاد التركستان وجنوب روسيا وحوض الفلجا وشرقي أوربا فى رحلة طويلة كان له فيها دور كبير فى التعريف بالمغرب والاندلس ، وقد كان يشعر ـ كشعورنا اليوم ـ بمدى الجهل بالغرب الاسلامى من طرف اخواننا فى المشرق ، وعبارته (ومولدي بالمغرب الاقصى بجزيرة تعرف بالاندلس فيها اربعون مدينة ومولدي فى مدينة تسمى غرناطة) فيها يتجلى بوضوح مدى ما يشعر به من ان المغرب غريب عن المشارقة لا يعلمون عن حضارته الا القليل .

ولعل هذا الشعور كان من الدوافع التى دفعته الى تاليف كتابه (المعرب عن بعض عجائب المغرب) وما أورد فيه من ذكر اعاجيب خيالية تتنزل منزل الف ليلة وليلة .

وربما كانت لغة التهويل هى الوسيلة لجذب القارىء وتعريفه ، وهو نفسه بعد رواية تلك المغريات يقول « والعاقل يعرف الجائز والمستحيل » على كل حال ، نقد الف ابو حامد كتابه فى المشرق ليعرف اهله ببلاده المغرب لكنه فى كتابه لا يتحدث عن المغرب فقط بل يستطرد لينتقل الى مواضيع مختلفة منها القلك ووصف بلاد اخرى .

واهم ما فى الكتاب وصفه للبلاد التى اقام بها اكثر عمره التي بآسيا واوربا الممتدة من خوارزم الى سهل المجر « وهو كلام دقيق يعتبر من الاسانيد العلمية التى يمكن الاعتماد عليها فى التاريخ لهذه النواحى ووصف خصائصها الجغرافية سواء كانت طبيعية ام بشرية »

ذاك كتابه الاول ، اما الثاني فهو « تحفة الاحباب ونخبة الاعجاب » وقد الفه نزولا عند رغبة صديقه عمر ابن محمد الخضر الاردبيلي وقسمه الى مقدمة واربعة ابواب :

الباب الاول : في وصف الدنيا وسكانها من انسها وجنهـــا .

الباب الثاني : في وصف عجائب البلدان وغرائب البنيـــان .

الباب الثالث في وصف البحار وعجائبها .

الباب الرابع : في وصف الحفائر والقبور .

ومن خلال هذا الكتاب والكتاب الاول سنتعـرف على ناحية من نواحي ابي حامد هي ناحية الدعـــوة الاسلامية وهي موضوع هذه العجالة :

لقد كانت الناحية الدينية تستحوذ على اهتمامـه فهو في اول الكتاب يتحدث عن امم السودان فيصف من احوالهم فيقول « غاوة وتوتو وملى وتكرور وغدامس فقوم لهم باس وليس في ارضهم بركة ولا خير ولا دين لهم ولا عقول » وعند ما يتحدث عن بلاد الصين يذكر احترام اهلها للتجار المسلمين وانهم لا ياخذون منهم المكوس ثم يقول : « فيا ليت ملوك المسلمين اقتدوا بمثل هـــذه السياسة الحسنة فهم كانوا احق بها » .

وبطول مقامه بارض روسيا صار اهلها المسلمون يسالونه في امورهم ، ويحكي في كتابه (التحفة 166 — 117) ما وقع له في (سجستين) وهي مدينة على مصب نهر الفولجا من ان نقيرا عثر على سوار من ذهب وبحث عن صاحبه فلم يجده فسال ابا حامد فافتاه بانه حلال له، فامتنع الرجل فقال له ابو حامد « اند به الاسرى من ايدي الترك ففرح وقال : بارك الله عليك فرجت عني كربـة فقلت : او ليس هنا من اهل العلم من يامرك بمثل هذا فقال : ها هنا من اهل العلم من يقول : اعطنا اياه نحن نعرف ما نصنع به وانما يريدون اكله ».

واستقر ابو حامد بهذه البلاد طويلا حتى اتخـذ فيها دارا واولادا ، ويتكلم عن سكانها ومنهم مغاربـة فيقول : « وفي المدينة (اي سجستين) من امم التجار والغرباء واولاد العرب من المغرب آلاف لا يحصـــى عددهم » .

وهذه اشارة لها قيمتها لمن يريد ان ينطلق منهـا نحو دراسة هجرات المغاربة الى بلاد اوربا الشرقيـة والوسطى وآسيا الغربية والشمالية .

وقد ذكر اثناء حديثه عن « انتورية » وهي هنغاريا ان بها آلافا من اولاد المغاربة وانهم يعلنون الاسلام ولا يخدمون النصارى الا في الحروب عكس الخوارزميـين الذين يكتمون الاسلام ويخدمون الملوك .

ويقول : « ولما دخلت بين اولاد المغاربة اكرموني وعلمتهم شيئا من العلم واطلقت السنة بعضهم بالعربية وكنت اجتهد معهم في الاعادة والتكرار في فرائض لصلاة وسائر العبادات واختصرت لهم الحج وعلم المواريث حتى صاروا يقسمون المواريث » .

لا شك ان هذا العمل استغرق منه زمنا ليـــس بالقصير وان عمله هذا كان انقاذا — الى فترة — لهؤلاء المغاربة من ضياع شخصيتهم وذهاب كيانهم وقد كانوا عندما اتصل بهم ابو حامد قد بدأوا ينسلخون عن كيانهم بنسيانهم للغتهم واحكام دينهم .

ونلاحظ العزة والانفة التي كانوا يتمتعون بها من عدم خدمتهم الا في الحروب التي يظهرون فيها بسالتهم واقـدامهـم .

ويذهب حسين مؤنس الى ان هؤلاء المغاربة من الجماعات التي كانت تقوم بالغزوات على شواطىء اوربا الجنوبية وتستقر في مراكز توالي غزواتها منها لتنطلـق بعد ذلك داخل اوربا تعمل لحسابها الخاص او تدخل في خدمة الدول القائمة .

هذه وجهة نظر ، ولها نصيب كبير من الصـواب ويبقى على الباحثين واجب البحث عن هؤلاء حتى يتـم التعرف عليهـم .

ولاشك ان المهمة الكبرى التي اضطلع بها ابـو حامد هي انقاذه لهؤلاء الآلاف من المغاربة ونشـــره للاسلام بينهم من جديد ، وكان من نتيجة ذلك كما يقول : « فعددهم اليوم اكثر من عشرة آلاف وكان يخطـب فيه يوم الجمعة ظاهرا وباطنا لان ولايتهم عظيمة » .

وقد ارتفعت مكانته هناك « فكان بمثابة الرئيـس الروحي للمسلمين » يدافع عنهم ويتوسط بينهم وبـين ملك باشغرد . ومن ذلك ان ابا حامد لما راى بعـــض المسلمين يشربون الخمر دعاهم الى تركه واباح لهـم الجواري واربعة من الحرائر ، وقد استجابوا لدعوته

مما جعل الملك ينكر عليه دعوته ويقول له : ليس هذا من العقل لان الخمر يقوي الجسد وكثرة النساء تضعف الجسد والبصر ودين الاسلام لا يكون على وفق العقل.

فكان من جواب ابى حامد ان النصرانى يشرب الخمر على الطعام بمنزلة الماء فلا يسكر والمسلم اذا شربه فهو يطلب لسكر فيذهب عقله فيزنى ويقتل ويكثر ويبيع سلاحه وفرسه فان أمر بالغزو فلا يجد سلاحا واما الجواري والنساء فان أولاد الجنود جنودك والخير فى كثرتهم .

وهكذا ـ بحيلة ـ استطاع أبو حامد أن يمنع المسلمين من شرب الخمر وذاك أسلوب فى الدعوة نهجه فى بلاد بعيدة عن المراكز الاسلامية وتحت حكم غير المسلمين .

وبعد عمر طويل توفى أبو حامد سنة 565 بدمشق وهو فى الثانية والتسعين من عمره .

تطوان ـ اسماعيل الخطيب

من موضوعات العدد القادم

- المثقف الوطني . . . . للاستاذ محمد حمادي العزيز
- ابجديـة متطـورة . . . . . للاستاذ عدنان الداعوق
- القصيدة عند شعراء مدرسة أبولو ..عرض الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

للأستاذ : عبد القادر زمامه

735 ـ التوحيدي يتحدث عن الادب الاندلسي .. !

وجدت أبا حيان التوحيدي فيما كتبه عن الصاحب بن عباد وابن العميد في كتابه : « اخلاق الوزيرين » ص 397 من طبعة دمشق سنة 1965 م يقول :

« ... فقلت انشدني الاندلسي ابو محمد لبعض شعراء المغرب بيتا ذكر فيه أشياء زعم انه لا حقيقة لها ... ! فقال : وما ذاك البيت ... ؟ فانشدته .. :

الجود والفول والعنقاء ثالثة
أسماء اشياء لم تخلق ولم تكن

فقال : أوفي المغاربة من له هذا النمط ... ؟

قلت : سألته عن هذا فقال لي :

ـ في المغرب من يقدم نثره على نثر ابراهيم بن العباس الصولي ... ! ويقدم نظمه على نظم ابي تمام !

فقال : فهل روى لك غير هذا ... ؟

قلت : نعم ... ! انشدني لشاعر لهم يعرف بأبي بكر محمد بن فرج بن طفيلي يعرف بابن الامام .

أفديك من متوجد غضبان
حتى يلوح له شباب دخان

يقتاده ثم القتار بأنفه
مثل اقتياد النجم للحيوان

وعلا الدخان «بشت طولة» مربيا
يبدي كمين مطابخ الاخوان

وبحنة الملهين جاسوس له
ينبيه أين تناكح الزوجان

صب الى الطوفان مرتاح الى الـ
ـجولان ، مضطغن على الحلان

تترى الاماميين حول ركابه
كالخيل صائغة ليوم رهان

لو يسمعون باكلة او شربة
بعمان ، اصبح جمعهم بعمان

زار الفتى القرشي لا لتعهد
منه ، ولا شوق الى لقيان

حتى اذا وضع الخوان تساقطوا
نهما عليه تساقط الذباب

ورايته من بينهم منحطا
في لقمة كانحطاط السكران

لم ينصرف لا وفي اكمامه
حمل ، وفي اعفاجه حملان

واخو ثقيف فر منه قاصدا
جبان ، لو اغنت قرى جبان

لو حل في نجران لم يبعد على
عزمات نيته مدى نجـــران

كالموت تسعى في التخلص جاهدا
منه . وتلقاه بكل مكـــان

تعجب من الابيات وقال :

ـــ ما ذا قال لك في تفسير « ثبت طولة » ... ؟
فقلـــت :

ـــ زعـــم انهـــا بليـــدة ...
قـــال :

ـــ فهـــا حـــان ... ؟
فـــ ـــت :

ـــ زعم انه مكان يعرف هكـــذا ...
قـــال :

ـــ اكتب الابيات وادفعها الى « نجـــاح » وكـــان خازن كتبـــه .... !

736 ـ الحوات يتفجع من غزو مصر ... :

وجدت في منظومة لابي الربيع سليمان الحوات هذين البيتين يشير بهما الى الغزو الذي قام بـــه نابليون في بلاد الكنانة .... ! ووصـــل صداه الى المغـــرب ... !

« فيا معشر الاسلام مدوا اكفكم
الى الله بالشكوى عسى يحلل الوعر

ولا تغفلوا بل استعـــدوا بقـــوة
وهل اخذت الا بغفلتها مصـــر »

737 ـ يشـــــــق ... !

وجدت في مخطوطة كتاب « ايراد اللال مـــن انشاد الضوال » لابن خاتمة :

« يشـــق : لفظة عامية .. يطلقونها على الذي يعقد به اللبن ... ! والعرب تسميه الانفحة بكسـر الميمزة . والحاء المخففة والمشددة .. ! »

738 ـ ابن حبوس وفتح المهدية

وجدت في كتب « اخبار ملوك بنـــي عبيـــد وسيرتهم » المطبوع بالجزائر سنة 1927 م ص 9

« وفي وضعها برج الاسد يقول ابو عبد الله ابن حبوس الغاسي في سيدنا الخليفة الامام الاول امير المؤمنين رضي الله عنهم :

بطالع السعد اختط البناء بها
لكنك الاسد الدامي الاظافير»

939 ـ ان الدخيل على البهائم يعرف ... !

وجدت في كناشة صديق عزيـــز :

« .... ومما قاله الشاعر الشريف القطريف سيدي عبد الملك البلغيثي :

اصبحت في صف البهائم راتعا
ارجو السعادة حيث لا تتخلف

قلت وقد شملت سواي بثوبها :
ان الدخيل على البهائم يعرف »

740 ـ في حديقة ابي الجنـــود ...

ووجدت في الكناشة المذكورة ...

« ... ومما انشده الاستـــاذ مولاي احمـــد الشبيهي في جنان السبيل بحديقة ابي الجنود بفاس هـــذه الابيـــات :

« بابي الجنود حديقة الافراح
تنسي الهموم وصولة الاتراح

فدع الشواغل واقتصدنه عشية
واصحب كتابك او انيس مراح

واستنشقن عرف الازاهر واقربن
من جدولي وادي الجواهر صاح»

741 ـ النزاع الرشاشية ... !

ووجدت في الكناشة المذكورة كلاما يتعلـــق ببعض آبار تاريخة بفاس :

« ... ومنها الذراع المثبتة بسوق العطارين من فاس المقيسة على الذراع الرشاشية التي بسارية من جامع قرطبة ... !

« والرشاشية مقيسة على الهاشمية التي بمصر من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .... ! »

742 ـ رزق مرخم ... !

ووجدت في الكناشة المذكورة ...

« وانشد بعضهم في رزق العلماء ...

العلماء كلهم من سادا
او لم يسد لم يبلغ المسرادا

فرزقهم « مرخم » منادى
« كيا سعا .. فيمن دعا سعادا »

والشطر الاخير مضمن من قول ابن مالك الطائي في « الالفية »

ترخيما احذف آخر المنادى
كيا سعا ... فيمن دعا سعادا

743 ـ كاف الكنوز . وكاف الكيمياء ...

ووجدت في الكناشة المذكورة :

« وللشيخ احمد زروق في التنبيه على اصحاب الشعوذة المشتغلين بالكيمياء واستخراج الكنوز ...

« كاف الكنوز وكاف الكيمياء معا
لا يوجدان. فدع عن نفسك الطمعا

وقد تحدث اقوام بأمرهما
وما اظنهما كانا ولا وقعا »

744 ـ ولا نظرت الى شيء ...

ووجدت في الكناشة المذكورة :

« ولابن جابر المكناسي :

تالله بعد احبائي الذين مضوا
وخلفوني رهين البث والحزن

ما ابصرت مقلتي من بعدهم حسنا
ولا نظرت الى شيء فأعجبني »

745 ـ تفتحت ابواب ... !

وجدت بخط احد الفضلاء ...

« ... وقال الكاتب ابو عبد الله سيدي محمد المسطاري المكناسي :

« هذه الكساوي خيمت بازائنا
تدعو هلموا ايها الكتاب

فاجابها عنا لسان الحال أن
عطف الوزير تفتحت ابواب »

746 ـ تحتاج للقصار ... !

وجدت في ترجمة الشيخ عبد الواحد ابن عاشر انه لما حج والتقى مع الشيخ عبد الله الدنوشري . وسأله عن اشياخه ، وذكر له منهم القصار . انشده الدنوشري لنفسه :

قد حاك شقة العلوم أيمة
وكسوا بها بالفضل من هو عاري

رقت حواشيها ورق طرازها
لكنها تحتاج للقصار

والبيتان مذكوران في « صفوة من انتشر » اليفرني ص 16

747 ـ باذناب البقر ... !

وجدت هذين البيتين منسوبين للقاضي عبد الواحد الحميدي في طالب كثير الجدال .... !

والبيتان منقولان من نزهة الحادي ص 146

« وصوت عثمان لدى المجالس
كصوت بلبال من العارس

ليس له فهم ولا له نظر
جزاؤه الضرب باذناب البقر »

748 ـ لمـــا بـــه ... !

وجدت في مصورة كتاب « الفتـــوح » لابـــن الاعثم الكوفي . وهو من رجال القرن الثالث الهجري، رسالة ، كتبها سعيد بن العاص الى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . جاء فيها :

« ... وان الاشتر كان بينه وبيـــن صاحـــب شرطتي كلام ومراجعة في شيء لا أصل له . فاغرى به الاشتر سفهاء اصحابه واشرار اهل المصر . حتى وثبوا عليه وانا جالس فضربوه حتى وقع لجنبه .. !

وهـــو لمـــا بـــه ... !!

749 ـ من شعر ثاني ملوك بني الاحمر .... !

وجدت في مخطوطة « ديوان الصبابة » لابـــن ابي حجلـــــة .

« قال الشيخ اثير الدين ابو حيان :

كان السلطان ابو عبد الله محمد بن الســلطان الغالب بالله احد ملوك الاندلس . جميلا ، حســـن السياسة متظاهرا بالدين . رايته مرارا بغرناطة ..! وانشدته شعرا ... ! وحضرت عنده انشاد الشعراء .. ومن شعـــره :

ايا ربة الخفر التي اذهبت تسكـــي
على اي حال كنت لا بد لي منـــك

فاما بذل وهو اليـــق بالهـــوى
واما بعز وهو اليـــق بالملـــك

750 ـ بين العود والخشب ... !

وجدت في التقريظ الذي كتبه ابو عبـــد الله عبد السلام بن احمد العمراني لكتاب الدرر البهية في آخر الجزء الثاني منها هذين البيتين :

« فان فطنتم للحن القول بان لكم
فضلي . ودلكم طلعي على رطبي

وان شوهتم فان العار فيـــه على
من لا يميز بين العود والخشب »

فاس : عبد القادر زمامة

بمناسبة ذكرى 25 غشت :

الزبرقان

للأستاذ أحمد زياد

لا أعرف من سماه بهذا الاسم أو لقبه بهذا اللقب العجيب والطريف ، ولا أدري أين هي الصلة الوثيقة أو غير الوثيقة التي تربط بين شخصية الزبرقان التاريخية وبين صاحبنا الذي كنا نحن جماعة من المناضلين نسميه « ببولجية » أكثر مما كنا نطلق عليه اسم الزبرقان ، أما اسمه الاصلي أو العائلي « علي » فلم يكن ينادي به أحد ، لانه لم يكن ليدل عليه ولعله هو نفسه لخذ ينسى ان اسمه علي ، ولئن كنا اصطلحنا على تسميته « ببولجية » فان هذا الاصطلاح ظل فيما بيننا نحن الاقلية،ولم يكن لنا بد من ان ننادي شخصيا ومع الآخرين باسم الزبرقان تمشيا مع الاغلبية .

كان طويل القامة في هزال طبيعي ، ذا عينين نافذتين وان كانتا ضيقتين ، ينبئان عن ذكاء في شكل دهاء ، أغرب السيمات في تقاسيم وجهه الذي كان في حجم كرة بيضاوية الهيئة ، انك لا تستطيع أن تميز بين حالتي العبوس والطلاقة في معالمها ، كما انه كان من الحرج أن تساله عن حل هذا اللغز المحير في شخصيته اضف الى ذلك انه كان قليل الكلام وقليله جدا .

حتى انه لم يكن يتكلم الا اذا كان مضطرا اضطرارا ولشدة رغبته في الايجاز والاختصار وعبابه بحكمة الصمت الذهبية فان الزبرقان كان يفضل أحيانا اشارة برأسه أو بيده سلبيا أو ايجابيا على تحريك لسانه ولو « بلا » أو « نعم » وبدون شك فان صاحبنا لم يكن عبيا ولا مندرجا في « حزب باقل » العربي الذي كان العرب القدماء يضربون بغباهته المثل الذي اصبح سائرا فيما بعد ، وانما كان اقتصاده الكلامي يكون صورة من صور ذكائه ودهائه ، ولكن ما هو المستوى الفكري لهذه الشخصية التي يظهر انني حريص على ان اعمق صورتها في ذهن القارىء تعمقا ؟

انه لا يعدو مستوى مدرر القرية وهي « وضيعة» كان ما يزال الزبرقان — بلغة الاغلبية وببولجية بلغة الاقلية — يشغلها في أول مناسبة تعرفت عليه فيها ، وفاتني أن ابرز صفة اخرى من صفاته وهي الكتمان ذلك انه كان بحق وحقيق بئرا عميقا بأسراره وبأسرار غيره ، ولهذه المميزات كلها فان بعض الاخوان من ذوي الفراسة التي لا تخطىء رشحوه للقيام بمهمة خطيرة وجسيمة وحساسة ، وهي مهمة يمكن نعتها ووصفها بالاستخبارية ، التي تعني بلغة العصر الجاسوسية وضدها ، ومع أن هذا الاسم يبدو كبير الحجم بالنسبة لصاحبنا ، فانه استطاع أن يضطلع بالمهمة ، وذلك بالرغم عن الظروف الصعبة التي كان يعيشها المغرب وخصوصا من بداية سنة 1950، وهي السنة التي احتدم فيها الصراع بين السلطات الاستعمارية والقوات الحية في البلد ، وفي طليعتها محمد الخامس قدس الله روحه لتبلغ ذروته سنة 1953 . ففي تلك الظروف التي نشطت فيها اجهزة التجسس الاستعمارية واصبحت تحصي الانفاس على كافة المناضلين عبر كافة انحاء المغرب كان ولابد للحركة الوطنية من ان تأخذ حذرها وتبذل كل ما في وسعها لامتلاك المعلومات تفاديا لهجمات

واحتراز من الوقوع في فخاخ الدسائس والالغام الى جانب الحصول على ما يساعد على كشف خيوط المؤامرة الكبرى التي كانت تدبر يومئذ وتعريبها في الخارج امام الراي العام العالمي ، وهي معززة بالوثائق والمستندات والوقائع المصورة .

وحين قدم لي الزبرقان شخصيا وتاملت ملامح وجهه ثم حادثته بشيء من التطويل ، ليجيبني بجمل وكلمات برقية مختزلة ، آمنت بفراسة صديقي الذي كان قد بادر الى ترشيحه للمهمة وبقدر متزايد من الحماس .

الا انه كان على المسؤولين في جهاز « المخابرات الوطنية » في تلك الفترة أن يحددوا الرقعة الجغرافية التي يمكن لصاحبنا أن يمارس نشاطه فيها بحيث تكون مضبوطه ضبطا دقيقا ومناسبة وملائمة لشخصية صاحبها وسرعان ما اندهش المسؤولون وهم يعتمدون نتائج النقاش في هذا الموضوع حينما ورد من صاحبنا طلب الكلمة عن عجل ، وسرعان ما كانت دهشتي اكبر واعظم حينما قال الزبرقان انه رهن الاشارة ليقوم باية مهمة تسند اليه ، الا انه يجب ان يكون ميدانها معروفا لديه أو قريبا من العياذين والجهات التي يعرفها جغرافيا وملم الماما كافيا او مناسبا بعاداتها وتقاليدها وبا حبذا أن تتاح له الفرصة ليظهر مواهبه في منطقة الجنوب ، ولم يكن بد من الاستجابة لرغبته هذه ، وعلى الفور وللتو ، بدا الزبرقان يمارس مهمته التي كان يعتبرها بعض المسؤولين الوطنيين مجرد تجربة قابلة للنجاح مثلما انها قابلة للفشل ، في حين ان الزبرقان كان يعتقد في قرارة نفسه وطبتا لما كانت توحي به ملامحه البليغة في الاعراب والتعبير عما يجول بخاطره ، انه يضطلع بهذه المهمة .

وبما ان الوضعية السياسية في تلك الفترة وبداية من سنة 1950 كانت في الاشهر الاولى من حملها للازمة الخطيرة التي تمخضت عن مولد سفاح في سنة 1953 فقد كانت تتطلب الكثير من الحذر والاكثر من التحري والاستعداد لجميع الطوارىء التي كان الطقس السياسي ينذر بوقوعها ، وينبيء بان ساعتها آتية لا ريب فيها ، وانها هي ساعة الصفر لا غير .

واخذ شريط الاحداث يتوالى وهو يحمل في كل اسبوع وفي كل شهر من جميع انحاء المغرب المشاهد الاولى من تلك المسرحية التي كان يلوح من خلال مناظرها انها ستكون من النوع الدرامي الكوميدي ؟

وسرعان ما انفجر الزبرقان ، «وغطس» في خضم الاحداث و « تخصص » في ناحية الجنوب ليفجر فيها عنصر عبقريته ، وبشاء المخطط الاستعماري فيما بعد ذلك وخلال عمليات التمرد وعواصفها الهوج التي اجتاحت البلد وهي غاضبة حانقة سنة 1953 ، ان تكون منطقة قواعد لمعتقلات سياسية رتبت سلالمها سلطات بونيفاس ترتيبا كان ولا شك حصيلة متاوي فقهاء السياسة الاهلية ، فكان نصيب بعض المناضلين في هذا المعتقل ، ولم يكن في ذلك بينها كان مصير آخرين هذا السجن دون ذلك ، فلم يكن بد والحالة هذه من ان يعاني المناضلون عزلة خانقة خصوصا وان الخطة اعتمدت تصدير المعتقلين الذين ينتمون بحكم مساقط رؤوسهم الى الشمال ، « وتوريد » الشماليين الى نواحي الجنوب ، وكان الزبرقان في هذه الظروف قد « ارانا حنة يديه » وتحدى في صمت بعض الاخوان الذين كانت سيماهم في وجوههم ، تعبر عن شيء من الشك والتحفظ ، اذ ما كادت سنة 1952 تطل برأسها وعواصفها الهوج في شهر دجنبر من تلك السنة حتى كان الزبرقان يتوفر على « مصالح استخبارية » في العديد من جهات الجنوب بداية من مراكش الى اقصى نقطة في اكادير ، وما ان صدرت اليه التعليمات بمحاولة الاتصال بالمعتقلات ومعرفة ما يجري بداخلها واسماء من هم محتجزون فيها ، حتى بادر الى تحريك اجهزته وشبكاته في كل اتجاه ، ودارت الايام لتظهر انها اجهزة وشبكات ذكية ونشيطة ، فبالرغم من الحصار الذي كان مضروبا عن المعتقلين مرادي وجماعات ، وبالرغم عن نوعية العزلة الفريدة من نوعها ، فان اعوان صاحبنا الزبرقان وعيونه الراصدة وأظره ذات الكتاءة قد استطاعت أن تكتسب لها عيونا واعوانا داخل المعتقلات نفسها ومن حراسها في اغلب الاحايين ، وسرعان ما اخذت حصيلة محترمة من البريد تصل الى المركز العام اما عن حالة المعتقلين وظروف معاشهم وانتمائهم الجهوي مع اسمائهم طبعا، واما في شكل تقارير عن الوضع في تلك الجهات .

وبمرور الايام لوحظ ان هيمنة جهاز مخابرات الزبرقان تزداد على جميع « القنوات » التي ترتبط بقواعد المعتقلات على اختلاف مواقعها في الجنوب ، بل ان هذه الهيمنة قد تجاوزت ما لم يكن بتصوره احد حتى اولئك الذين لم تساورهم الشكوك أول الامر في قدرة الزبرقان وكفاءته وموهبته ، ذلك ان اجهزة تلك « المخابرات » كانت تتسبب في وقوع « انقلابات » داخل المعتقلات تنتهي بابعاد تشكيلة الحراس او البعض

منهم كلما توجست خيفة من سلوكها ، وهي «انقلابات» كان بعض المراقبين المدنيين من حكام الدوائر والملحقات يساهمون فيها تارة « شاعرين » ، واخرى مساقين ؟

وهكذا فقد نشطت حركة الصادر والوارد من المعتقلات ولم يكن بد من انتهاج اسلوب « الرقاصين» الذين كانت تناط بهم مهمة تبليغ الرسائل في المغرب قبل بزوغ عهد المواصلات الحديثة .

ولم نكن نبحث في التفاصيل وكيف يصل « الوارد» و « الصادر » من الرسائل المتبادلة فيما بين الوطنيين المعتقلين والقلة القليلة ممن اخطأتهم مناجل الحصاد في عملية قمع حصادي ، الا انه كان شتويا على غير قياس في مواسم الحصاد الصيفي .

لم نكن نبحث ولم نكن نستفسر لا « الرقاصين » ولا رئيس الجهاز الاستخباري وعميده الزبرقان ، لاننا كنا نعتبر ان ذلك من « أسرار المهنة » .

ولمدة تقرب من السنتين استمر نشاط ذلك الجهاز وكان يظهر من خلال قرائن الاحوال وارتفاع « الوارد » الى درجة اصبح معها ميزان مدفوعات « الصادر » من طرفنا تعاني عجزا ، بل اننا اصبحنا عديمي في بعض الاحيان للمعتقلين الذين عادوا يلحون على تسديد الديون باخبارهم بأي شيء ، خصوصا حينما اقترب موعد وقوع الواقعة في شهر غشت من سنة 1953 واخذ الافق السياسي يزداد تجهما واكفهرارا ، وكل سيمة من سيماته تنذر بقرب انفجار الصاعقة التي كانت تشرة أحوال الملقس السياسي تنبأ بها .

وظروف خاصة كهذه كانت تقتضي الزيادة في الاحتراز والتحري ، وهذا ما اشعر به الزبرقان وهو في رحلة من رحلاته الباطوطية عبر نواحي الجنوب ، ومع ذلك فانه ابى الا ان يقطع رحلة من رحلاته بعد ان تلقى التعليمات التي تعيد الرفع من حالة الطوارىء حتى القمة ، ويقدم بنفسه الى المركز العام ، ليتعرف بالضبط على ما يمكن عمله في حالة ما اذا « وقعت الواقعة » وانفجرت العاصفة .

ولاول مرة سنحت لي الفرصة ان انفرد بالزبرقان واسهر معه في ليلة بأكملها في منزلي فتح لي قلبه فيها وحدثني احديث ذات شجون عن مغامراته واساليبه في العمل ، ولاول مرة اكتشف في الزبرقان خصلة سماها المرحوم علي عبد الرازق « بالعبقرية العملية » ولاول مرة رأيت الزبرقان وهو يحدث اكثر مما يسمع على خلاف عادته ، ولاول مرة رايته يحلل الوضع السياسي في المغرب تحليلا علميا يربط بين المعطيات في الحاضر ، ونتائجها في المستقبل على المدى المنظور ، ويصنف العناصر التي يتالف منها الهيكل السياسي تصنيفا دقيقا ، ويحفر لكل منها مجراه في ساحات الاحداث ومساربها ودوربها ، ويترصدها من المنبع الى المصب ، الامر الذي جعلني اصاب بانذهاش كان ينقلني هنيهة بعد اخرى الى حالة من الذهول ، ثم اخذ يقص علي بعض الوقائع من مغامراته واساليبه في التبشير الوطني والتوعية السياسية وتعميق مشاعر النضال في المواطنين .

ولئن غابت عن الذاكرة او امحت بعض تلك الوقائع فان واحدة منها ما تزال تتراقص في مخيلتي ولم تستطع السنوات التي مرت عليها ان تحجبها ، وان كانت العناكب الزمنية قد نسجت خيوطا شفافة حولها.

حدثني الزبرقان فقال :

كان من بين المعتقلين صديق عزيز علي ، وكنت على اثر من الشوق لرؤيته بل ان رؤيته اصبحت امنية عزيزة هي الاخرى .

ومع ان الرسل كانت تسير بيني وبينه ذهابا وايابا وفي منتهى السهولة الا ان هذه الحالة لم تكن لتشفي غليلي ، وتحت الحاح من شعور باطني اخذت اضع المخطط وافكر في الترتيب لزيارته في معتقله .

ولما فاتحت صحابي في هذا الامر لم يخفوا تحفظهم ، وان من خلال ملامح وجوههم ، وبما انني كنت مصرا على تحقيق تلك الامنية فقد طلبت منهم وبشيء من الاستجداء ، الذي لم يكن من طبعي ، والذي اصطنعته اصطناعا مسايرة لمشاعري ، ويظهر ان صحابي قد اقتنعوا ، بعضهم على امل ، وبعضهم على مضض ، ولم يكن المعتقل بوضعه الجغرافي ليجعل من تحقيق الامنية امرا سهلا ، ذلك انه كان منعزلا وعاريا ولا تفصله عن مركز الحاكم الفرنسي سوى ساحة صحراوية الشكل بينما لم يكن حراسه كلهم سابحين في الفلك الزبرقاني « وجهازه الاستخباري » بالرغم عن سعة هيمنته على العدد العديد من رجال الحرس على اختلاف انتماءاتهم الاقليمية ولهجاتهم التخاطبية .

ونظرا لاهمية المعسكر وخطوريته فقد التئم « مجلس حربي » بعيدا عن الاعين حيث جرى اخذ ورد ونقاش عميق ومعمق واستعراض لجميع الملابسات والاحتمالات ، ووضع العديد من التساؤلات السلبية

ومقابلها من الاجوبة الايجابية ، واخيرا حصل الاتفاق على خطة كانت هي وحدها الكفيلة بتحقيق امنية صاحبنا وكانت خطيرة ورهيبة في اعدادها ، واكثر خطورة ورهبة في تنفيذها ، وتتلخص في ان يتولى الزبرقان نفسه دورة الحراسة في المعتقل في ليلة الاحد ويقوم مقام الحارس الرسمي الذي كان لحسن الصدف يشبهه في عينيه الضيقتين ولحيته المسدولة ولونه القمحي وبنيته في الطول كما في العرض على السواء .

الا انه كان ولابد من ان يجري عملية تمرين على دور الحارس قبل القيام به فجرب صاحبنا « اللبسة الرسمية » للحارس بسترتها وبنطلونها الفضفاض وحزامها الجلدي ذي اللون البني ، وعمامتها الصفراء وحمل البندقية واخذ يجربها بناء على تعليمات من « الحارس الاصلي » رفعا وخفضا مع ترديد ما يلزم من كلمات السر الاخرى ، حتى اذا اجتاز هذا الامتحان بنجاح ، وضعت عليه اسئلة كان يجيب عليها ويزيدها من افكاره وتحليله التي كانت تفترض المأزق لتجد لها الحلول اللازمة .

وحل اليوم الموعود وحلت الليلة الليلاء واختيرت ليلة الاحد لان الحاكم الفرنسي وخليفته غالبا ما يقضيان « الويكاند » والعطلة ، اما في عاصمة الملحقة او في عاصمة الناحية ، ومنذ الصباح الباكر والاعين الراصدة ساهرة على كل حركة للحاكم وخليفته وصباحيهما وحراسهما وانصرم النهار بأكمله وأقبل الليل ليحط بكلكله فوق ذلك الموقع الصحراوي ، الا انه لا الحاكم ولا الخليفة لم يغادر منزله ، الامر الذي يدل على انهما آثرا قضاء العطلة في عين المكان ، وهو احتمال كان واردا ووقعت دراسته خلال انعقاد « المجلس الحربي » الا انه كان مستبعدا اكثر مما كان محتملا . والآن وقد اصبح واقعا وبما ان الواقع لا يرتفع فما العمل ؟ وبدأت الاتصالات الاستعجالية تجري فيما بين الاطراف المعنية ، في موضوع هذه الحالة ، وهل يحسن تأجيل العملية ، ام لابد من السير فيها قدما الى النهاية ، ولكن لا يفاجأ صاحبنا بموقف « رجعي » من طرف جماعته فانه يادر الى استخدام جميع وسائل الاقناع ، وكان اسلوبه في اقناع اولئك الناس عجيبا وغريبا وساحرا على ما حكي لنا ، حتى ان تجاوبهم الروحي معه كان أعجب وأغرب ، ومن ضمن ما استخدمه واستدل به : مطاردة كفار قريش للنبي صلوات الله عليه وسلم وابي بكر وهما في طريقهما من مكة الى المدينة ، وكيف اختبئا في الغار وما كان من امر وقوف المطاردين على حافة الغار نفسه ، وكيف ان الله سبحانه اعمى ابصارهم .

وبما ان الناس في ذلك الوقت وحتى الموظفين وصغارهم كانوا يستجيبون لمثل هذا الاغراء الروحي بنفس القدر الذي اصبح فيه الناس اليوم يستجيبون للاغراء المادي فانهم قد اقتنعوا ، وتقرر السير قدما في تنفيذ الخطة .

وهنا موقف صاحبي ليلتقط انفاسه باحتساء جرعة أو جرعتين من كأس الشاي الذي كانت درجة لسخونة نفسه في انخفاض ، أما انا فلم اشعر الا ووجدت نفسي استعجل الزبرقان في مواصلة حديثه ، لانني كنت اشعر وكأنني اتتبع قصة من مغامرات ارسين لوبين ، وبعد ما رد علي بابتسامة مشرقة يشع منها نور الايمان الذي طالما لاحظته في ملامحه ، واصل حديثه

وما ان حلت الساعة الموترة حتى كنت بداخل المعتقل متأبطا بندقيتي متحليا ببزتي ومعمما بعمامتي ، ومنتعلا نعلتي ومتمنطقا بحزامي الجلدي البني ، والى جانبي مساعدي في الحراسة وكان اسمه ويا لعجب الاقدار ، « أمان الله » ، حتى اذا لف السكون الموقع وما جاوره وان كانت الانوار ما تزال تنير في مسكن الحاكم دالة على انه يتفنى سهرة ساهرة ، اقتحمت الباب على صديقي العزيز ، فظن اني حارسه الليلي ، وبكل يقين فانه كان ما يزال يراود نومه على نفسه فوقف مرعوبا وهو يردد ماذا حدث ؟ ذلك لان الجميع وحتى المحتجزين في السجون والمعتقلات كانوا يترقبون الحدث المخيف ويترقبون العاصفة بعد ما كانوا يعيشون رياحها الهوج .

وهدأت من روعه وحرصا على الوقت الثمين لم أتأخر من التعريف بحقيقة هويتي ، وتداخلنا في عناق طويل ثم فجرنا همومنا واحزاننا وشجوننا في احاديث طويلة كانت تشفي في مجموعها بعلامة استفهام حول الواقعة المنتظرة وما بعدها ، وما هو العمل فيما اذا وقعت الواقعة وانشغلت الازمة ليجرع الاستعمار الشعب كأسا حمى الثمالة . وبعد دراسة مستفيضة للمشاكل والحلول ودعت صاحبي ، بعد أن رتبت معه « أمورا » كانت تستحق الترتيب ، الا ان الطمع البشري الراسب في النفسية الانسانية والذي شخصه الحديث الشريف في انه لا يملأ بطن بني آدم سوى

القراب ، استطاع أن يدفع بي دفعا الى زيارة وطني آخر كان يقيم في نفس المعتقل ، وان كانت معرفتي الشخصية به غير راسخة ولا شبيهة بها ، وبالطبع فان سروره كان عظيما بهذه الزيارة وسر اكثر من ذلك حينما وجدني اتوفر على معلومات عن الوضع في قريته وافراد عائلته وفي هذا الوقت الذي بدأت اشعر فيه بلذة الانتصار في نجاح الخطة اذا بالحارس « أمان الله» يقرع علينا قرعا ولكأنه في حالة مطاردة ، وما أن فتحت عليه حتى اخذ يردد : الحاكم ، الحاكم، فاسرعت خارجا وانا اردد السؤال ، اين هو الحاكم ، اين هو ؟ فاجاب انه في باب المنزل يودع خليفته وفهمت من اشارته انه سيعرج على المعتقل ، وهو يقوم بمثل هذه الزيارة المفاجأة من حين لآخر ، فلم يسعني الا ان اطلب منه الوقوف في محله خارج الباب على أن ارابط بدوري في داخل المعتقل ، وبما ان الحاكم يجيد اللهجة المحلية فكان لزاما علي أن اتذكر معلوماتي منها حتى لا يتفضح أمري وذلك فيما اذا آثر ان يخاطبني بتلك اللهجة .

وتسلحت بالطمانينة الروحية التي تعتبر من اروع الاسلحة في مثل هذا الموقف ، الا ان قلبي كان يدق دقات تحت تاثير الوضع والمشهد على السواء وبعد حين ترامى الى صوت الحاكم وهو يخاطب رفيقي وصاحبي بكلمات لم يصلني منها الا هذه العبارة : عساس كل شيء مزيان ، « صحيت » بفتح الصاد وتشديد الحاء مع كسرها وسكون التاء ؟

فاخذت اتاهب للامتحان ، ويا له من امتحان ، وقمت وقفة عسكرية كتلك التي تمرنت عليها فيما قبل، وامسكت بالبندقية ، وعدلت من العمامة وتنقلت الحزام وتأملت مرة أخرى الوضع في رجلي ، وهل هو كما يجب أن يكون ، وفيما أنا بصدد المرور بهذا الصراط، اذ بأمان الله يطل علي من الباب الخارجي بوجهه المستدير وعينيه الواسعتين وهو يجر بندقيته ويرسل الضحكات ثم طوحني بذراعيه وهو يمزج الكلام بالضحك مزجا ليخبرني بأن الحاكم اكتفى بسؤاله بعبارته التقليدية ولم يزد عليها : « كل شي مزيان » «صحيت ، وتأملته جيدا ولم اشعر الا وانا اقبله واقول له : انك بحق وحقيق : أمان الله واسم لمسمى ، وبذلك انتهت مدة دوري في الحراسة لتنتهي معها مغامرة من مغامراتي ، فتقلت راجعا ، وقبل ان أودع رفاقي من الحراس قال لي احدهم يا لعجب ياسي « الفقيه » ، وهكذا كانوا يسمونني في تلك الانحاء ، او لم تكن وقفة الحاكم على عتبة المعتقل وانت بداخله شبيهة بوقفة كفار قريش على الغار الذي حدثنا عن اخبار النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر فيه ؟

تحركت راسي وقلت ان العد يدبر والقضاء ينفذ يا صحابي . وطوال المدة التي كان فيها الزبرقان يقص على هذه المغامرة كنت انصت اليه بامعان وتطلع وبدهول في بعض الاحيان ، وبمحاولة استكشف العوامل التي صنعت هذه العبقرية في شخص لا يتعدى مستواه الطور الابتدائي ، وهي عبقرية يعزها الالمام والشمول بمشاكل البلاد والعمق في تحليلها والنظرة العلمية والعملية لابعادها ، حتى اذا وقعت واقعة 20 غشت من سنة 1953 وارغمتنا على الفراق وسار كل في سبيل ، اخذت الانباء تحمل الي في الشهور الاولى التي اعقبت الواقعة ان الزبرقان قد ظهر بخلايا مقاومة منظمة ومؤطرة وهي خلايا كان يقوم على اعدادها خلال جولاته « وسفاراته » ثم توالت الانباء بضروب من بلائه وقدرته النضالية ، كما علمت فيما بعد ان حرصه الشديد على زيارة صديقه العزيز لم يكن بدافع عاطفي صرف ، وانما كانت بغية اطلاعه على مستندات كان يختزنها صديقه العزيز ويظهر انه علم بمكانها في ليلة مغامراته التاريخية ، ودارت الايام ويزغ عهد الاستقلال وكان طبيعيا ان افكر صاحبنا الزبرقان وابحث عنه واستفسر عن مصيره ، اذ لم اعثر له على اثر فيما تبقى من القلة القليلة من المقاومين الحقيقيين التاريخيين ، فان كان حيا وحيثما كان فله مني هذه التحية التي تخلد اسمه ونضاله المستميت وجهاده في الله حق جهاده ، وان كان غير ذلك فسلام عليه مع المجاهدين الخالدين ؟

احمد زياد

في الفكر الأوربي :

نقد الشيوعية بالمنطق الجدلي

● الفيلسوف الفرنسي المعاصر « ريفل » يثير الآن ضجة عالمية في المحافل الثقافية ، بكتاب صدر له اخيرا تحت عنوان : « حياة جوزيف ستالين » وهو اليوم موضع حوار دائر في كثير من الصحف الاوربية والامريكية على السواء .

والفيلسوف الفرنسي المعاصر « ريفل » يحلل في كتابه ما سماه النزعة الستالينية وعلاقتها بالايديولوجية الشيوعية : ثم يعرض نماذج من السلوك الستاليني الذي جرى تقليده في انحاء مختلفة من العالم ، بما فرضه من طابع الاستبداد والتصفية والقهر والطغيان .

ورغم أن « ريفيل » مفكر يساري ، الا انه بكتابه هذا قد أثار حملة من جانب الشيوعيين ، الذين يتهمونه بمحاولة اذكاء الحرب الباردة من جديد ... وهو يرد على ذلك الاتهام : بأن الحرب الباردة لم تتوقف أبدا كما يتوهم المخدوعون «بسياسة الوفاق» وان أي نظام شيوعي يستولي على السلطة سوف يعمل حتما كل مظاهر الحرية المنوافرة للشيوعيين انفسهم في ظل النظام الديموقراطي .

ثم يمضي « ريفيل » في دراسته للسلوك الشيوعي من خلال الستالينية ، ويتناول الظاهرة الجديدة التي يطلقون عليها اسم « الشيوعية الاوربية» والتي يراد بها تخليص الاحزاب الشيوعية من سمة التبعية للاتحاد السوفياتي ، وانقاذ صورتها من طابع الارهاب الذي استقر في وجدان الجماهير .. فيقول الفيلسوف الفرنسي في كتابه ، ان ما يعد به الشيوعيون اليوم في فرنسا وايطاليا ، من قبولهم لممارسة الديموقراطية بعد ان تخلوا عن ديكتاتورية البروليتاريا ، انما هو خداع يراد به مجرد الوصول الى السلطة من الطريق البرلماني ، بعد ان فشلوا في الوصول اليها عن طريق الانقلاب . ويدلل على ذلك بأنهم لا يسمحون حتى الان بأي معارضة في منظماتهم القائمة بالفعل ، فكيف اذن يسمحون بعد ذلك بوجود المعارضة الحزبية في البرلمان !

واخيرا يتعرض الفيلسوف الفرنسي لموقف الشيوعيين من الحريات السياسية وكيف انهم يبررون استبداد النظام الشيوعي القائم في « بيرو » على سبيل المثال ، بدعوى ان هذا الاستبداد ضرورة تاريخية على طريق الفردوس المفقود ، بينما هم يدينون نفس هذا السلوك المماثل تماما في « شيلي » البلد المجاور ويصفونه هناك بأنه مجرد استبداد فاشي !

وينتهي الفيلسوف الفرنسي الى ملاحظة تاريخية مثيرة ، من زاوية « اجتماعية بيولوجية » فيقول ان النظم الفاشية سرعان ما تنتهي أو تتحول الى الليبرالية في بعض الاحيان ، بينما النظم الشيوعية التي تشترك معها في نفس سمات القهر ، لا تكاد تنشب اظفارها في مجتمع حتى تطبق عليه من كل جانب فلا يستطيع منها خلاصا . وهذا في تقديره ، هو مكمن الخطر في الجمود الذي يلقي بثقاله على مجتمع يرسف في القيود والاغلال ، وما من وسيلة امامه للتطور والحركة في ظل النظام الشيوعي ●

مكتبة دعوة الحق

- نحـــو الادب الاسلامـــي
- المدخل الى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الاسلامية

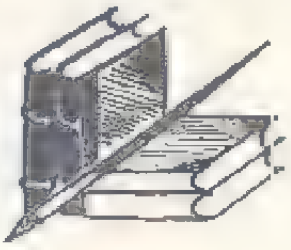

نحو الأدب الإسلامي

تأليف: الأستاذ عبد الهادي الفضلي عرض وتقديم: الأستاذ زين العابدين الكتاني

توصلت من صديق عراقي بكتيب جديد هو العدد الخامس الذي صدر ضمن سلسلة : (من هدى النجف) في موضوع الدعوة : (الى نحو ادب اسلامي) للاستاذ السيد عبد الهادي الفضلي .

والكتاب الجديد من الحجم الصغير يقع في حوالي ستين صفحة تتناول الموضوعات التالية :

الادب الاسلامي في الدعوة الاولى ، والادب الاسلامي اليوم ، وفنية الادب الاسلامي ومذهبيته ونماذج من الادب المعاصر ، والصحافة والادب الاسلامي . والتعليم والادب الاسلامي وخاتمة البحث القيم الممتع الذي يشير الى ابعاد مؤلفه الذي ينظر الى المستقبل بمنهجية ووضوح وتطلع .

والكتاب بصفة عامة يحمل دعوة علمية هادية . . رحيبة الافق . . . تتصل بادبنا الاسلامي المعاصر وضرورة التخطيط لصياغة (لجهرة تعبير . . ففتح الطريق امامه الى الاذهان باوسع مجال . . وتعرب عما فيه من اصالة في الفكر والفن وما فيه من جمال في الابداع والعرض) ، اذ الفكرة الناضجة لابد لها من ادب يبسط عليها ظلا من روعة الاداء وينفث سحرا من رائق التعبير لتطير به اجنحة الحروف المشعشعة بالاداء فتعلق بها الاسماع والانظار وتعطف اليها الارواح والقلوب . . .

والذين يخوضون الصراع في معترك الفكر لابد لهم من اداة صالحة البيان . . . والا كان مثلهم كمثل من ينزل ساحة النضال بلا عدة للقتال .

ونعتقد ان الكاتب ــ وهو ممن شاركوا في الادب الاسلامي المعاصر واطلعوا على آفاقه ومشكلاته اطلاع تخصص ومعاناة ــ قد وفق كل التوفيق في الاعداد لهذه الدعوة المبصرة بايضاح خطورة دور الادب في ترويج العقائد والافكار الى جانب دوره في تصوير المشاعر والاحاسيس . . واستعراض ما استطاع الادب الاسلامي في عصر الدعوة الاول ان يفعله في التمهيد لها ، وشق الطريق امامها لتستقر في قلوب واذهان ابنائها الاوائل . . . ثم في تحليله لعناصر الادب الاسلامي وشروطه ومقوماته . ونقده لواقع بعض مؤسساته المعاصرة . . . واخيرا في انتقائه لنماذج عصرية من هذا الادب الاسلامي لبعض من يمثلونه اليوم .

وكما يرى الاستاذ الفضلي فان الادب الاسلامي اليوم كما عاش الاسلام في أيامه الاولى صراعه مع الشرك يعيش اليوم صراعه مع الالحاد .

وكما عاش بالامس صراعه مع الاعراف الموضوعة ، يعيش اليوم صراعه مع القوانين الموضوعة

وكما ناقض ونازل الادب الاسلامي الاول شعر المشركين الاوائل ، يناقض وينازل اليوم ادب الالحاد ودعواته المختلفة .

فالاسلام الذي قارع الجاهلية في جزيرة العرب وفي دولتي الفرس والروم في تاريخه القديم ، يقارع الجاهلية في بلاد العرب ايضا ، وفي دعوتي الشرق والغرب ، في تاريخه الحديث .

والجاهلية اذ اتخذت في تاريخها الاول من الادب وسيلة دعاية ودعوة ، تعود اليوم فتتخذ منه ايضا وسيلة دعاية ودعوة ، فالقصيدة والمقالة والمسرحية والقصة والخطابة والنقد وامثالها ، اجهزة يرسلها الادب الجاهلي الواعي .

والادب اذ يتغلغل في اعماق الذهن ليزرع الفكرة ، وفي اغوار النفس ليختلق العاطفة ، وفي محيط الامة ليوجه السلوك ، يقوم بالدور المهم .

ومن هنا كان معترك الصراع بين الاسلام والالحاد ومن هنا كان علينا ان نوفر تعليم القرآن . لتقارع الكلمة بالكلمة ، والفكرة بالفكرة ، والعاطفة بالعاطفة ، واخيرا السلوك بالسلوك .

ومن هنا عاد الادب الاسلامي اليوم ضرورة لابد منها ، الادب الاسلامي الذي يرتفع بمستوى المسؤولية ، والذي يحمل هم الفكرة وعبء الدعوة الى الله تعالى .

فعلينا ـ افراد وجماعات ومعاهد ان نقدر مدى مسؤوليتنا الاجتماعية في بعث وتوفير الادب الاسلامي واستثماره من اجل الدعوة الى الله تعالى .

اننا محاسبون امام الله تعالى ، وامام التاريخ ، وامام الاجيال . . لتزيل العقبات الخانقة من الطريق . . لنعر النفوس المريضة المغلقة .

واعتبارا للتخطيط الهادف نحو الادب الاسلامي ولاهميته من جهة ، وللاسلوب العلمي الدقيق الذي تناول به المؤلف موضوعه هذا حيث انه يتناول جانبا آخر من هذا الموضوع وهو قضية الادب الاسلامي . فيرى ان هذا الادب تتمثل فيه روح الاسلام فكرة وعاطفة فيجيء ذا طابع اسلامي متميز ، يختلف بخصائصه عن الآداب الاخرى .

وقبل ان يفرد المؤلف الادب الاسلامي بالحديث الخاص ينطلق في تقسيم الاداب اولا فيحدد ، ويعين مركز الاسلامي منها ويرى ان :

من البديهي انقسام الآداب الى (1) : مبدئيه وغير مبدئيه او ملتزمة وغير ملتزمة ، كما يطلق عليها ايضا .

واعني بالمبدئي : تلك الآداب التي عادت وساهمت دعاية ودعوة ، لمبدأ معين ، او فكرة معينة

وفي ضوء تعريفها نتبين معنى الادب غير المبدئية : وهي التي تدعي غاية ، لا وسيلة ولمجرد وجودها ، او وفق النظرية التي يعبر عنها بنظرية (الفن للفن) او الادب للادب . والآداب المبدئية تنقسم في ضوء تقسيم القرآن الكريم للانسان على اساس عقيدته الى مؤمن ومنافق وكافر الى :

1 ـ ادب اسلامي وهو الذي يقوم به المسلمون المؤمنون بمسؤولية الدعوة الى الاسلام ، ومسؤولية مكافحة سواه من مبادىء .

2 ـ وادب كافر : وهو الذي ينوله الكافرون المبدئيون يتوسلون به الى الدعوة لمبادئهم وافكارهم .

3 ـ وادب نفعي : وهو الذي يتوله المسلمون الانتهازيون والنفعيون الذين عبر عنهم القرآن بالمنافقين .

ويأتي الادب الاسلامي في عناصره :

1 ـ افكارا اسلامية ، نابعة من ذهنية اسلامية ، المؤثر ، والنغمة الموسيقية الجميلة .

2 ـ وعواطف اسلامية ، املاها الرضا لله تعالى وتغضب له سبحانه .

3 ـ وتعبيرا جليا يختار اللفظة ذات الايقاع المؤثر ، والنغمة الموسيقية الجميلة .

4 ـ يمثل جانب الحضارة الاسلامية فكرا وسلوبا .

5 ـ وينطلق وسيلة توعية وخلق ، في اطار ابداع فني جميل ، او في هالة عرض واضح مشرقة .

ويتنوع ـ فيما يرى المؤلف الى :

1 ـ ادب دعائي يوضح الفكرة الاسلامية ويبشر بها ، ويحملها الى غير الواعين من ابناء الامة ، والى الآخرين الذين لا يملكون من رصيدها ما يجعلها في مكانتها التي ارادها القرآن الكريم لها .

---

1) انظر الكتيب صفحات : 30 و 37

2 ـ ادب نقدي : يعري الافكار الدخيلة والمستوردة ويكشف عن سمومها واوضارها . . يكشف عن عوار اليمين واليسار ، ويكشف عن الرجعية الى الجاهلية ، والى الالحاد

ان ادبا اسلاميا هكذا هو الوسيلة ، وهو ايضا الذي يرتفع ومستوى مسؤولية الاديب المسلم اليوم .

مذهبية الادب المنشود

ويمكن ان نحدد من هذا المنطلق مذهبية الادب الاسلامي التي تنطلق من مذهب اسلامي مستقلا بين المذاهب الادبية الاخرى .

ولاجل ان أوضح المقصود من هذه (المذهبية)(2) نأخذ بعض الامثلة :

فالماركسية لانها دعوة الى مبدأ معين تدرعت بالادب وسيلة تسير ، وواسطة تيسير . كانت مذهبا ادبيا .

والوجودية لانها دعوة الى فكرة معينة توسلت بالادب ذريعة بث واذاعة ، كانت مذهبا ادبيا .

والاسلامية لانها دعوة الى مبدأ معين ايضا خطت من الادب طريق هداية الى الله ، وطريق عمل في سبيل الدعوة اليه ، كانت مذهبا أدبيا .

نفس الكتيب صفحة : 39

وليست المذهبية في الآداب المبدئية الا هذه ، لان الادب لم يعد غاية ، لينظر من جانب الفنية القائمة فيه

واعتداده وسيلة كان هو الملحظ في تحديد وتقسيم المذهبية فيه . وهذا لا يعني انه لا يلتقي ومذهبا آخر من المذاهب الادبية الفنية ، التي جاءت نتيجة مقياس العصور او مقياس الفن فكانت الكلاسيكية والرومانتيكية ، كانت الصنعة والتصنع . . والخ وكما كان لنا ان ندرس شعر الدعوة الاسلامية من خلال الدعوة لانها المبدأ الذي اختط هذا الشعر طريقه . . وندرس الدعوة الاسلامية من خلال الشعر لانه حافل بوجوه كثيرة منها .

وكما كان لنا ان ندرس الادب الماركسي ، ونسميه ماركسيا لانه انطبع بطابع الدعوة الماركسية ومفاهيمها ، وهكذا . .كان لنا ان ندرس الادب الاسلامي المعاصر ونسميه اسلاميا ، لتمثل الروح الاسلامية فيه .

وهذا ما نعنيه (المذهبية) فيما اذهب اليه من هذا العرض السريع من غير مناقشة . . وذلك ما نتمنى ان نعود اليه .

زين العابدين الكتاني

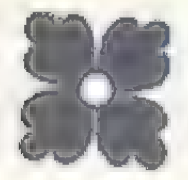

المدخل إلى العقيدة
والاستراتيجية العسكرية الإسلامية

تأليف : اللواء محمد جمال الدين محفوظ
عرض : الأستاذ حسين أحمد العليمي
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب
454 صفحة - 17 × 24 سنتم .

الحديث عن العسكرية الاسلامية متعدد الجوانب كثير الفروع . وهناك ارتباط دائم ووثيق بين كل جوانب العسكرية الاسلامية وبين مفهوم الجهاد في الاسلام ولابد لمن اراد الفهم الصحيح لجوهر العقيدة العسكرية الاسلامية ان يتفهم كل الابعاد التي ينطوي عليها المعنى الحقيقي للجهاد في سبيل الله كما جاء به الدين الحنيف يقول تعالى : « يا أيها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم. تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وانفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » فهنا نرى القرآن قد جعل الجهاد تاليا في الاولوية مباشرة للايمان بالله ورسوله .

وفي العصر الحديث ظهر وكثر الحديث عن العسكرية منسوبة الى امة او دوله بعينها . فهناك من يحدثك عن العسكرية الالمانية ، او العسكرية الامريكية ، او عن العسكرية الشرقية في مقابل العسكرية الغربية . واصبح الامريكي يتفاخر بالحديث عن « التراث المجيد للعسكرية الامريكية » . وهكذا الالماني والروسي والفرنسي وغيرهم كل عن جوانب التفوق والفخار في عسكرية امته .

والشيء العجيب اننا نجد اغلب المشتغلين بالعسكرية من ابناء العرب والمسلمين يتدارسون كل صغيرة وكبيرة في عسكريات الامم الاخرى من شرقية وغربية على السواء ، بينما نجدهم لا يكادون يعرفون شيئا يذكر عن عسكرية الاسلام .

يقول اللواء محمد جمال الدين محفوظ في مقدمة كتابه : « العسكرية الاسلامية » تمثل جانبا رائدا من الحضارة الاسلامية ومن الحضارة الانسانية بالتالي ، فلولا جهاد المسلمين الاوائل واسترخاصهم المال والنفس والولد في سبيل الله ، لتغير وجه التاريخ ، ولتخلفت مواكب الحضارة الحديثة عن الظهور .. لقد كان لاجدادنا المسلمين الاوائل فضل تأسيس هذه الحضارة ، وشق الطريق لهذه الفتوحات العبقرية في ميادين العلوم الطبيعية والانسانية ، وكان فضلهم هذا من بعض ثمرات الجهاد في الاسلام » .

هناك اذن تراث من العسكرية الاسلامية يستحق لتنبه اليه بالدراسة والوعي ، ويستحق أن يكون مصدرا للفخار والاعتزاز لكل مسلم وكل عربي . فلماذا ما نراه الان في أوساطنا العسكرية من جهل أو تجاهل نحو هذا الجانب المشرق الوضاء .. العسكرية الاسلامية .. وعسكريونا هم أولى الناس بالاتجاه نحو هذا التراث العسكري الذي هو لهم وهم به جديرون ؟ لماذا ؟

انها الحرب التي تستهدف طمس معالم الحضارة الاسلامية ومنع قيامها من جديد . هي حرب حضارية تريد فرض التبعية على العرب والمسلمين في كل مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعسكرية ايضا .

.. بل والعسكرية على وجه الخصوص . فلقد كانت عبقرية العسكرية الاسلامية واحدة من اهم المكونات للحضارة الاسلامية .

« كان من بين أهداف تلك الحرب الحضارية طمس معالم العسكرية الاسلامية » ، ومنع قيامها من جديد وفرض التبعية على العرب والمسلمين فى مجال الفكر العسكرى وفن الحرب . والباحث العسكري المطلع يجد انه منذ عصر النهضة حتى اليوم ، وضعت آلاف الكتب حول الامبراطورية الرومانية ، بينما لا يتعدى ما كتب فى الغرب عن الفتوحات الاسلامية عدد اصابع اليد » .

وهذا الكتاب الذي نحن بصدده يلبى حاجة ملحة . انه محاولة جادة ومخلصة لعرض العقيدة العسكرية الاسلامية ، والقاء الضوء عليها ، وهو — كما يقول كاتبه — دعوة لكل من يعنيهم الامر من المسؤولين والعلماء والمخصصين فى امتنا العربية والاسلامية ، للاتفاق والتعاون على تنظيم دراسة « العسكرية الاسلامية » على النحو الذي يعطيها حقها ويتكافأ مع قدرها ، ولا يقل عن جهد غيرنا من الامم فى هذا المجال .

والباب الاول من الكتاب يوفر مدخلا للقارىء غير المتخصص — فضلا عن المتخصص — الى مفاهيم الاستراتيجية العسكرية ويميز بينها وبين العقيدة العسكرية . ثم ينتقل المؤلف فى الباب الثانى الى الحديث عن العقيدة العسكرية الاسلامية ، فيبين لنا أن مصدرها هو الكتاب والسنة ، وانها بذلك متميزة عن العقائد العسكرية الاخرى التى هى من وضع البشر ، كما انها تتميز بطابع سلمى دفاعى لا عدوانية فيه ، انبثاقا من فكرة السلام التى تحتل المقام الرئيسى بين اهداف الاسلام ومقاصده العامة .

وفى الباب الثالث يتحدث المؤلف عما أسماه باستراتيجية الردع التى يرى أنها منتشرة الاستراتيجية المعاصرة . ويدور حديث المؤلف عن الردع بتعريف الانواع المختلفة له والتي تتعدد من حيث مداه ومن حيث الوسائل التي تحققه ، لينتقل بعد ذلك الى استراتيجية الردع الاسلامية ويتناول الخصائص المميزة لها والاسس التى تقوم عليها

والباب الرابع من الكتاب بعنوان : « المفاهيم الاستراتيجية الحيوية فى ادارة الصراع المسلح » .

وهذا عنوان يدعو الى كثير من التحفز ، الا أن القارىء سرعان ما يكتشف ان هذا العنوان الطويل ينطوي على موضوعين اساسيين هما الادارة العلمية والحرب النفسية ، وقد عالج كلا منهما فى فصل خاص أوضح فيه سبق العسكرية الاسلامية فى هذين المجالين .

وفى البابين الخامس والسادس تحدث المؤلف عما يعرفه العسكريون بمطالب الكفاءة وقد خصص الباب الخامس للحديث عن مطالب الكفاءة النوعية والاستعداد القتالى . وخصص الباب السادس للحديث عن مطالب الكفاءة القتالية للقوات المسلحة . الا أن القارىء يشعر بوجود قدر كبير من التداخل فى موضوعات هذين البابين . فنحن نرى مثلا أن الكاتب قد أفرد فصلا خاصا للحديث عن توجيهات الاسلام فى القتال باعتبارها من مطالب الكفاءة النوعية والاستعداد القتالى ، بينما يتحدث عن العلم والمنهج العلمى والتطور والاخلاق الفاضلة باعتبارها من مطالب الكفاءة القتالية .

ومن المباحث الهامة التى تعرض لها الكتاب موضوع الشورى فى العقيدة العسكرية الاسلامية . والشورى من المبادىء المقررة فى الاسلام بمقتضى الكتاب والسنة . وقد طبقها الرسول عليه الصلاة والسلام فى كثير من المواقف ، ووجهنا الى وجوب الاخذ بالمشورة الصالحة والنزول على الرأي الصواب.

وتزداد اهمية الشورى فى مجال القيادة العسكرية ، ذلك أن من اخطر الامور أن تتركز السلطة فى يد فرد واحد تكون له وحده حرية التصرف التام فى جميع شؤون الجماعة . فضلا عما ينطوى عليه الانفراد بالسلطة من معنى التحكم الفردي والتسلط ، فان هناك كذلك احتمالا آخر لانحراف القائد عن أهداف الجماعة . ولذلك يأخذ الاسلام بقاعدة الشورى فى تنظيم الجيوش وادارة اعمال القتال .

وفى الباب الخاص باعداد الدولة للحرب تعرض الكاتب لبعض الموضوعات مثل اعداد الشعب للمعركة ، واقتصاديات الحرب ، والرعاية الاجتماعية لاسر المقاتلين والشهداء والجرحى والمهاجرين ، وكلها ذات اهمية خاصة لمن يريد الالمام باتجاه العسكرية الاسلامية فى تنظيم تلك الامور .

ولقد سبق للكاتب أن طالعنا كثيرا بمقالاته عن الجهاد والعقيدة العسكرية الاسلامية فى مجلة الازهر وغيرها ، كما كانت له اسهاماته الطيبة فى تقريب علم

الادارة الحديثة الى متناول الدارسين العسكريين ، وهو فوق هذا وذاك واحد من الضباط الرواد الذين جمعوا بين الدراسة المستفيضة لعلوم العسكرية الحديثة في الشرق والغرب والوعي السليم بتراث العسكرية الاسلامية .

ومن هنا مأتى عتابنا عليه في استعمال الفاظ غريبة عن لغة العرب والقرآن . فما كان عليه لو انه عرفنا بالاستراتيجية العليا او الكبرى على انها « السياسة العليا للدولة » وبالاستراتيجية على انها « فن قيادة الحرب » وبالتكتيك على انه « فن القتال ».

وفي هذا الصدد بالذات لا يسعني الا ان استعير من كلمات الاستاذ اللواء الركن محمود شيت خطاب — وهو من هو فيما عرف عنه من غيره على الاسلام والعروبة — في تقديمه للمعجم العسكري اذ يقول :

« ان بقاء طائفة من المصطلحات العسكرية التركية او الانجليزية او الفرنسية او الايطالية او الامريكية ، اثر من آثار الاستعمار الفكري البغيض ، لان الجيوش التي لا تزال تستعمل تلك المصطلحات الاجنبية تتذكر دائما استعمار تلك الدول الاجنبية لبلادها ، ولا تنسى انها كانت خاضعة لتلك الدول في يوم من الايام .

« كما انها باستعمالها تلك المصطلحات العسكرية الاجنبية تقر بتفوق جيوش الدول الاجنبية عليها حتى في لغاتها . وكل ذلك يؤثر اسوأ الاثر في معنويات الجيوش العربية دون مسوغ .

« واللغة العربية ليست عاجزة عن وضع المصطلحات العسكرية باللغة العربية الفصحى ، مستقاة من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكتب اللغة والادب والفقه والتاريخ » .

لاشك انه كان الاحرى باللواء محمد جمال الدين محفوظ ان يؤثر استعمال الالفاظ والمصطلحات العربية الخالصة ، لاسيما وان موضوع الكتاب هو عسكرية الاسلام ، دين القرآن العربي المبين .

ومما يلفت النظر كذلك استشهاد المؤلف برجال العسكرية الاجانب حيث لا يكون الموضوع مما يستدعي ذلك ، مع اضفاء هالة زائدة من التبجيل لهم ، فمن قال ان الجنرال اندريه بوفر — الاستراتيجي الكبير على حد تعبير الكاتب — هو صاحب القول الفصل فيما يتعلق بمفهوم الردع ؟ واي جديد في مثل قوله : « ان رجل القرن العشرين الذي تلاحقه مآسي الحربين العالميتين ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ، ربما وجد اخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسي ، وهي استراتيجية الردع ؟

بمثل تلك الاقوال التي لا تنطوي على جديد يستشهد الكاتب ثلاث مرات في ثلاث فقرات متتالية بالجنرال اندريه بوفر — مع ان هناك من قادة العرب من تناول أقوالهم او كتاباتهم تلك الافكار بكل عمق واقتدار ، هذا اذا كان لابد من الاستشهاد بآراء الاخرين . ولو ان « بوفر » — بما عرف عنه من عداوة للاسلام والعرب — كان يتحدث عن الاسلام من اي جانب فلربما جاز ان يقال ان الاستشهاد بحديثه له مغزاه ودلالته . ولكن ما كان ينبغي أن تتناسى حقيقة كتائد من قادة الحملة الصليبية الصهيونية على مصر في خريف عام 1956 ، ثم نستشهد بعد ذلك بكلماته حيث لا يكون هناك داع لمثل هذا الاستشهاد ؟

الا انه يبقى ان نقال — للحق وللحقيقة — ان الكتاب خطوة محمودة على الطريق ، لاسيما وان كاتبه المسلم الغيور ، قد اخلص فيه النية لله ولصالح الاسلام والمسلمين ؟ والكتاب بعد ذلك جدير بان يقرأه رجال العسكرية من العرب والمسلمين ، ليعرفوا — عن علم وعن وعي — ان لهم في مجال العسكرية والقيادة تاريخا مجيدا وتراثا كان من دعامات الحضارة الاسلامية ، حين عرف العالم فيها اروع صورة للحضارة الانسانية في كل العصور .

القاهرة — حسين احمد الفليلي

اقـــرأ فى العـــدد التاســـع

- ظـاهـــرة التمـــرد الفكـــــري . . . . . للأستاذ عبد العلي الوزاني
- التطور والتغييـــر فى الاســـلام . . . . . للاستاذ حســـن الســـائح
- منهجيـــة التعليـــم فى الاســـلام . . . . . للاستاذ محمد المنونـــي
- صـــدى الفارابـــي فى المغـــرب . . . . . للدكتور عبد الهادي التازي
- المشكلة الثقافية فى العالم الاسلامي . . . . . للاستاذ زين العابدين الكتاني
- يا بـدعـــــا هـــذا الوجـــــود . . . . . للاستاذ علال بن الهاشمي الفيلالي

ديوان المجلة

- شجـــرة النبـــوة
- المسيـــرة والهـــدف
- العولـــس ادريس ... وامتـــع الاكـــر

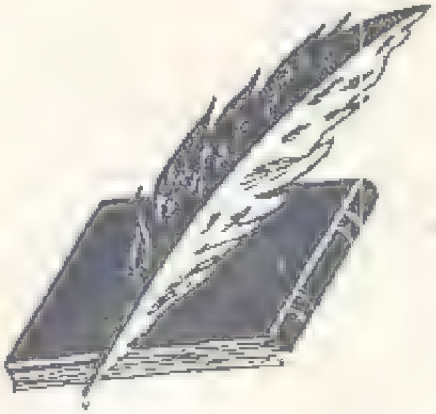

شجرة النبوة

للشاعر الأستاذ
المرحوم الحراوي

زهـــون ، عـــم الربى يمن وتقديس ... مـــذ حل فيك امام الغرب ادريـــس
وفى ثـــراك له قبـــر ، بحربتـــــه ... تطـــر المغـــاربه متحور ومحروس
كنز من الشرف الاعلى ظفرت بـــه ... وكوكب من سماء الطهر مقيـــوس
طاب القرار الذي ،اوه فى جـــدث ... وقد حباه بطيب انذكر قـــــدوس
عليـــه نـــور الجمـــال مـــن محتده ... ومـــن ضياء كمال النـــور نانـــوس
وجللـــت روحـــة تـــؤدي جلالتـــه ... مهابـــة سرعا للقلـــب محســـوس
رنته لله فى الدنا اصداء مكرمـــة ... فى كـــل صقع لها سير وتعريـــس
مناقب كضياء الشمس شهرتهـــا ... فضـــل من الله لا قيـــل ولا تلبيس
وكيف ؟ والفرع من اصل له شرف ... ورفعـــة عجزت عنها مقاييـــس
محمد مجمع الاسرار منبعهـــــا ... كنـــز الحقائق من مسناه تقديـــس
منار كل هدى ، ضياء كل سنـــى ... له الكمال ، عليه الفضل محبـــوس
مولاى ادريس من زهرانـــه قمـــر ... لـــم يغش هالته كسف وتوكيـــس

قـــد لاح فى افقه من نوره فـــرج ... من بعـــد ما ساءه خطب وتابيـــس
وجـــاء فى ركبه فتـــح ومرحمـــة ... وجاء دين الهدى يحدوه مأنيـــس
اطل كالامـــل المرغوب موكبـــه ... و « راشد » مرشد يخشاه ابليـــس

طوالع السعد من خطاها طلعت ... على ديار لها بالشرك تتكيس

فضل العناية شاء الله في أزل ... أن يستهل له في الغرب منفوس (1)

وخصه ـ كرما ـ بخير منتبة ... بها فخاره طارف وتدموس (2)

بعترة المصطفى صبغت مرابعه ... لما أتى وفدهم تسعى به عيس

وانبث في قطرنا من فضل دعوتهم ... لطف له في كروب اليأس تنفيس

هم الميامين والأنوار زاهرة ... وهم بحار المنى ان شح قاموس(3)

وهم نجوم الهدى في كل قاصية ... وهم أمان الورى ، وهم نبارييس

ادريس قيدومهم في الفضل ، متقدمه ... لارضنا ظفر بالعز مأنوس

دعا الى الله بالقرآن امتثالا ... نعمها رشد أداه ناموس (4)

من دار « أوربة » أكرم بتبعتهما ... سارت بدعوته غر قوابيس (5)

فكان ما كان من فتح تتلمه ... شعب دعاه الى العليا ادريس

كأنما كان للانقاذ منتظرا ... فجاءه بغتة والجو منحوس

فاستبشر الشعب بالبشرى وطاربها ... ميشرون لهم في السير تغليس (6)

وعج بالفرح المأثور سامعه ... وجلجلت به في الدنيا نواقيس

واستمسكت أمة مثلى بعروته ... وصد عن هديه رهط أبالييس

« شماخهم » شامخ الاطماع ماكرها ... ومجرم في جحيم السخط مركوس(7)

أتى على مهل للحب مدعيا ... وفي ملابسه يكمن جاسوس

بغدره مثل الخذلان يضربه ... دهر بمثله منحوس ومنكوس

فما رأى مثله في الغدر حين غدا ... بيدي تورده والقلب مركوس

حتى أتام بكيد عين صاحبه ... فلم يغادره الا وهو مفؤوس

لكن « كنزة » من لطفه قد احتفظت ... بالكنز والكنز في الاحشاء مدسوس

حتى أطل هلال كان مرتقبا ... منها ، وتم له في الأفق تقويس

وشعب في كنف التأييد تحرسه ... عناية الله لا حصن ولا خيس (8)

---

1) المنفوس : المولود .
2) التدموس : القديم .
3) القاموس : البحر .
4) الناموس : المراد به هنا الوحي وهو من معانيه.
5) القوابيس جمع قابوس : الرجل الجميل الوجه الحسن اللون .
6) التغليس : السير في الغلس وهو ظلمة آخر الليل .
7) المركوس من ركس الشيء قلب أوله على آخره.
8) الخيس بكسر الخاء الشجر الملتف ، وماوى الاسد .

لولا عقيلة لبات مغربنا ... وركنه من بني الزهراء مكنوس

بشرى بها ابهج لرحبين حوزتنا ... من بعد ما نابها روع وتعبيس

فاصبح الشرك بعد الليث منتصبا ... له — على صغر — ذلت عرابيس

قاد الجيوش وما في وجهه شعر ... فاعجبت به في الهيجا كراديس

سمى والده نقاه في شرف ... وصان ملكا ، ولم يعجزه تسويس(9)

ادريس شيم ومن ادريس منحدر ... فطاب غرس باذن الله مغروس

تكفيه « فاس » اذا عنت مناخره ... غداة صارحه بالسر قسيس

بنى وحصنها الله بحنبه ... فيورك المبتنى ، وطاب تاسيس

غرس به يده البيضاء سابغة ... لها مدى الدهر في الاجلال تنويس(10)

كانها هي في تاريخ ابتنها ... حديقة علمت فيها فوانيس

هي اليتيمة في عقد نثيه به ... والحصن فيه تحصنت نرامس

الكل غنها ، فلا يخدعك مختلس ... عنها ، فانه بالاهواء ممسوس

كفى بمسجدها فضلا ومعجزة ... وبالمثنى له هناك رامس (11)

كل ثمره في « فاس » وتبر اب ... لـه « بزرهون » في الدنيا فراديس

بنو على لهم في المجد سابقة ... جلى، وذكرهم بالعطر مبسوس(12)

طاب الهلال من صيد اذا ذكروا ... حلت بذكرهم رحمى وتحميس (13)

عمومة لبني ادريس قد قدموا ... يصدو ركائبهم ذكر وتدريس

من « يتبع » وندهم قد جاء يتدمه ... مبارك بمنه للناس ملموس

« الداخل » الحسن المحمود متدمه ... ذاك الذي في رضاء الله مغروس

« مسجل ماسة » قد ءاوته مغبطا ... كانه اسد أواه عريس (14)

طابت أصول ، وطابت من ذوائبها ... تلك الفروع التي لها عراتيس (15)

وهل كآل النبي في العلى نفر ... وفضلهم في كتاب الله مدروس

اني على حبهم ، ارعى موالته ... وليس فيه تبديل وتدليس

وحبهم برسول الله متصل ... وبغض الآل محروم ومنعوس

---

9) التسويس : التمنك .
10) التنويس : الاعلام .
11) الرامس : البر .
12) مبسوس : مخلوط .
13) التحميس : التسخ .
14) العريس : مأوى الاسد
15) العراتيس : جمع عرناس انف الجبل .
16) التضريس : من ضرسه الزمن عضه واشتد عليه .

فهم اليد ومنه دونما جدل ... فلا يغرنك تلبيس وتهويس
اعظم بفاطمة الزهراء ملتجأ ... لا يعتري معه خوف ولا بؤس
احبب بسبطي رسول الله من لهما ... جاه عريض ، وتسويد وترئيس
اني بهم اسأل الرحمن خاتمة ... حسنى ، بها يتقى غمر وتلبيس
ونفحة منه بالاحسان تشملني ... فلا يزلزلني في الحشر تضريس (16)
على رسول الهدى والآل عاطرة ... من الصلاة لها دفق وتبجيس
مع السلام الذي تسري هو اتفه ... الى رياض لهم فيها رواميس (17)
ولا خلت من سنى الاشراف اربعنا ... فهم بها أرؤس والغير مرءوس
وهم ملاجئها في كل نائبة ... وهم سيوف لها ، متاريس (18)
ولم يخب قط في أملاكهم امل ... ولن يخيب ، فانهم نقاريس (19)
ولا كعاهلنا وفخرنا « حسن » ... بعطر سيرته فاحت قراطيس
مذ محاسنه كالموج ليس له ... حصر اذا دفعت به القواميس (20)
لا غرو ، فالفرع من أصل يطوقه ... مجد بعروة خير الخلف معروس (21)
على قرار الهدى والحق دولتنا ... اساسها ثابت الاركان مأسوس
اشرافها بهروا سبقا ، وما نكصوا ... يوما ، ولاحظهم في المجد مبخوس
هم الائمة لا جدوى لحاسدهم ... فانه بائر الاحوال مطموس
يرومهم سهام الكيد من حسد ... وكيده — لو درى — عليه معكوس
يرضى خصيم رسول الله موبقة ... بها يكون له في النار تحبيس
ومن يمل قلبه بالحب نحوهمو ... فاللطف عدته ، والستر ملبوس
« زرهون » يا جبلا نوى به جبل ... من التقى في رياض الخلد مرسوس 22
بوركت من جبل ضمت ذوائبه ... قبرا به ملك حبر وقديس
«اويت ازهر قوم هم زواهرنا ... سلما ، وفي الحرب هم أسد مهاريس 23
وفي قرارة « فاس » نام أنورهم ، وفي «الريصاني» عميد الصيد مرموس (24)

---

17) الرواميس : القبور .
18) المتاريس : جمع متراس : خشبة توضع خلف الباب لتدعمه ، وما يستتر به من العدو كالحائط .
19) النقاريس : جمع نقريس : الدليل الحاذق ، والطبيب الماهر .
20) القواميس : البحار .
21) معروس : مشدود .
22) مرسوس : مدسوس ومدفون .
23) المهاريس : جمع مهراس : الرجل لا يتهيبه ليل ولا سرى اي هو شجاع جريء .
24) مرموس : مدفون ، والمراد بعميد الصيد مولانا على الشريف جد الاسرة الشريفة المالكة حرس الله ملكها ، وبارك في فروع دوحتها .

وفى « الرباط » ضريح ضم مبتهلا ... به أزيح عن الاوطان كابوس

« محمد » بطل الاملاك سيدهم ... ومن به جبروت الكفر مهروس

أتم ملحمة ادريس بادئها ... وما تعاظمه هول وتدسيس

هم الخلائف والسادات ، جوهرهم ... أنقى من الثلج ، لم يمسسه تدنيس

أئمة برضاء الله قد ظفروا ... محبذا حبذا الغر الاحامس (25)

الرباط ــ المدنى الحمراوي

---

25) الاحامس : جمع أحمس الرجل الصلب المشتد فى الدين والقتال ، والشجاع المقدام ، وزيدت الياء فيه اشباعا لكسرة الميم للضرورة .

المسيرة والهدف

للأستاذ الشاعر محمد بن محمد العليمي

اكرم الله شعبنا وحباه ... كل مجد ، فلا يرام مداه
ان تاريخنا يدل علينا ... في المعالي ، نعيشه ونراه
شيم الاكرمين عنوان فضل ، ... ما لها في سموها اشتباه
كل تاريخنا بعشرين غشت ... في ثبات الابطال خلدناه
ذلك الاطلس العتيد اذا نا ... دى ، فان الشعب كله لباه
قيمة الجر ان يفك قيودا ، ... فمن الضيم دائما حاشاه !
منذ (ادريس) والملاحم تترى ، ... يحفظ الشعب ذكرها في حجاه
وبوادي المخازن انهزم الكفـ ... ـر ، ويمناه كسرت يسراه
وبانوال ما يبل غليلا ، ... رضى الخصم امرنا ام اباه
ان ايامنا روائع تسـ ... ـر رغم غدر الدخيل فما نواه
كلما احيت العوالم ذكرى ، ... اكبر الدهر مجدنا فرواه
شعبنا يعشق الخلاص ، ولا يرـ ... ـضى مساسا بعزه وحماه
فهو بركان ثورة يتلظى ... عندما يقصد الدخيل ثراه
ان ذكرى عشرين غشت لدينا ... معهد للاجيال شيدناه
ذلك النور صار يغشى صميما ... من قلوب الابناء ، نرعى سناه
ان اخلاقنا الاصيلة كنز ، ... ورضاء من ربنا حزناه
وحفظنا من المبادىء ما لا ... ق بنا ، والغي لا نرضاه
اننا احرص الشعوب على العـ ... ـز ، وكل منا يوالي خطاه
وتصاميمنا هدى ونماء ، ... وقيام بواجب نرعاه

والطموحات ما لها من حدود ... في جهاد بعزمنا خضراه
ان ذكرى ابطالنا الهمتنا ... مثلا رائعا بما ستراه
كيف ننسى ، محمدا الخا ... مس ، شهما ميمما متقاه ؟
كيف ينسى شعبه في كفاح ؟ ... ـ طيب الله في الجنان ثراه ـ
قاوم الغاصبين بالهمة الشم ... ـاء ، لا يرتجي سوى مولاه
شعبه قد أعاده بابتزاز : ... عالي الرأس ، بالنفوس فداه
وبباقات حبه ، بهتافه ، ... وعناق في شوقه يلتقاه !
انما ذلك الحنان ، يمينا ... وشمالا جادت به راحتاه
انه العهد بين عرش وشعب ، ... طلب هذا لذاك قد وفاه
والأمير المجاهد ، الحسن ، الحبا ... ب يرضى بلاده وإباه
انه الشبل حين انجبه الليـ ... ـث ، على المجد والعلا ربّاه
الف مرحى لمن يوالي جهادا ... مستميتا ، وشعبه حياه
قد سقانا كواثر العشق صرفا : ... بارك الله في الذي قد سقاه !
كيف ننسى من قاوموا بثبات ؛ ... لم يكونوا تزعزعوا او تاهوا ؟ !
لم يهابوا السجون والموت في صو ... ن الحمى ، فالمقصود هو الله !
ولسان الاحرار ، اقلامهم ، ثو ... رة حق لها مجر الجباه
كان (علال) الزعيم ومن في ... ركبه مركبا يفوح شذاه
شهداء البلاد في الخلد أحيا ... ء . الهم منا ببرق انتباه
تلك اسماؤهم بأحرف نور ... شرفت من جهادنا معناه
كيف ننساهمو ، وهم قد اضاءوا ... ملتقانا ، وانحفروا محتواه ؟ !
عبرة نلو عبرة ، تلو اخرى ... خلدوها ، والفضل لا ننساه
حسب الغاصبون فيما اتوه ... انهم انلحوا ، وصح اتجاه .
انطلق البوان ؟ حاشا وكلا ! ... ليس بصفو جو تهيج لظاه
واستفاقوا على انتفاضة شعب ... جهلوه ، واستضعفوا قواه
نحن لا نعرف الفراغ ، لاننا ... عسكر للتحرير ينكي عداه
نخوة المجد في العروق دم يسـ ... ـري ، وهذا الدخيل يغتر تاه
جمعتنا تلك الاصالة حول الـ ... ـعرش ، فالصرح شامخ تيماه
ووصايا الآباء صحت لانبا ... ء البهم يؤول عز رجاه
. ودخلنا (العيون) مدخل صدق ، ... وانتصار بالعزم حققناه
بهر الكون من مسيرتنا الخضـ ... ـراء ، واهتز دهشة خافقاه

واذا البيعة الكبيرة من (خط ... ري) سلام هنا يعم صداه
انه الفتح من اله غيور ... رد اهلا للاهل — يا بشراه ! —
وتوالى نجاح عرس وشعب ... بهما المغرب استعاد مناه
وقدنا آب من رحاب (كولومبو) ... ظافرا — حقق الاله رجاه —
ان صحراءنا العزيزة منا ... والينا ، والوطن وحدناه
كشف العدل قيمة الجار حقا ... ولواياه ، فانجلت فحواه
ذلك الربح لا يضاهيه ربح ، ... فليعش شعبنا الذي قد جناه
والاصول الفروع تنمو وتزكو ... في نظام للكون اظهرناه
حول عرش الاشراف دينا ودنيا ... ركز المغرب العظيم رؤاه
وهداه في نورهم قد تجلى ... حين والى في المكرمات سواه
ان دين الاسلام اقوم دين ... ادرك السؤل عاقل قد وعاه
والكتاب المبين دستورنا الاعـ ... ـظم ، لم نتخذ اماما سواه
فالنجاة النجاة تثبت فيه ، ... والضلال الشقاء فيما عداه
فبايماننا نحقق نجحا ، ... ونوفي لقطرنا مبتغاه
ما وقفنا ، لكن نسير دواما ... في سبيل الحق الذي رمناه
هدف المغرب الكريم ازدهار ... واكتفاء ، فالخير ملء رباه
مطمح الحر لا يريد قليلا ... بل كثيرا هنا له وارتضاه
من شمال نرى الشقيق بشوق ... في جنوب يلقى هناك اخاه
جمع الله شملنا حول عرش ... علوي تدفقت نعماه
لم يخب قط من ينادي بقلب ... طاهر في البلاد : — واحسناه ! —
نحن شعب يحل من كل مجد ... قمة ربه اليها اصطفاه
فهو سبحانه شهيد ولي ... نصر المؤمنين حقا يداه
لم يخيب للسائلين دعاء ... فيه خير ، وعنده لباه
فليثبت اقدامنا في جهاد ، ... فالسعيد السعيد من قد هداه

الرباط محمد بن محمد العلمي

المولى إدريس .. والفتح الأكبر

للأستاذ الشاعر
عبد الواحد أخريف

غنى على الافنان في افيائه ... طير المنى ببديع لحن غنائه
بين المروج الخضر في جنباتها ... وشى الربيع منمنم ببهائه
عند انبلاج الفجر يرسل سائلا ... بسمت عيون الزهر من لألائه
وترنحت أعطافه في روضه ... نشوان يرفل في جميل روائه
وتضوعت أنفاسه مخضلة ... بالسلسبيل العذب من أندائه
وغدا خرير الماء لحنا ساحرا ... ويعيده القمري في عليائه
تتجاوب الالحان بين مغرد ... في الارض غنى ، أو فسيح فضائه
والجو طلق ضاحك مستبشر ... لم تعهد الاسام حسن صفائه
والقلب مسرور يصفق هائما ... في فرحة تشفيه من برحائه
والنفس نشوى من طلاقة يومها ... تستقبل الاسعاد يوم لقائه
وعلى الثغور من ابتسامات الرضا ... قبس الهدى متلألىء بضيائه
والناس قد لمحوا الشعاع يقودهم ... للحق منتصرا بيأس سنائه
نظموا المواكب شاعرين بحادث ... يحيى البلاد بخيمره وعطائه
وتجمعوا كعقود در اشرقت ... كيما ينالوا الهدى من أبنائه
وقفوا هنا مستقبلين دليلهم ... مترقبين بزوغ بدر سمائه
فاذا « بادريس » الامام وقد بدا ... مثل الضحى قد شق سجن غطائه
قد جاء يحمل هدى دين « محمد » ... ويغيث هذا القطر من ظلمائه
يتلو من القرآن آيا فصلت ... فيشنف الاسماع حسن أدائه

وتردد الاصوات ذكر الاهبا فيسير ملء الجو من أصدائه
والمغربي وقد تفتح قلبه وتغلغل الايمان في أحشائه
ان فاته وجه النبي « محمد » فلقد رأى في الفرع بعض ضيائه

⁂

يا واهبا عز الحياة لامة عشقت معاني الحق في أسمائه
يا نافخا روح العروبة مترعا بفوائده وفعاله وندائه
يا منقذ الاوطان من ويلاتها والخير والاحسان من اسدائه
يا حامل الاسلام نحو ربوعنا والعدل والانصاف من نغمائه
يا رأس أول دولة وطنية واقامة البنيان من انشائه
يا فارس الميدان في ساح الوغى وملائك الرحمن من نصرائه
يا فخر مغربنا وتاج بلادنا وموحد الاجناس تحت لوائه
قد كان مغربنا شتاتا وزعت أشلاؤه بالكفر من أبنائه
« والبربر » الاقحاح من سكانه كل بدين عامل لبقائه
هذا « يهودي » ، وذاك بقلبه عبد « المسيح » وكان من قرائه
وجماعة أخرى تقدس نارها يشوي اللهيب اهابها بعدائه
وطليعة للمسلمين فتية الفرد منها مشبع بوفائه
من عهد « عقبة نافع » ورجاله او عهد « موسى » فالحى انحائه
ظلت على عهد الوفاء ولم تزل للحق بذرة نبته وعلائه
تمشي على النهج القويم فلا ترى الا وجوها أشرقت بجلائه
لم يثنها غي « المجوس » وشركهم او قوم « عيسى » قد أتوا بدعائه
لم يغوها من قد تهود قلبه ورأى طريق الدين في بيدائه
حتى أتى التوحيد ينبض مشرقا « ادريس » أرسى شامخات بنائه
ان كان « مغربنا » تكرر فتحه ومضت جيوش العرب في أرجائه
فلأنت سيد فاتحيه حقيقة شهدت بها الاجيال من آبائه

⁂

يا ساكن الجبل الاشم تحية من عاشق غني بشعر وفائه
قد قام يشدو في ضريحك بلبلا ثملا بحسن جماله وروائه
ويرى « وليلى » والفتوح وجيشها والنصر يسطع في ذرى اجوائه

ويرى رفيقك « راشدا » رمز الوفـا ... مولـى الثبات مـزودا بذكائـه
يجثو على قدميك اذ نزل القضـا ... ويصون عهدك وهو من اكفائـه
حتى يسلمه لنجلـك راضيـا ... انعـم بـه وبصبـره ودهائـه

⁂

مولاى اقبـل من حفيـدك باقـة ... قد صاغها مـن حبـه وصفائـه
جاءت على خجل اليـك هديـة ... ترجـو القبـول فلنهـا برداتـه
وعلى ضريحك من عبـارات الرضا ... ملء الفضـاء علـى مدى ارجائـه
مـا رجع الالحـان فى اغانـه ... شـاد رغنـى منشـد بغنائـه

تطوان :
عبد الواحـد اشريـف

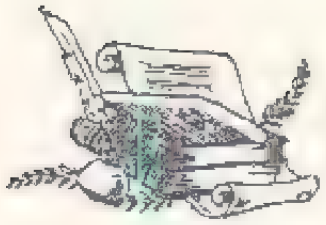

● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

تاج المفرق في تحلية علماء المشرق

● تعززت الخزانة المغربية بصدور رحلة البلوي المعروفة بـ « تاج الفرق في تحلية علماء المشرق » بتحقيق الاستاذ الحسن السائح . وقد طبع الكتاب تحت اشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الامارات العربية المتحدة . وهي اللجنة التي انبثق عنها « صندوق احياء التراث الاسلامي » .

تاج المفرق
في
تحلية علماء المشرق
تأليف
فالدين عيسى البلوي
الجزء الأول
حققه وعلق عليه
العلامة الحسن السائح

وللكتاب اهمية خاصة في تاريخ الفكر والادب المغربي وقد احسن الاستاذ المحقق صنعا باهتمامه بهذه الرحلة التي نقلت الينا اوجه الحياة والحضارة في حقبة مهمة من تاريخ امتنا الخالدة .

وتوجد عدة نسخ مخطوطة من كتاب رحلة البلوي منتشرة في عدة بلدان عربية واوروبية منها المغرب والقاهرة وباريس ولندن واسبانيا . اما النسخ التي بالمغرب فان الخزانة العامة بالرباط تتوفر على نسخ اربع جيدة . وقد كان اعتماد المحقق عليها .

ويبدأ الكتاب بمقدمة ضافية يوضح فيها المحقق منهجه في البحث . ثم تأتي بعد ذلك ترجمة البلوي والجوانب التاريخية والادبية والجغرافية والوثائقية لرحلته القيمة . ونقرأ في الختام اسماء المؤلفين المغاربة في فن الرحلات .

ويقع الكتاب في 318 صفحة من القطع الكبير . وقد صدر عن مطبعة فضالة بالمحمدية .

وتشتمل الرحلة على خرائط ومعلومات حضارية وعمرانية وادبية من الاهمية التاريخية بمكان .

معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار

● هذا كتاب قيم للمؤرخ الوزير لسان الدين بن الخطيب السلماني (713 – 776 هـ) . حققه الباحث المصري الدكتور محمد كمال شبانة استاذ التاريخ والحضارة الاسلامية بجامعة محمد الخامس .

وهو من مطبوعات « صندوق احياء التراث الاسلامي » .

وقد جاء التحقيق في تبويب وتنسيق واخراج يليق بمكانة الكتاب باعتباره لبنة من لبنات ذلك الصرح الشامخ الذي اقامه ابن الخطيب ورفع به شأن الثقافة العربية الاسلامية في عصور ازدهارها .

والكتاب اطرف كتب المؤلف الشهيرة فقد صاغه على هيئة مقامة ادبية ذات منهاج واسلوب فني انفرد به لسان الدين روعة وابداعا مستهدفا وصف اهم المدن الاندلسية والمغربية جغرافيا واجتماعيا كما رآها وعاصرها في منتصف القرن الثامن الهجري (منتصف الرابع عشر الميلادي) .

كتاب
معيار الاختيار
في ذكر المعاهد والديار
للمؤرخ الوزير
لسان الدين بن الخطيب السلماني
776 – 713
تحقيق
الدكتور محمد كمال شبانة

وتوجد من هذا الكتاب نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية واخرى بالاسكوريال بمدريد . ويوجد جزء مخطوط بمكتبة الفاتيكان مكتوب بخط مغربي ، وتوجد بخزانة القرويين قطعتان من « ريحانة

الكتاب » . أما في الخزانة العامة بالرباط فتوجد عدة نسخ .

وقد قسم المحقق الكتاب الى خمسة فصول. الفصل الاول لحياة المؤلف ، والثاني لبيان وجهة نظر بعض المستشرقين والباحثين تجاه ابن الخطيب ؛ والثالث دراسة خاصة « لمعيار الاختيار » في عرض تحليلي . والرابع والخامس يتضمنان نصوصا من الكتاب .

ويتضمن الكتاب عدة صور وخرائط لمدن مغربية واندلسية . ويقع في 198 صفحة من القطع الكبير . وطبع بمطبعة فضالة ـ المحمدية .

اوصاف الناس في التواريخ والصلات

هذا الكتاب في الواقع يشتمل على كتابين. فبالاضافة الى « أوصاف الناس » هناك « الزواجر والعظات » وهو من تأليف اديب الاندلس الاكبر لسان الدين ابن الخطيب وقد قام بدراسته وتحقيقه الدكتور محمد كما شبانة . وصدر عن صندوق « احياء التراث الاسلامي » المشترك بين المغرب واتحاد الامارات العربية .

والكتاب يعد من اجل المؤلفات الادبية لابن الخطيب التي اورده ضمن ما أورد في مؤلفه الكبير « ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب » . وهو يشتمل على تراجم شخصيات اندلسية ومغربية معظمهم ممن عاصروا ابن الخطيب وعاشوا احداث عصره (القرن الثامن الهجري ـ الرابع عشر الميلادي) . فيهم الكاتب والوزير والقاضي والقائد والعالم ... منهم من حاز اكثر من رتبة من هذه الرتب على نمط الشخصية البارزة في العصر الاسلامي الوسيط ، وقد بلغ عدد المترجم لهم 157 شخصية مقسما القسم الاول منهم بما سبق للمؤلف ان أورده في كتابه « التاج المحلى » .

يقول المحقق الدكتور محمد شبانة في المقدمة:

« ان مدار البحث حول كتاب ابن الخطيب أوصاف الناس في التواريخ والصلات هو جزء من

أوصاف الناس في التواريخ والصلات

تليها

الزواجر والعظات

طبع هذا الكتاب تحت إشراف الهيئة المشتركة لنشر التراث الاسلامي بين المملكة المغربية ودولة الامارات العربية المتحدة

الريحانة ويمثل السفر الاخير منها حيث يختتم المؤلف هذا المؤلف الضخم بعد الاوصاف بكتاب الزواجر والعظات ، ولقد عكفت منذ وقت ليس بالوجيز على تحقيق هذا المؤلف الادبي التاريخي الكبير « الريحانة » وقطعت في ذلك شوطا ليس باليسير حتى وفقني الله الى تحقيق الاجزاء التالية منه وهي :

1 ـ الرسائل السلطانية (وتمثل القدر الاعظم من الكتاب) .
2 ـ معيار الاختيار (تحقيق جديد في زيادات مع دراسة نقدية) .
3 ـ أوصاف الناس (موضوع هذا الكتاب) .
4 ـ الاشارة الى آداب الوزارة (تحت الطبع)
5 ـ مقامة السباسة (تحت الطبع)
6 ـ كتب الزواجر والعظات وهي ملحق هذا التحقيق والدراسة .

ولا يسع القارىء للكتاب الا ان يقدر للمحقق الجهد العلمي الشاق الذي بذله في سبيل اخراج هذا السفر القيم من التراث العربي الاسلامي العظيم .

وطبع الكتاب بمطبعة فضالة بالمحمدية . ويقع في 187 صفحة من القطع الكبير .

● من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية

نشر البنود على مراقي السعود

● صدر الجزء الاول من كتاب العالم سيدي عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنقيطي : « نشر البنود على مراقي السعود » ضمن منشورات « صندوق احياء التراث الاسلامي » المشترك بين المغرب واتحاد الامارات العربية ، بمقدمة ضافية للاستاذ الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية . وترجمة مركزة لحياة المؤلف رحمه الله .

يقول السيد الوزير في المقدمة :

« تفضل مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده فامر بطبع هذا الاثر العلمي النفيس ونشره ، وذلك في اطار اهتمام جلالته الشريفة ـ حفظه الله ورعاه ـ باحياء التراث الاسلامي واغناء نهضتنا العلمية بكنوزه وذخائره ، ومنح أوسع الفرص للطلبة والباحثين والدارسين للنهل من موارده ، والكرع من حياضه وصلا لماضينا العلمي المجيد بحاضرنا العلمي الزاهر وترشيحا لاصالة النهضة الثقافية العظيمة التي تشمل مختلف الآفاق في هذا البلد الامين تحت ظل قيادة جلالته الحكيمة النيرة .

نشر البنود
على
مراقي السعود

تأليف
سيدي عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنقيطي

الجزء الأول

ومادة الكتاب عبارة عن شرح ارجوزة في هذا الفن (أصول الفقه) للمؤلف سيدي عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنقيطي واضع الارجوزة والشرح معا » .

● خصصت مجلة « منار الاسلام » التي تصدر عن وزارة الاوقاف بدولة الامارات العربية المتحدة حيزا واسعا من صفحاتها لاستطلاع صحافي عن المغرب معزز بصور ملونة لمظاهر الحضارة والتقدم في بلادنا. وابرزت المجلة جهود وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية في المملكة المغربية لنشر الفكر الاسلامي والتوعية الدينية وخلق جيل قوي مؤمن .

من نشاط وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

حملة توعية شاملة خلال شهر رمضان

تظمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميه حملة واسعة النطاق للتوعية الاسلامية خلال شهر رمضان المعظم شارك فيها عدد كبير من العلماء والوعاظ والمرشدين في مختلف انحاء المملكة . وشملت الاحاديث والندوات في الاذاعة والتلفزه والدروس الدينية اليومية في معظم مساجد البلاد .

احياء ذكرى وفاة محمد الخامس

احيت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميه ذكرى وفاة بطل التحرير والاستقلال جلالة المغفور له محمد الخامس قدس الله روحه في جو من الخشوع والابتهال وفي اطار برنامج منتظم شارك فيه المادحون والمنشدون اضافة الى خطب الجمعة التي اعدت لابراز الدور العظيم الذي قام به جلالة المغفور له محمد الخامس من أجل تحرير المغرب وضمان استقلاله .

ايفاد فوجين من العلماء الى الجاليات المغربية بأوروبا

تطبيقا لتعليمات مولانا امير المؤمنين جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وايده وتمشيا مع سياسة البعث الاسلامي التي ينهجها جلالته في حكمة ورشاد اشرفت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميه على ايفاد فوجين من السادة علماء المملكة الى جالياتنا العمالية باوروبا للقيام بالتوعية الدينية والتوجيه الوطني خلال شهر رمضان المعظم . وهي سنة حميدة تتبعها الوزارة كل سنة وتقدم بها لعمالنا وتجارنا في الخارج خدمات جلى تخلف آثارها على اوساط مواطنينا المهاجرين .

وقد استقبل السيد الداي ولد سيدي بابا وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية السادة العلماء على مرحلتين . المرحلة الاولى عند سفر الفوج الاول في بداية شهر رمضان ، والمرحلة الثانية بمناسبة سفر الفوج الثاني الذي تقرر ان يحيي ليلة القدر ويصلي صلاة عيد الفطر السعيد مع جالياتنا .

وهكذا شارك في برنامج التوعية الاسلامية باوروبا اربعون عالما من ذوي المؤهلات الجامعية العليا .

وشمل البرنامج الدول التالية : فرنسا — بلجيك — هولندا — المانيا — اسبانيا — جبل طارق — النرويج — السويد — الدانمارك .

كما اوفدت الوزارة أحد العلماء الى السنيغال للقيام بنفس المهمة .

شهريات ـ الفكر والثقافة

المغـــــــرب :

● صـــدر بتطـــوان كتـــاب :

« الكشف والتبيان في مسيرة بطل الريف الاول سيدي محمد امزيان واخبار مقاومته هو واخوانـــه الريفيين لابي حمارة ثم الاسبان » للشيـــخ السيـــد العربي الورياشـــي .

● صدرت بالرباط جريدة بعنوان : (الحريـــة) رجب 1397 ـ يوليوز 1977) ، بدارة السيد فلاحي مبارك السباعي ورئاسة تحرير السيد أحمد البراوي في اربع صفحات وهي « جريدة ثقافيـــة اخباريـــة سياسية جامعة » .

● عادت مجلة (آفـــاق) (يوليوز 1977) التي يصدرها اتحاد كتاب المغرب الى الصدور بعـــد أن توقفت سنة 1972 .

صدور المجلة جاء في حلة جديدة بعيـــدة عن الصورة التي الفها اعضاء الاتحاد من قبل حيث جاءت في اسلوب نشرة أكثر منها مجلة .

● (الاخوانية) جريدة صدرت ببلجيكا تحـــت شعار : (صوت المواطن المغربـــي في المهجـــر) في أربع صفحات من الحجم الصغير .

الجريدة صورة مشرقة لفكر الجالية المغربيـــة خارج المغرب ، تحمل الفكر الاصيـــل ، وتشـــوق واجهتها بقول الله تعالى : (ان أريد الا الاصلاح ما استطعت) .

● **« المدرسة الصوفية الدرقاوية بشمال المغرب»** هو موضوع الرسالة التي ناقشها الاستاذ عبد المجيد الصغير لنيل دبلوم الدراسات العليا في الفلسفـــة يوم 23 / 5 / 1977 بمدرج ابن خلدون بكلية الاداب بالربـــاط .

نجح الطالب بميزة (حســـن) .

يشتمل البحث على مقدمة وخمسة أبواب .. والبحث مهم للغاية يستحق عليه صاحبه كـــل تنويه وتقدير خصوصا وان الموضوع مغربي .

● (ابوادي) جريدة اصدرتها وداديات العمـــال والتجار المغربية ببولاندة .

اما (منار الوادية) فهي ايضا جريدة اصدرها العمال المغاربة بمدينة ليل بفرنسا .

● صدرت للاستاذ الدكتور ممدوح حقي كبيـــر الإمناء بالمكتب الدائم لتنسيق التعريـــب بالوطـــن العربي في الرباط مجموعة قصصيـــة بعنـــوان « آكل قلب أبيه » ، ويصدر له قريبا كتاب : «مستقبل الثقافة في المغرب » .

● عن مطبعة ديسبريس بتطوان صدر كتاب في 135 صفحة بعنوان : « تنبيه الاكياس للاقتصاد في المآتم والاعراس » للمرحوم محمد بن التهامي افيلال، المؤلف من مواليد تطوان سنة 1884 ، شغل عـــدة مناصب منها قاضي القضاة ثم وزارة العدل وتوفـــي ســـنـــة 1968 .

● سيصدر قريبا للشاعر الاستاذ عبد الرحمـــن المرجاوي العلوي ديوان شعر في جزءين بعنوان : « مواقف » وهو سجل حافل لمواقف العرش العلوي المجيد من قضايا الحرية والتحرير والوحدة .

والشاعر من مناضلي الصحراء المغربية ولـــه مواقف عملية مشهود بها في الذود عن وحدة الوطن تحت راية العرش العلوي الخالد .

● صدر الجزآن الاول والثاني من المجلد الرابع عشر من مجلة « اللسان العربي » التي يصدرها مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي بالرباط . الجـــزء الاول يشتمل على ابحاث ودراسات في اللغة ، والثاني اشتمل على معاجـــم لمصطلحـــات في الســـفـــن والعمل والفقه والقانون والحرف والمهن وعلم الفلك والخشابة والخشب . أعد المعاجم : اللجنة الفنية للمنظمة العربية للمواصفات والمقاييس والاستـــاذ

شهريات الفكر والثقافة

عبد العزيز بن عبد الله ومكتب العمل المغربي والاستاذ محمد بن زيدان .

● يعد كتاب في « سبيل بعث اسلامي » صدر للاستاذ ابو بكر القدري كتابا ثانيا بعنوان : في سبيل وعي اسلامي » وهو يضم مجموعة من الموضوعات الاسلامية المعمقة والمشبعة بروح موضوعية منزه والمعالجة باسلوب رصين وتفتح وتحليل مرتكز على اساس الفكر الاسلامي ونظرته الى الانسان والحياة والمجتمع .

● اهدى الاستاذ عبد الرحمن الزياني لمجلتنا كتابين جديدين من تاليفه ، الاول بعنوان : « اديبات الاندلس » ، والثاني « سوانح وخواطر » وهما معا مجموعة دراسات ادبية في التراث الاندلسي تترجم لاربعين شاعرة واديبة اندلسية بشيء من التوسع والاستفاضة وتتناول موضوعات طريفة من الاهمية الادبية بمكان .

● اصدر الدكتور رشدي فكار طبعة جديدة من كتابه القيم « في الماركسية والدين » . وكانت الطبعة الاولى قد صدرت قبل شهور معدودة ورحبت بها الصحافة الاسلامية في المشرق والمغرب .

كتاب « في الماركسية والدين » دراسة علمية في مستوى رفيع للفكر الماركسي تكشف للقارىء عيوبه واخطاءه وتناقضاته الكثيرة،وفي نفس الوقت يبرز المؤلف عظمة الاسلام الخالدة واحقيته لقيادة الانسان وخلق تقدم وعدالة اجتماعية حقيقية .

● « الاسلام والشباب المعاصر » اول كتاب يصدره الاستاذ محمد الغزالي من علماء وجدة . وقد كان في الاصل مجموعة مقالات نشرت في صحيفة « الميثاق » لسان رابطة علماء المغرب .

● الاديب الاستاذ عبد السلام العزيز صدر له كتاب جديد بعنوان « حصاد الايام » وهو مجموعة قصص تنحو منحى اجتماعيا واقعيا .

صدرت المجموعة عن دار الكتاب بالبيضاء .

موريطانيا :

● جاء في الخطاب الذي القاه الرئيس الموريطاني الاستاذ المختار ولد دادة في افتتاح المؤتمر الاول لشبيبة الشعب الموريطاني ما يلي :

« ... عندما اتحدث عن شخصية شعبنا فانني اعني بذلك شخصيته الاسلامية الافريقية العربية : شخصيته الاسلامية ، ذلك ان الاسلام هو فعلا الرابطة الوحيدة في وجودنا كامة ، لانه يمثل من خلال القرآن الكريم وسنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم النموذج المثالي لانعتاق الانسان والمجتمع ، ذلك لان الاسلام لا يفضل اي عنصر بشيء على غيره ولا اي لون على آخر ولا يقبل أي ضغط عنصري أو ثقافي لانه دعوه الى الاخلاص في الايمان والجهود .. دعوه الى البحث الدائم عن العدالة والاخوة والسلام، ذلك على الرغم مما يدعيه بعض الاعداء الذين لا يريدون ان يتصوروا ديننا الا من خلال الممارسات الاعلامية التي يقوم بها البعض ، تلك الممارسات التي تتنافى تماما بما انزله الله على نبيه الكريم ، وانه ليمكننا ان نستمد من هذا الدين القوة والالهام اللذين يمكنان من النجاح في القيام بالمهمة التي طرحناها على انفسنا .. هذه المهمة التي تتمثل في ان نجعل من هذه الارض الموريطانية الوطن النموذجي للقاءات الخصبة بين رجال وثقافات بلهمهم نفس الايمان الراسخ في مستقبلهم .. »

مصر :

● توفي في القاهرة الاستاذ احمد حمزة مؤسس مجلة لواء الاسلام التي اصدرها في سنة 1946 ولا تزال تواصل رسالتها الى اليوم .

وكان الفقيد من العلماء العاملين في صميم لصالح الفكرة الاسلامية عاصر مختلف الاحداث التي مرت بمصر وظل دائما مثالا للمسلم الصامد في وجه التحديات .

● من الكتب القيمة التي صدرت في مصر أخيرا كتاب للدكتور عبد الجليل شلبي بعنوان :

« الشيوعية والشيوعيون في ميزان الاسلام » يمتاز بالروح العلمية والتأني في اصدار الاحكام والعمق في التحليل والمناقشة وسعة الافق وغزارة الاطلاع والبعد عن الاسلوب السفسطائي التهريجي الرخيص.

وهذه الدراسة واحدة من عشرات الدراسات الاسلامية الجادة والعميقة التي نشرت في مصر مؤخرا في هذا الموضوع . نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر دراسة شيخ الازهر الدكتور عبد الحليم محمود بعنوان : « فتاوي عن الشيوعية » .

والكتاب يكشف في موضوعية بحتة حقيقة الشيوعية ويلقي الضوء على جانب من سلوك الشيوعيين وسير أبطالهم وينير الطريق أمام الذين لم تتح لهم دراسة كافية لهذا المبدأ .

كما يكشف الكتاب كيف أن الشيوعيين في كل بلد يعيشون عيشة البذخ والاسراف ويتمتعون بما لا يتمتع به الكثيرون من الراسماليين الذين يهاجمون .

● أكدت لجنة استشارية ضمت ثلاثة من رؤساء المجامع اللغوية العربية أن تعلم اللغة العربية أصبح رغبة تتملك العديد من شعوب العالم وهذه الرغبة تأتي من عدة بواعث سياسية وحضارية واقتصادية ولا بد لمواجهة هذه الرغبة من بذل اهتمام عربي متزايد لنشر اللغة الثقافية العربية على أوسع نطاق ممكن .

ومن الجدير بالذكر هنا أن اللغة العربية اصبحت منذ العام الماضي لغة رسمية في هيئة الامم المتحدة .

● حصل السيد محمود وصفي محمد بكلية الآثار جامعة القاهرة على درجة الدكتوراه مع مرتبة الشرف التي كان موضوعها : (قصص القرآن في التصوير الاسلامي) .

السعودية :

● صدر للدكتور علي المنتصر الكتاني كتاب قيم عن المسلمين في أوروبا وامريكا . وهو ثمرة جولات مطولة عبر القارتين والاحتكاك بالجاليات الاسلامية والتعرف على احوالها وظروفها .

الدكتور علي الكتاني يعمل في المملكة العربية السعودية واوفدته رابطة العالم الاسلامي الى جهات متعددة من العالم للاتصال بالجاليات الاسلامية في كل مكان .

● اسماء جديدة اختيرت لاحياء وشوارع المدينة المنورة . من هذه الاسماء السلام والروضة واحد والحرم والشهداء وقباء . كما تم تقسيم المدينة الى 18 حيا بدلا من 35 وذلك ضمن مشاريع التخطيط الجديد للمدينة .

● افتتح بجدة اول معرض للمجوهرات الاسلامية القديمة .

المعرض من اعداد السيدة ماري زوني ميتيبة والسيد كركس أويه النمساوي خبير شركة هيجلر المشهورة .

وتقول السيدة ماري زوني ميتيبة خبيرة المجوهرات اللبنانية والتي اقامت عددا من المعارض المماثلة في العالم ـ ان المعرض يهدف الى اطلاع الراي العام في الداخل وفي الخارج على ما كانت عليه عظمة اجدادنا الذين سبقوا العالم في هذا المجال .

العراق :

● صدر ببغداد ضمن الاستعدادات لمهرجان المتنبي الذي يقام في الربع الاخير من هذا العام عن وزارة الاعلام كتاب : « تنبيه الاديب على ماضي شعر ابي الطيب من الحسن والمعيب » تأليف ناكثير الحضرمي ، تقديم وتحقيق رشيد عبد الرحمن .

● صدر عن وزارة الاعلام العراقية كتاب « أبو اليمن تاج الدين زيد بن الحسن الكندي البغدادي » بتقديم وتحقيق الدكتور سامي مكي العاني وهلال ناجي .. والكتاب عرض لسيرة حياة الكندي المولود

سنة (520) هجرية والمتوفى سنة 613 في بغداد مع ما تبقى من شعره

سوريا :

● قام الاستاذ علي الرضا التونسي المحامي بدمشق بجمع وتحقيق وتنسيق وطبع كتاب عمه فضيلة الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الازهر وعضو المجمع اللغوي بالقاهرة والمجمع العلمي العربي وقد أعطى الاستاذ بعمله هذا مثالا يحتذى .

وفيما يلي قائمة الكتب التي تم طبعها من هذه السلسلة وهي كما يلي :

— اسرار التنزيل
— بلاغة القرآن
— محمد رسول الله وخاتم النبيين
— رسائل الاصلاح
— الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان
— محاضرات اسلامية
— الهداية الاسلامية
— القاديانية والبهائية
— دراسات في الشريعة الاسلامية
— السعادة العظمى
— هدى وسور
— الرحلات
— الدعوة الى الاصلاح
— تراجم الرجال
— نفوس وجامع الزيتونة
— دراسات في العربية وتاريخها
— دراسات في اللغة
— نقد كتاب في الشعر الجاهلي
— نظرات في الاسلام واصول الحكم
— الخيال في الشعر العربي
— نقد كتاب الاسلام واصول الحكم
— خواطر الحياة « ديوان شعر »

لبنان :

● استأنفت مجلة « الفكر الاسلامي » الصدور بعد ان احتجبت طيلة الحرب الاهلية اللبنانية . وجاء عدد غشت من « الفكر الاسلامي » التي تصدرها دار الفتوى في لبنان حافلا بعدد من الابحاث والمقالات والتحقيقات الصحفية .

تقول افتتاحية هذا العدد تحت عنوان : « المسلمون والتهمة الجاهزة » :

« اذا كان لبنان بعد حرب السنتين قد خرج مثخنا بالجراح ، فان المسلمين في لبنان قد خرجوا بالنصيب الاوفر منها ، اذ انه ما من جبهة احتدم الصراع فوق ارضها والا وكان للمسلمين في لبنان ثمن يدفعونه ، فلقد كانت التهمة جاهزة دائما لتوجه الى المسلمين بسهولة ، وعلى جميع الجهات، فهم « رجعيون » ، اذا كان الصراع على جبهة اليسار وفوق ارضه وهم « يساريون » اذا كان الصراع على جبهة اليمين وفوق ارضه . وفي كلتا الحالتين كان المسلمون يدفعون تارة ثمن « رجعية » زائفة وطورا ثمن « يسارية » لا وجود لها .. المهم انهم كانوا على الجبهتين يدفعون » .

● (خمسون عاما في القضايا العربية) الكتاب الذي لم يتمكن المرحوم محمد علي الطاهر من اتمامه، وقامت حرمه باتمامه وطبعه اخيرا .

الكتاب يعتبر من اهم المعالم الحديثة في التاريخ العربي المعاصر وقضاياه .

اليمن :

● اكتشف العالم الاثري الدكتور كونراد فايدمان اثناء قيامه برحلة دراسية الى اليمن حطام تمثالين من البرونز لملكين من ملوك العرب الذين ينحدرون من (ملكة سبا) التي كانت تعيش في زمن ما قبل الاسلام . وقد عهد الى قسم الترميم في مؤسسة آثار التاريخ الاول وما قبل التاريخ التابعة للمتحف

الروماني ـ الجرماني المركزي بمدينة ماينس بالقيام بوصل حطام التمثالين ببعضهما بعد ازالة طبقات الرمال المتحجرة عنها لاعادتهما الى شكلهما الاصلي، وهذه هي المرة الاولى التي يعثر فيها على تماثيل من البرونز في اليمن تعود الى ما قبل الاسلام .

ايـــــران :

● ازيح الستار عن تمثال الطبيب والفيلسوف الايراني الشهير محمد بن زكريا الرازي ، وذلك في مدينه (ري) مسقط رأس الرازي .

اقيم التمثال في حديقة غناء واسعة في مدينة (ري) .

الكـــابـــون :

● صرح رئيس جمهورية الكاميرون الحاج عمر بونجو الرئيس الحالي لمنظمة الوحدة الافريقية لمبعوث مجلة (اكتوبر) القاهرية (عدد : 36 ـ 30 / 6 / 1977 ـ صفحة : 12) :

« .. لقد وجدت في الاسلام كل المعاني .. وجدت في الاسلام الحرية ، والصلة المباشرة بين الانسان وربه بعيدا عن حدود المكان ووساطة الكهنوت انني كمسلم لست بحاجة الى شيء لاختلي بنفسي مع الله .. ان الارض كلها مسجدي ، وهذا هو روح العقيدة الاسلامية .

فـــرنســـا :

● اشاد الاستاذ موريس دريون وزير الثقافة الفرنسي سابقا وعضو الاكاديمية الفرنسية بالمسيرة الخضراء التي ابتكرها صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني ونفذها يوم 6 نوفمبر 1975 من اجل استرجاع الصحراء المغربية .

وقد جاءت الاشادة في المقدمة التي كتبها الاستاذ موريس دريون لمجموعة من الصور التي التقطتها عدسة المصور المغربي محمد مرادجي من الدارالبيضاء عن مختلف مراحل المسيرة الخضراء

وكتب على الخصوص في هذه المقدمة : « ان المسيرة الخضراء اثارت اعجاب العالم بعدما فاجأه الاعلان عنها ، وبعد ما خامره نوع من الشك عند انطلاقها » .

ولاحظ الكاتب الفرنسي : « ان عودة المشاركين في المسيرة الخضراء بعد تحقيق النصر ، اثارت الاعجاب والتقدير لدى جميع الاوساط باعتبارها عملا ضخما كان يحتاج ابتكاره وتنفيذه الى عبقرية كبرى هي عبقرية جلالة الحسن الثاني .. »

ويشتمل الكتيب الذي يضم الصور على جمل مقتطفة من الخطب والتصريحات التي ادلى بها صاحب الجلالة اثناء المسيرة الخضراء ..

● ظهرت في المكتبات الفرنسية الطبعة الجديدة من كتاب « التخيل الخلاق في الصوفية عند ابن عربي » للكاتب الفرنسي هنري كوربان .

هنري كوربان هو الذي خلف المستشرق لويس ماسينيون استذ الدراسات الاسلامية في معهد الدراسات العليا في فرنسا .

● « ارض الله الواسعة » كتاب جديد تحدثت فيه مؤلفته الفرنسية ماري بيردي بريسكا عن صحافة الاسرائيليين الذين يزعمون انهم يعرفون كل شيء عن العالم العربي . وتقول : انهم بالرغم من ذلك يتركون الحقيقة الفلسطينية تعيش تحت اعينهم بلا تفكير في حلها .

ومما يذكر ان المؤلفة هي احدى منتدبات هيئة اليونسكو التي عاشت فترة في الاراضي العربية

المحتلة لترى المشاكل التي يعاني منها الفلسطينيون على الطبيعة .

● صدر في باريس مؤخرا قاموس صغير يشتمل على المفردات الخاصة بعلم الكهرباء . ويشتمل على 4000 لفظة عربية في مقابل مرادفها الفرنسي .

قال المؤلف في مقدمة الكتاب ان اللغة العربية على عكس ما يظن ، لها طاقة غير محدودة على الاستيعاب و ـ هضم ـ المفردات الاجنبية لان اسلوب ـ النحت ـ او الاشتقاق يمكنها من امتصاص الالفاظ التركية او اليونانية المنقولة قديما الى العربية : رايت ان لها رنة عربية تجعلك تتساءل احيانا عن اصلها الحقيقي ! وانك عبثا تحاول ان تجد لها اصلا اعجميا .

ولاحظ صاحب القاموس أن اللغة العربيةظلت حتى فجر القرن السادس عشر ، الاداة الاساسية في نقل المعارف العلمية الى الغرب سواء اكان هذا في الرياضيات ام في الفيزياء أم الكيمياء .

اسبانيا :

● تظمت حلقة دراسية في الجامعة الدولية « منذس اى بيلايو » في « سانتندير » باسبانيا للصحافة العلمية وقد اشترك في هذه الحلقة مهنيون يهتمون بالشؤون الصحافية العلمية ، والجدير بالذكر ان هذه الحلقة تنظم للمرة الاولى في الجامعة المذكورة التي ضمت في حلقاتها الدراسية الصيفية المتنوعة ما يزيد على الفي طالب من جنسيات متعددة .

وقد اشرفت عليها الجامعة نفسها ووزارة التربية الوطنية والجمعية الاسبانية للصحافة العلمية.

لندن :

● دفع احد هواة جمع التراث الاسلامي 63 الف جنيه استرليني في مزاد علني اقيم في لندن لشراء نسخة من القرآن الكريم كتبت بخط ياقوت المستعصمي في عام 681 هجرية .

اشتهر المستعصمي المتوفى عام 689 هجرية بحسن الخط كما انه كاتب وأديب ومن أشهر كتبه (أسرار الحكماء) .

السويد :

● أصدرت السويد موسوعة مصورة بالالوان تضم احدث المعلومات والحقائق عن بحار ومحيطات العالم .

الحبشة :

ورد في احصائية شبه رسمية ان تعداد سكان الحبشة يبلغ 27 مليون نسمة منهم ، منهم 65 في المائة من المسلمين .

22 ٪ من المسيحيين ، 13 ٪ من الوثنيين .

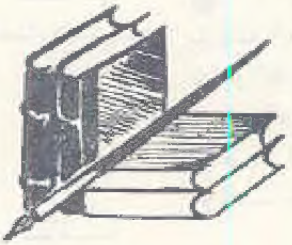

التعليم الاسلامي ببلجيكا خلال سنة 76 ـ 1977

جاءنا من السيد محمد العلويني الامام المدير للمركز الاسلامي الثقافي ببلجيكا تقرير مفصل عن التعليم الاسلامي ونشاط المركز خلال السنة الدراسية المنصرمة .

ويلاحظ ان الاساتذة والمعلمين المغاربة ساهموا بحظ موفور في هذا النشاط الهام ، الذي استفادت منه جاليتنا العمالية باوربا بصفة عامة وبلجيكا بصفة خاصة .

وفيما يلي فقرات من هذا التقرير :

اولا : دروس التربية الاسلامية واللغة العربية بالمركز:

تعطى دروس التربية الاسلامية واللغة العربية للاطفال المسلمين الذين تتراوح اعمارهم بين السادسة والثامنة عشرة ، يومي السبت والاربعاء من الساعة الثانية والنصف الى الرابعة والنصف بعد الزوال ؛ ويومي السبت والاحد من الساعة العاشرة الى منتصف النهار ، وذلك بمقر المركز وبفروعه بأندرليخت ؛ وتنظم هذه الدروس بالمساعدة المالية التي تتلقاها ادارة المركز من رابطة العالم الاسلامي .

وبالاضافة الى ذلك يقوم الواعظان الالباني والتركي العاملان بالمركز والموفدان من قبل الرابطة بالقاء دروس مماثلة لفائدة الاطفال الالبانيين والاتراك.

ثانيا : تعليم الديانة الاسلامية في المعاهد البلجيكية :

تطور التعليم الاسلامي :

1) الاستجابة الى نداء المركز :

لقد لقي النداء الذي قام به المركز خلال سنة 1975 والموجه الى الدول والمنظمات الاسلامية ، والمتعلق بوضع اطار تربوي تحت ذمة المركز مع اعتمادات كافية ، لقي هذا النداء صدى ايجابيا ... اذ بادرت الحكومتان التونسية والمغربية الى ايفاد مجموعة من المربين الذين يقومون تحت رعاية المركز بتعليم الديانة الاسلامية للتلاميذ المسلمين بالمدارس والمعاهد البلجيكية .

ويتركب الوفد التونسي من تسعة اساتذة ومعلم واحد .

اما البعثة المغربية ، فهي تضم خمسة اساتذة وخمسة عشر معلما .

وقد وعدت بعض الحكومات العربية الاسلامية بمساعدة المركز ، وذلك بايفاد عدد كاف من المربين ، سيلتحقون بزملائهم بداية من السنة الدراسية المقبلة.

ومن جهة أخرى ، فان المركز قد تلقى من الدولة السعودية ومن الامانة العامة للمؤتمر الاسلامي اعتمادات هامة لتمويل صندوق التعليم الاسلامي ونرجو ان لا تتخلف الدول والمنظمات الاسلامية الاخرى عن مساندة المركز ومساعدته ماديا .

2) البرامج والكتب المدرسية :

لقد أعد المركز برامج تدريس لكل مراحل التعليم ، وقد اقتبست هذه البرامج من مناهج الدراسة المتبعة في الدول الاسلامية .

وقد كلفت لجنة تضم اساتذة ومعلمين بمراجعة هذه البرامج مستفيدين بما اكتسبوه من خبرة وتجارب في هذا الميدان .

وتعمل نفس اللجنة تحت رعاية المركز لاعداد مشروع طبع كتب مدرسية بمختلف اللغات ، وسيتم طبع هذه الكتب واستعمالها في بداية السنة المقبلة ان سمحت الظروف والامكانيات المادية بذلك .

وضعية التعليم الاسلامي ببلجيكا للسنة الدراسية 76 / 1977 ـ في المنطقة الفلامندية :

نظرا للصعوبات التي واجهتها ادارة المركز في انتداب الاطار التربوي للعمل بالمنطقة الفلامندية ،

فقد تابع الامام المدير المساعي الحثيثة والتدخلات لدى وزارة التربية القومية والثقافية النيرلاندية ، للسماح بانطلاق دروس الديانة والاخلاق الاسلامية في معاهد المنطقة النيرلاندوفونية ، على أن يكون التدريس باللغتين العربية والتركية في انتظار تكوين اطارات تجيد اللغة النيرلاندية ، وقد توجت المحادثات ـ بحمد الله ـ بالنجاح ، حيث وافق الوزير على اعفاء مؤقت من تطبيق القانون اللغوي ، على ان يلتزم المعلمون والاساتذة بتعلم اللغة الرسمية لهذه الجهة في ظرف اقصاه ثلاثة اعوام .

وتبعا لهذا الاتفاق ، تم تعيين خمسة معلمين من بينهم اربعة باقليم لمبورغ ، وواحد بانفارس .

التلاميذ المرسمون بدروس التربية الاسلامية :

يبلغ عدد التلاميذ الذين يتلقون دروس التربية الاسلامية في مختلف المدارس والمعاهد البلجيكية هذه السنة ما يتيف عن خمسة الاف ، في حين ان مجموع التلاميذ المسلمين في بلجيكا يناهز الخمسة عشر الف تلميذا .

هذا ولئن لم يتيسر للمركز ـ لظروف قاهرة ـ ان يستوعب جميع التلاميذ هذه السنة ، فانه لحريص على ان يتمكن من ذلك خلال السنوات القادمة بحول الله بعد ان يتوفر على العدد الكافي من المربين الاسلاميين .

المربون الاسلاميون :

يبلغ عدد القائمين بتدريس التربية الاسلامية في المعاهد والمدارس البلجيكية للسنة الحالية اثنين وخمسين مربيا منهم :

1) خمسة وثلاثون مدرسا للمرحلة الابتدائية

2) سبعة عشر استاذا للمرحلتين الاعدادية والثانوية .

ومن المؤمل أن يرتفع العدد في السنة المقبلة الى قرابة الثمانين مربيا .

بنك اسلامي بالاردن

● وافقت الحكومة الاردنية على انشاء البنك الاسلامي الاردني برأسمال قدره اربعة ملايين دينار، ويخصص لدعم مشاريع التنمية الاردنية ، وأوضح الدكتور محمد سعيد النابلسي مدير البنك المركزي الذي اعلن ذلك في عمان ان النظام المصرفي لهذا البنك سيتم وفقا لقواعد الشريعة الاسلامية وضمن الحدود اللازمة لتامين السيولة المصرفية .

العقوبة الشرعية للمرتد في مصر

● اشارت صحيفة ـ الاهرام ـ الى انه سيكون مرتدا كل من تجاوز من العمر 18 سنة مسلما او مسلمة ورجع عمدا عن دين الاسلام ويعاقب بالاعدام.

واوضحت الصحيفة ان مجلس الدولة احال على وزارة العدل المشروع الخاص بعقوبة الردة تمهيدا لاحالته على مجلس الوزراء وبالتالي الى مجلس الشعب .

اساتذة من الازهر لتنزانيا

● وافق شيخ الازهر على ايفاد بعثة من اساتذة الازهر الى تنزانيا لمساعدة حكومة تنزانيا على تطوير مناهج التعليم الاسلامي هناك .

وكان شيخ الازهر قد استقبل السيد عبود جومبي نائب رئيس جمهورية تنزانيا الذي زار مصر مؤخرا واجرى معه مباحثات تناولت تدعيم التعاون بين الهيئات الاسلامية في مصر وتنزانيا كما تناول البحث جهود حكومة تنزانيا في نشر اللغة العربية في البلاد.

اقرار مشروع قانون بنك فيصل الاسلامي بمصر

● قررت اللجنة الاقتصادية بمجلس الشعب المصري مشروع قانون بانشاء بنك فيصل الاسلامي برأسمال قدره ثمانية ملايين دولار .

وتبلغ حصة الجانب المصري فى رأسمال البنك 51 فى المائة تدفع بالجنيه المصري وبالسعر الرسمي أو بالدولار او بأية عملة قابلة للتحويل .

وتبلغ حصة الجانب السعودي 49 فى المائة تدفع بالدولار الامريكي .

ويقوم البنك بجميع الاعمال المصرفية والمالية والتجارية واعمال الاستثمار وانشاء مشروعات التصنيع والتنمية الاقتصادية والعمرانية والمساهمة فيها داخل مصر وخارجها .

وتخضع جميع معاملات البنك وانشطته المختلفة الى احكام الشريعة الاسلامية وخاصة فيما يتعلق بتحريم التعامل بالربا وباداء الزكاة .

افتتاح مركز الدعوة الاسلامية بالشارقة

● تم افتتاح مركز جديد للدعوة الاسلامية فى الشارقة ، وذلك لمساندة الاقليات الاسلامية فى العالم ، وقد قام سمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمى حاكم امارة الشارقة وعضو المجلس الاعلى للاتحاد بافتتاح المركز بحضور عدد من كبار العلماء ورجال الدعوة والفكر الاسلامى .